وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
قسم الدراسات القرآنية والفقه

المنظومة العسكرية في القرآن والسنة

دراسة تحليلية

رسالة تقدم بها الطالب:

علاء الدين محمد إبراهيم عبود

إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية

بإشراف

أ.د. ناهدة جليل عبد الحسن

١٤٤٣هـ ٢٠٢١م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

صدق الله العلي العظيم

سُورَةُ الأَنفَالِ : الآية ٦٠

ترشيح رسالة للطبع

نظراً لإنجاز مباحث وفصول الرسالة الموسومة ب (المنظومة العسكرية في القرآن والسنة – دراسة تحليلية) لطالب الماجستير (علاء الدين محمد إبراهيم) واني أرشحها للطبع .

التوقيع:

المشرف: ا.م.د ناصرة جليل عبد حسن

مكان العمل: كلية العلوم الإسلامية / ج كربلاء

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة ب (المنظومة العسكرية في القرآن والسنة – دراسة تحليلية) المقدمة من الطالب (علاء الدين محمد إبراهيم عبود) قد تم إعدادها تحت إشرافي في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية وهي جزء من متطلبات شهادة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية / قسم الدراسات القرآنية والفقه .

التوقيع:

المشرف: شاهدة جليل عبد الحسن

المرتبة العلمية: استاذ مساعد

مكان العمل: كلية العلوم الإسلامية / ج كربلاء

بناءً على توصية المشرفين والمقوم العلمي أرشح هذه الرسالة للمناقشة

رئيس القسم:

التوقيع: م.د. محمد ناظم محمد

شهادة الخبير اللغوي

اطلعت على رسالة الطالبـ/ـــه ( ) الموسومة

بـ (**المنظومة العسكرية في القرآن الكريم دراسة تفسيرية**)

وقومتها لغوياً واجد انها صالحة للمناقشة .

التوقيع:

المرتبة العلمية : استاذ مساعد دكتور

الاسم : مجيب

مكان العمل : جامعة كربلاء كلية العلوم

التاريخ: ١٢/٥/٢٠٢١

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها أننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ (**المنظومة العسكرية في القرآن والسُنة دراسة تحليلية**) وناقشنا الطالب/ـة (**علاء الدين محمد ابراهيم عبود**) في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنها جديرة بالقبول بتقدير(جيد جدا كال) لنيل درجة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية.

التوقيع:

الاسم : أ.د. عامر عمران الكفاجي

المنصب في اللجنة: رئيساً

التاريخ:

التوقيع:

الاسم: أ.م.د. كريم مجيد ياسين

المنصب في اللجنة: عضواً

التاريخ:

التوقيع:

الاسم: أ.م.د. عمار محمد حسين

المنصب في اللجنة: عضواً

التاريخ:

التوقيع:

الاسم: أ.د. ناهدة جليل الغالبي

المنصب في اللجنة: عضواً ومشرفاً

التاريخ:

صدقت في عمادة كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء

التوقيع:

الاسم: **أ.د ضرغام كريم كاظم الموسوي**

العميد وكالة

التاريخ: 2021/11/23

الاهداء

إلى

بقية الله ... المُعدّ... المنتظر... المُرتجى ... المُدخر ... المُتخير... المؤمّل ... مُحيي المعالم...

إلى

جامع الكلمة على التقوى ... وباب الله الذي منه يؤتى ... ووجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء...

اليك

يا سراج الله ونوره في ظلمات الأرض ... اهدي هذه البضاعة المزجاة، راجياً منك القبول، فإنك خير مأمول، وأكرم موصول .

كما أهدي ثواب جهدي هذا لروح والدي العزيز، الذي لم اتمتع برؤيته، ولم احظَ ببركته، أسال الله أن يحشره مع محمد وآله الطاهرين (صلوات الله عليه أجمعين).

ولا يخالجني الشك أبداً أنَّ قاموس اللغة العربية يشاطرني الرأي، بأنَّ جميع كلمات الشكر والتقدير والامتنان ومشتقاتها، التي تضطجع على سطوره لا يمكنها أن تفي لمن لا يقاس بها أحد، ولا يدنو من مرتبتها أحد، من قرن الله تعالى طاعته بطاعتها، إنَّها نور دربي، وشمعة حياتي، التي فدتنا بنفسها بعد أن لفظنا القريب ، وزوى عنا نظره البعيد، فمدت أجنحتها على رؤوسنا لتقينا حرارة الزمان اللاهب، وبرده القارس، حتى ذاب زهر عمرها، وذبلت أوراق شبابها، وانهارت قوى جسدها، إنَّها أمي... أمي التي لا أستطيع أن أصف حسن بلائها، وجميل فعالها، وكيف ... وأنى ... يشكرها لساني ومن لبنها اشتدّ وقوي على الكلام ، أمي العزيزة لا أستطيع أن أقول لك شكرا لقصور ذات الكلمة عن الإيفاء بحقك ولكن أقول لك عذراً عذراً، كما أضع هذا الجهد المتواضع بين يديك هدية أرجو بها أن أنال رضاك عني.

الباحث

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

أتقدم بالشكر الجزيل والثناء الجميل إلى كل من كان له الأثر الطيب في إتمام هذا الجهد المتواضع، وأخص منهم بالذكر الأمّ الحنون، والاستاذة الرؤوف، الدكتورة المربية الفاضلة (أ.د. ناهدة جليل عبد الحسن) التي غذتني من نمير علومها حتى اشتدَّ قلمي، وأغدقت عليّ من لطيف معارفها حتى قوى ساعدي، ورافقتني طوال المسير، فكنت كلما تعثرت وكبا بي القلم وجدت يدها اليّ ممدودة، تستنهضني لتنفض عني ما تحاوشني من تراب الجهل، فهي لم تكن مشرفاً فحسب، بل كانت أُمًّا بحق.

والشكر الموصول إلى جناب العميد المحترم الأستاذ الدكتور (السيد ضرغام كريم الموسوي) ولجميع الأساتذة الكرام في كلية العلوم الإسلامية في جامعة كربلاء الذين كان لهم الفضل عليّ في تربيتي وتعليمي.

وكذلك أتقدم بالشكر إلى جناب سماحة آية الله الأستاذ الشيخ المحترم (فاضل الصفّار) الذي فتح لجميع الطلاب باب قلبه قبل داره، ووسعهم حلماً، وأغدق عليهم علماً.

كما اخص بالشكر الاخوة الأعزاء العاملين في مكتبة الامام الحسين (عليه السلام) في العتبة الحسينية المقدسة لما قدموه اليَّ من المساعدة في الوصول الى ما احتاجه من كتب لها صلة بموضوع الرسالة .

كما اشكر رفيقة دربي، وتوأم روحي، ونفسي التي بين جنبي، أمُّ اطفالي ... زوجتي الحبيبة لمساندتها لي حتى اتممت هذا الجهد .

الباحث

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية القرآنية	أ
الإهداء	ب
شكر وتقدير	ج
المحتويات	د – هـ
المستخلص	و
المقدمة	٢ – ٣
إشكالية البحث	٣
أهمية البحث	٤
هدف البحث	٤
صعوبة الدراسة	٤
الدراسات السابقة	٥
أسباب اختيار الموضوع	٥
الفصل الأول : الحرب أسبابها وغاياتها وسبل الإستعداد لها في القرآن	٥
المبحث الأول : التعريف بمفردات العنوان والمفاهيم ذات الصلة	٦– ٢٤
المطلب الأول : تعريف المنظومة العسكرية لغة واصطلاحا	٧ – ٩
المطلب الثاني : المفاهيم ذات الصلة	١٠ – ٢٤
المبحث الثاني : أقسام الحرب وغاياتها	٢٥ – ٤٨
المطلب الأول : الحرب الدفاعية (الجهاد الدفاعي)	٢٥ – ٣٣
المطلب الثاني : الحرب الهجومية (الجهاد الابتدائي)	٣٤ – ٤٨
المبحث الثالث : الاستعداد للحرب في القران	٤٩ – ٦٦
المطلب الأول : إعداد القوة	٤٩ – ٥٧
المطلب الثاني : المصاديق المتعددة لمفردة القوة	٥٨ – ٦٦
الفصل الثاني : القيادة والقائد والجند في القران	٦٧ – ١٣١

الموضوع	الصفحة
المبحث الأول : القيادة العسكرية في القران	٦٨ – ٨٠
المطلب الأول : القيادة العسكرية	٦٨ – ٧٣
المطلب الثاني : أنواع القيادة العسكرية	٧٤ – ٧٩
المبحث الثاني : صفات القائد العسكرية وواجباته وحقوقه	٨٠ – ١١٢
المطلب الأول : صفات القائد العسكري	٨٠ – ٩٥
المطلب الثاني : واجبات القائد وحقوقه	٩٦ – ١٠٨
المطلب الثالث : حقوق القائد	١٠٩ – ١١١
المبحث الثالث : الجندي وواجباته وحقوقه	١١٢ – ١٣١
المطلب الأول : واجبات الجندي الإسلامي	١١٢ – ١٢٧
المطلب الثاني : حقوق الجند	١٢٨ – ١٣١
الفصل الثالث : الأساليب والتعاليم والآداب العسكرية	١٣٢ – ١٩٩
المبحث الأول : الأساليب العسكرية	١٣٣ – ١٦٣
المطلب الأول : أسلوب الخدعة	١٣٣ – ١٤١
المطلب الثاني : أسلوب الحرب النفسية	١٤٢ – ١٦٣
المبحث الثاني : تعاليم الحرب	١٦٤ – ١٧٨
المطلب الأول : فيما يخص قادة الحرب	١٦٤ – ١٧٠
المطلب الثاني : فيما يخص الجند	١٧١ – ١٧٨
المبحث الثالث : آداب الحرب	١٧٩ – ١٩٩
المطلب الأول : آداب التعامل مع العدو خلال الحرب	١٧٩ – ١٩١
المطلب الثاني : آداب ما بعد الحرب	١٩٢ – ١٩٩
الخاتمة	٢٠٠ – ٢٠٢
المصادر والمراجع	٢٠٣ – ٢٢١
الملخص باللغة الإنكليزية	

المُستخلص

إنّ تزاحم المصالح الموجود على هذه المعمورة ، عادة ما يدفع النّفوس الضيقة الى الاعتداء على الآخرين وسحقهم ، لا سيما تلك الأطراف الضعيفة ؛ وهذا ما يجعل وجود معيار ضابط يعمل على رفع او دفع تلك الاعتداءات أمر ضروريٌ لا بدّ منه ، وهذا المعيار هو العمل العسكري وفق ضوابط الشريعة السمحاء حصرا ، والّا كان ذلك المعيار ليس حلا لما تعانيه البشرية من مشاكل ، بل ربما كان زيادة في مشاكلها ، أو أسّ مشاكل البشر كما نلاحظ ذلك على طول امتداد التاريخ والى يوم الناس هذا ، فالعمل العسكري اذا كان أداة تُسخّر لطموحات تلك النفوس الدكتاتورية المتجبّرة لتحولت الأرض الى ثكنة عسكرية ، وبقاعها واحات حمراء لا تصلح لعيش الأنسان ما لم يخلط طعامه وشرابه بفيض من الدماء ، ومن هنا كانت المنظومة العسكرية الإلهية عامل ردع مهم لكل قوة تحاول أن تُقحم الإنسانية في الوديان السحيقة ، وكذلك عامل مهم في إحقاق الحق وإقامة العدل ، والانتصار للمظلوم ، وبسط الأمن والاستقرار ، وهذا ما يميّز العمل العسكري في الإسلام بأنّ أهدافه سلمية بحتة، وبعبارة أخرى أن العسكرية في الإسلام هي لأجل السلم والسلام ، إذ أنّ الانتقام من الأنظمة الدكتاتورية التي تسعى في إهلاك الحرث والنسل لا شك أنه سلم للناس ، وإنّ كل عمل عسكريٍ يعمل على انتشال الناس من الحضيض وإعادة حريتهم في الاختيار أو حق من حقوقهم المسلوبة ، أو يعمل على دفع الأضرار التي تحيط بهم لا شك أنّه سلم وسلام للناس ، لذا كان من أهم النعم التي ذكّر بها الباري تعالى عباده هي نعمة الأمن ، حيث قال (جل جلاله) : ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ﴾ [1] ، فالأمن من الخوف من أهم الحوائج التي يسعى إليها الأنسان في حياته اليومية ، ومن هنا أولت الشريعة المقدّسة للمنظومة العسكرية (الأمنية) أهمية بالغة في نصوصها وتشريعاتها ، ابتداءً من الإعداد والاستعداد العسكري بشقّيه (المعنوي والمادي) ومروراً بالقيادة العسكرية والقائد والجند وما يجب لهم أو عليهم وانتهاءً ببعض الأساليب العسكرية المهمّة للمواجهة ، وكذلك ما يجب على القائد والجند فعله فيما لو وضعت الحرب أوزارها .

وفي الختام لا يفوتنا الإشارة الى أن الخيار العسكري الحربي وإن كان خياراً مهما لحسم بعض الملفات المهمة التي تتعلق بالأمن والاستقرار، الا أنّه آخر الخيارات التي يلجئ اليها الدين ، بعد أن يسلك كل السبل الأخرى التي من شأنها أن تطفأ لهيب الحرب من جهة وتمنع التعدّي على الآخرين وظلمهم من جهة أخرى .

(١) سورة قريش : الآيات ٣،٤.

المُقَدّمَة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وأعزّ المرسلين حبيب إله العالمين أبي الزهراء المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد ...

مذ أول يوم قرر الباري تعالى خلق الإنسان، فكأنه اختلّ نظام الطاعة في الملكوت الأعلى، فالملائكة التي حدثنا عنهم القرآن بانهم ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1]، وأنهم كانوا في قمة الانضباط والطاعة لله رب العالمين، وإذا بهم ينتفضون جميعا في فزع ووجل، معترضين على خلق الإنسان فقالوا بصوت واحد:﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]،فقد تنبأت الملائكة بطبيعة هذا الإنسان المخلوق من الطين بأنه يميل إلى الإفساد وسفك الدماء، كما وإنَّ الباري تعالى لم يسجل اعتراضه على ما تنبّأت به الملائكة، بل إنَّ تاريخ الإنسانية وحاضرها خير شاهد صدق على أنَّ الملائكة لم تخطأ في نظرتها للإنسان، ولكن إذا نظرت بعين الفاحص المتأمل تجد أنَّ في الإنسان الأنبياء والاولياء والمصلحين والأئمة وكثيرا من المؤمنين المرتبطين بالله تعالى، من هنا تعرف أنَّه ليس مطلق الإنسان على ما وصفت الملائكة ، ولعل الأكثر على ما وصفت بل الأكثر حتماً، قال تعالى : ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾[3]، فيتضح من ذلك أنَّ هناك قوى للشر متمثلة بذلك الإنسان المتغطّرس المتجبّر الذي يميل إلى الفساد، وهناك قوى للخير متمثلة بأولياء الله الصالحين، ولا شكَّ أنَّه لا بدَّ من الصراع الحتمي بين تلك القوى، بين الحق والباطل، وهذا الصراع تارة يتمظهر بشكل فكري علمي، وسجال معرفي، وتارة إلى المظهر الحربي العسكري، وحيث إنَّ السجال العلمي لا ينفع كثيراً؛ إذ إنَّ

(١) سورة التحريم: الآية ٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٠ .

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٠٢.

الباطل لا أساس له يعتمد عليه ولا دليل له يستند إليه، فينتقل الصراع إلى الميدان الحربي العسكري، ومن هنا أولت الشريعة اهتماما بالغا للجانب العسكري ؛ إذ به قوام الحق ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾[1]، فتوالت الآيات والروايات لوضع منهاجاً عسكرياً متكاملاً، وهو ما يدخل في باب الإعداد والاستعداد الواجب على المجتمع الإيماني ، كالإعداد النفسي والمعنوي من خلال بناء الجند بناءً عقائديا صحيحا يجعل المدار والهدف من تضحيات الجند هو الرغبة بما عند الله تعالى ، وكذلك الإعداد المادي وما يستلزمه من تدريب وتسليح وسيطرة على منابع القوة ، ومن ثم الى الدخول الى تفاصيل المنظومة العسكرية ، كبيان أهمية القيادة وأنواعها ، وأيّ نوع هو الأفضل في نظر الشارع المقدس ، ومن ثم الكلام على ما ينبغي ان يتصف به القائد العسكري من صفات تؤهّله لأن يتحمل مسؤولية قيادة المعارك ، ومسؤولية توجيه الجند بالاتجاه الصحيح ، وكذلك الحديث عن صفات الجند التي ينبغي أن يتّصفوا بها ، ومسؤولياتهم تجاه القيادة او في المعركة وما بعدها، وبعد ذلك يأتي الحديث عن بعض الأساليب الحربية المهمة الواجب أتباعها أو معرفتها بشكل عام كي لا يقع الجيش الإسلامي في شراك العدو فيما لو استخدمها ، والحديث عن تعاليم الحرب المهمة والتي تختصر طريق الانتصار في الحرب ، وأخيرا الحديث عن آداب الحرب وما ينبغي فعله او تجنّبه فيها وكذلك سلسلة الآداب الواجب أتباعها بعد الحرب مع الأسرى والسبي ونحوهما ، وهكذا نرى إحاطة الشريعة الإسلامية بالمباحث العسكرية واهتمامها بها ، ومن هنا قسَّم الباحث دراسته إلى ثلاثة فصول، كان الفصل الأول منها يتناول المنظومة العسكرية والمفردات التي تتصل بها في القرآن، والحرب وأقسامها وغاياتها وسبل الاستعداد إليها في القرآن، وتناول الفصل الثاني من الرسالة الحديث عن القيادة وأنواعها والقائد والجند فضلاً عن أهم الصفات والواجبات والحقوق، فيما تناول الفصل الثالث منها بعض الأساليب الحربية وكذلك بعض التعاليم والآداب المهمة.

(١) سورة الحديد: الآية ٢٥.

إشكالية البحث

نحاول الإجابة في هذه الرسالة على عدة تساؤلات تتعلق بموضوع في غاية الأهمية قديما وحديثا ، وأهم تلك الأسئلة هي :

١-هل هناك حاجة ماسّة إلى استعمال القوة ؟

٢-الا تناقض الحرب مبدأ السلام الذي سعت إليه جميع الشرائع السماوية ؟

٣-وهل أن الدين انتشر بالقوة كما يحاول بعضهم إشاعته ؟

٤-ما هي أبرز الصفات التي تخص المحارب الإسلامي ؟

٥-هل هناك قواعد وآداب تختص بالحرب عند الإسلام ؟

وهناك كثيرٌ من الأسئلة الأخرى المتناثرة بين صفحات الرسالة وقد تم الإجابة عنها بما قدرنا الله عليه .

أهمية البحث

يمكن القول: بأنَّ أهمية البحث تأتي من أهمِّية الموضوع الذي تبحثه الدراسة، وبما أنَّ الأرض لم تزل ولا تزال حافلة بالصراع العسكري المستمر الذي يُقلق الإنسانية على طول الخط، فمن المهم جداً أن يطّلع الإنسان على رأي الدين في مسائل الحرب وما هي أهم الطرق والوسائل التي انتخبها لتحقيق الانتصار من جهة ، وتقليل الخسائر من الدماء والمعدات من جهة أخرى.

هدف البحث

لا شكَّ أنَّ لكل بحثٍ علمي هدفاً محدداً يسعى الباحث الوصول إليه من خلال دراسته؛ كي لا يتشتّت جهده وينحرف عن المسار، ومن هنا كان أهم هدف لهذه الدراسة هو :

١- إثبات أنَّ الدين لا يسعى للحرب إلّا إذا اضطر إليها.

٢- أنّ للدين منهجا عسكريا متكاملا ، يتلائم مع مختلف الأزمنة والأمكنة.

٣- غاية الدين من الحرب إنسانية نبيلة.

٤- الهدف من الحرب تحقيق الاستقرار والأمن وردع المعتدين.

صعوبة الدراسة

من أهمِّ المعوقات التي واجهت الباحث هي قلّة المصادر (الشيعية) التي كُتبت عن العمل العسكري، وكون الموضوع فيه جنبة مستحدثة، فكان البحث شاقا في كلمات الاعلام المتناثرة في طيات كتبهم ومؤلفاتهم التي تعرضت لبعض المسائل العسكرية، كما يعد موضوع الدراسة من القضايا الفكرية التنظيرية ، مضافا الى تعارض المدونات التاريخية لحقائق الحرب ونظمها وقواعدها.

الدراسات السابقة

كُتبت كثير من الدراسات حول العسكرية الإسلامية بشكل عام في مصادر العامة الا ان المكتبات الشيعية كانت تخلو من تلك الكتابات وتفتقر اليها كثيرا، فلم أجد كتبا في هذا الميدان – بحدود مطالعاتي القاصرة – سوى كتاب (بحوث حول النظام العسكري) للكاتب احمد زماني، الذي تناول فيه الكثير من المباحث العسكرية وفقا لنهج النبي محمد (صلى الله عليه وآله)

أسباب اختيار الموضوع

للوهلة الأولى لم يكن الموضوع ضمن قائمة اختياراتي الشخصية، وانما قدَّمه الي مشكوراً جناب الدكتور المحترم (ضرغام كريم الموسوي) ولكن لدى التأمل في العنوان والبحث عنه وجدت أنَّ المكتبة الإسلامية بشكل عام، والمكتبة الشيعية بشكل خاص بحاجة شديدة إلى كتابات من هذا النوع لملء بعض الفراغ فيها، فسعيت جاهداً أنَّ أستمر فيه رغم صعوبته وقلّة مصادره من جهة، وتناثر كلمات الاعلام في مؤلفاتهم التي يصعب الوصول إليها من جهة أخرى.

الفصل الأول

الحرب أسبابها ودواعيها وسبل الاستعداد لها في القرآن

المبحث الاول: التعريف بمفردات العنوان والمفاهيم

المطلب الأول : تعريف المنظومة العسكرية لغة واصطلاحا

المطلب الثاني : المفاهيم ذات الصلة

المبحث الثاني : أسباب الحرب ودواعيها في القرآن

المطلب الأول : الحرب الدفاعية (الجهاد الدفاعي)

المطلب الثاني : الحرب الهجومية (الجهاد الابتدائي)

المبحث الثالث : الإعداد للحرب في القرآن

المطلب الأول : إعداد القوة

المطلب الثاني : المصاديق المتعددة لمفردة القوة

المبحث الأول

تعريف مفردات العنوان والمفردات ذات الصلة

لا يمكن التعامل مع أي عنوان ما لم تتضح لنا معالمه والمراد منها، ومن هنا تنبثق الحاجة إلى التعريف، إذ إنَّه يمثل الهوية الشخصية لكل علم، والتي بموجبها يتم التعامل مع العنوان المبحوث عنه، أو المفردة التي يُراد دراستها، ولهذا ستكون المطالب الخاصة بهذا المبحث معنيّة بتعريف مفردات العنوان، والمفردات ذات الصلة به، وهي كالآتي:

المطلب الأول

تعريف المنظومة العسكرية لغة واصطلاحا

أولاً: المنظومة في اللغة والاصطلاح :

١ – المنظومة لغةً:

وأصلها يعود إلى الفعل (نَظَمَ) وقد ورد في تعريف (النِّظم) لغة ، بانه: "التأْليفُ، نَظَمَه يَنْظِمُه نَظْماً ونِظاماً ونَظَّمه فانْتَظَم وتَنَظَّم. ونظَمْتُ اللؤْلؤَ أي جمعته في السِّلْك، والتنظيمُ مثله، ومنه نَظَمْتُ الشِّعر ونَظَّمْته، ونَظَمَ الأمر على المثَل. وكلُّ شيء قَرَنْتَه بآخر أو ضَمَمْتَ بعضَه إلى بعض، فقد نَظَمْتَه. والنَّظْمُ: المَنْظومُ، وصف بالمصدر. والنَّظْمُ: ما نظَمْته من لؤلؤٍ وخرزٍ وغيرهما، واحدته نَظْمه. ونَظْم الحَنْظل: حبُّه في صِيصائه" (١) .

وقال الزبيدي: "النَّظْمُ: التَّأْلِيفُ وَضَمُّ شيء إلى شيء آخَرَ، وكُلُّ شيء قَرنْتَه بِآخَرَ فقد نَظَمْتَه. والنَّظْمُ: المَنْظُومُ بِاللُّؤْلُؤِ والخَرَزِ وَصْفٌ بِالمَصْدَرِ، يُقالُ: نَظْمٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ. والنَّظْمُ: الجَمَاعَةُ مِنَ الجَرَادِ. يُقالُ: جَاءَنَا نَظْمٌ مِنَ الجَرَادِ، وهو الكَثِيرُ كَمَا في الصِّحاح، وهو مَجَازٌ " (٢) .

---

(١) لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور، ادب الحوزة، قم ـ ايران، ١٤٠٥هـ: ٥٧٨/١٢.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس: محب الدين أبي فيض الواسطي الزبيدي، تح: علي شبَّر، دار الفكر، ١٩٩٤م: ٦٨٩/١٧.

ومادة (نظم): "نون والظاء والميم أصل يدل على تأليف شيء وتكثيفه . ونظمت الخرز نظماً ونظمت الشعر وغيره. والنظام الخيط يجمع الخرز" [١].

٢- **المنظومة اصطلاحاً:**

وردت عدة تعريفات للمنظومة، منها [٢] :

أ- هي الكل المركب من عدد من المكونات، ولكل مكون وظيفة نحو نفسه ونحو بقية المكونات، فهي مجموعة من العناصر المترابطة التي تتفاعل لكي تقوم بوظيفة محددة ، بغرض تحقيق هدف معين، أو مجموعة أهداف، وقد لا تعمل المنظومة بشكل جيد، ولكنها مع ذلك تبقى منظومة.

ب- مجموعة متكاملة من المكونات والعناصر مرتبطة بعضها ببعض كل جزء فيها يؤثر على الآخر ويتأثر به .

ج- المنظومة مجموعة من العناصر أو الكيانات المرتبطة بعلاقات تبادلية بين بعضها البعض، وتنظم داخل إطار مشترك يستقبل متغيرات محددة تتفاعل مع الكيانات بداخله تحت تأثير الظروف المحيطة به لتتحول إلى عوامل محددة.

ومن خلال ما عُرض من التعريفات نلاحظ أنَّ كلمة (منظومة) تعني ترابط الأشياء فيما بينها، أو بين عناصرها، وهذا الترابط ينتج عنه أهداف معينة، أو مكونات أو علاقات مرتبطة مع بعضها ببعض.

ثانياً: العسكرية في اللغة والاصطلاح:

١- **العسكرية لغة:** " العَسكَرُ: الجَمْعُ ، فارِسِيٌّ عُرِّبَ ، وأَصلُه لَشْكَر ويُرِيدُون به الجَيْشَ ويَقْرُبُ منه قول ابنِ الأَعْرَابِيّ إِنّه الكَثِيرُ من كُلِّ شيْءٍ. يقال عَسْكَرٌ من رِجال ومالٍ وخَيْل وكِلابٍ وقال الأَزهريّ: عَسْكَرُ الرجلِ جَماعَةُ مالِه ونَعَمِه. قال ثعلب: يُقَال: العَسْكَرُ مُقْبِلٌ ومُقْبِلُون فالتَّوْحِيد على الشَّخْص والجَمْع على جَماعَتِهم. والعَسْكَرَة: الشِدَّة والجَدْبُ. وفي الأَساس شَهِدْتُ العَسْكَرَيْن. قالوا: العَسْكَرانِ عَرَفَةُ ومِنىً كأَنَّه لتجمُّع الناسِ فيهما. والعَسْكَر: مُجْتَمَعُ الجَيْشِ. وعَسْكَرُ اللَّيْلِ: ظُلْمَتُه. وقد عَسْكَرَ

(١) معجم مقاييس اللغة: احمد بن فارس، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت ـ لبنان، ٢٠١٢م: ٤٤٣/٥.

(٢) مفهوم المنظومة والنظم الأساسية فيها: مها لافي البلوي، http://maha19933.blogspot.com

اللَّيْلُ : تَرَاكَمَتْ ظُلْمَتُه. وعَسْكَرَ القَوْمُ بالمَكانِ: تَجَمَّعُوا أَو وَقَعُوا في شِدَّة أَو جَدْبٍ. وعَسْكَرَ الرَّجُلُ فهو مُعَسْكِرٌ والمَوْضِع مُعَسْكَرٌ بفتح الكاف" [١] .

٢- العسكرية اصطلاحا:

وردت عدة تعاريف للعسكرية منها:

أ- "مصطلح يستعمل في أوسع معناه بمعنى الحرب أو ما يخص الحرب أو شؤونها سواء القوة البرية أو البحرية أو الجوية"[٢].

ب- "عمل يتم تنفيذه بقوة السلاح، وهي ما يؤديه الجنود من مهام تتعلق بالقوات البرية، وأحياناً الجوية أيضاً، تمييزا لها عن القوات البحرية"[٣].

ج- " هي العلم الذي يعنى بدراسة مختلف شؤون الحرب والقتال مثل أسباب الحرب وأهدافها ـ آداب الحرب ـ بناء الجيش القوي ـ بناء المقاتل ـ إعداد القادة ـ التدريب على القتال ـ الحرب النفسية ـ المخابرات والأمن ومقاومة الجاسوسية ـ الانضباط والجندية وتقاليدها ـ بناء الروح المعنوية وإرادة القتال ـ إعداد الأمَّة للحرب ـ الصناعة الحربية واقتصاديات الحرب ... الخ"[٤].

العسكرية معنى واضح المفهوم في يومنا الحاضر، فهي تختص بالجند وعملهم، وما يتصل بهم، من سلاح وعدد، وعمليات وخطط، ونحوها من المسائل العسكرية التي تدخل في عمل الجيش، وهذا ما أشارت إليه التعاريف أعلاه.

٣- المنظومة العسكرية

"وهي الهيئة أو المؤسسة، التي تعم الأساليب والأنظمة التي تدير كل ما يتعلق بالعسكرية، من إدارة وخدمات وكل شيء"[٥].

---

(١) تاج العروس : الزبيدي:٣١٨٩/١-٣١٩٠.

(٢) معجم المصطلحات العسكرية: العميد سامي عوض، دار أسامة، ط١، عمان – الأردن، ٢٠٠٨م: ٣٦٣.

(٣) المعجم العسكري: احمد محمود:٥٥٥.

(٤) صور الاعلام العسكري: عاطف إبراهيم المتولي رفاعي: ٨.

(٥) مدخل الى الاستراتيجية العسكرية : ترجمة اكرم ديري، دار الطليعة ، ط١ ، بيروت – لبنان:٢٧.

المطلب الثاني

المفاهيم ذات الصلة

استخدم القرآن الكريم عدة الفاظ تعدُّ ذات صلة بموضع البحث في هذه الرسالة بل انها تعدُّ من صميم العمل العسكري، وهي كالآتي:

أولا : الجهاد

١-تعريفه :

فقد "عرّفه الأكثر بأنّه بذل الوسع بالنفس والمال في محاربة المشركين أو الباغين على الوجه المخصوص"(١)، وعند ابن حجر، يعني: " بذل الجهد في قتال الكفار ويطلق أيضا على مجاهدة النفس والشيطان والفساق"(٢).

لا شك أنَّ عملية الجهاد مع النفس والشطان، مقدمة لجهاد الكفار، فمن لم يجاهد هواه، ولم يصارع شيطانه، لا يخرج لقتال عدو، فضلاً عن الوقوف بوجهه، والصمود أمامه.

٢-أنواع الجهاد :

وينقسم الجهاد إلى أربعة أنواع، وهي كالآتي :

أ- جهاد النفس :

قال تعالى : ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(٣)، فقد ورد في تفسيرها أنّ المراد من الجهاد في هذه الآية هو خصوص جهاد النفس دون مقاتلة الكافرين (٤) .

وجهاد النفس هو أول مراتب الجهاد، ويعني مقارعة الإنسان نفسه ونهيها عن الهوى، ولولا هذا النوع من الجهاد لما جاهد إنسانٌ عدوا، ولا دفع ظالم عن ظلمه، وهو

---

(١) دليل تحرير الوسيلة (ولاية الفقيه): علي أكبر السيفي المازندراني مؤسسة العروج ، ط١، ١٤١٧هـ : ١١٢ هامش الصفحة.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري : شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة ، ط٢، بيروت – لبنان: ٢/٦.

(٣) سورة العنكبوت : الآية ٦.

(٤) الميزان في تفسير القران: السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة:١٠٧/١٦.

أفضل الجهاد وأعلاها رتبة وأفضلها منزلة، وقد صدعت في فضله الروايات، حتى عُبّر عنه بالجهاد الأكبر، فقد روى الكليني (رحمه الله) عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بَعَث بسرية فلما رجعوا قال: "مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس"(١)، وقال الترمذي: حدثنا أحمد بن محمد حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا حياة ابن شريح، قال أخبرني أبو هانئ الخولاني أنَّ عمرو بن مالك الجنبي أخبره أنَّه سمع فضالة بن عبيد يحدث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول:" المجاهد من جاهد نفسه"(٢).

ب- جهاد الشيطان:

واما جهاد الشيطان فطرد وساوسه وعدم اتباعه فيما يزينه من الشبهات والشهوات، وأنَّه عدو للمؤمن، بصريح قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾(٣) "والمراد باتخاذ الشيطان عدواً التجنب من اتباع دعوته إلى الباطل وعدم طاعته فيما يشير إليه في وساوسه وتسويلاته ولذلك علَّ عداوته بقوله: (إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ). فقوله ؟ (إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ) في مقام تعليل ما تقدمه والحزب هو العدة من الناس يجمعهم غرض واحد، واللام في (لِيَكُونُواْ) للتعليل فكونهم من أصحاب السعير علّة غائية لدعوته، والسعير النار المسعرة"(٤).

وفي الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنَّه قال: "لا يزال البدن في جهاد الشيطان ما دام في صلاته"(٥).

---

(١) الفروع من الكافي: محمد بن يعقوب الكليني، تح: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، مطبعة حيدري، ط٣، طهران – إيران، ١٣٦٧ش:٥/١٢.

(٢) سنن الترمذي: الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تح: عبد الرحمن محمد عثمان دار الفكر للطباعة والنشر، ط٢، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٣هـ:٣/٨٩.

(٣) سورة فاطر : الآية ٦.

(٤) الميزان: الطباطبائي: ١٧/١٨.

(٥) المجازات النبوية: الشريف الرضي، تح: د. طه محمد الزيني، مكتبة بصيرتي، قم: ١٨٩.

ج- جهاد الكفار :

وهو المصداق الأبرز، والمتبادر إلى الذهن سريعاً من لفظ الجهاد فيما لو جاءت مطلقة، بل إنَّ جميع آيات الجهاد محمولة على قتال الكفار، إلّا ما خصصته الروايات أو فسرته بمعنى آخر أو دلَّت عليه القرائن، ويعني جهاد الكفار قتالهم بالسيف أو ما شابه، وقد نطقت به آيات كثيرة وروايات عديدة، ومن الآيات قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾[1]، وإنَّها تشير إلى تكتيك عسكري مهم وهو البدء بقتال العدو الأقرب فالأقرب[2].

وقوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾[3]، "جهاد القوم ومجاهدتهم بذل غاية الجهد في مقاومتهم وهو يكون باللسان وباليد حتى ينتهي إلى القتال، وشاع استعماله في الكتاب في القتال... واستعماله في قتال الكفار على رسله لكونهم متجاهرين بالخلاف والشقاق"[4].

ومن الروايات ما رواه أحمد بن حنبل، إذ قال: حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا يزيد ثنا حماد عن حميد عن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ): "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم"[5].

د- جهاد المنافقين :

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾[6]، مما لا شك فيه ان الخيار العسكري والحربي لم يكن مطروحاً في جهاد المنافقين، إذ إنَّهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، وهذا ما كان مانعاً من إعمال السيف فيهم، كون إظهار كلمة الإسلام كافية لحقن الدم، إلّا أنَّ هناك أشكالاً أخرى لجهادهم غير الخيار العسكري،

---

(١) يُنظر: الميزان: الطباطبائي:٩/٤٠٤.

(٢) يُنظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان :٦/٢٧٢.

(٣) سورة التوبة: الآية ٧٣.

(٤) الميزان: الطباطبائي:٩/٣٣٩.

(٥) مسند احمد: ٣/١٢٤.

(٦) سورة التوبة: الآية ٧٣.

كـذمهم وتـوبيخهم وتهديـدهم وفضـيحتهم وربمـا أشـارت جملـة (وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ) إلـى هـذا المعنى[1]، كما قيل: بأنَّ جهاد المنافقين بالقول وجهاد الكفار بالحرب[2].

وبحثنا في هذه الرسالة يدور حول جهاد الكفار، وإن كان في طرف منها يشمل المنافقين أيضاً، وأما جهاد النفس والشيطان فهو لا شك مندرج تحت عنوان جهاد الكفار، إذاً هو مقدمة ضرورية لجهاد الكافرين وبدونه لا جهاد معهم، ولكن الحديث عنه خارج عن خطة الرسالة.

٣- فضيلة الجهاد:

ركّز القرآن الكريم على هذا المصطلح في كثير من الآيات؛ محاولا تكريسه في نفوس اتباعه من المؤمنين على مختلف أعمارهم وطبقاتهم، ومستوياتهم العلمية والثقافية، وقد وردت فيه آيات كثيرة تحث على الجهاد وترغّب فيه، ومنها:

قولـه جـلَّ وعـلا: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾[3]، قال الشيخ الطوسي: "بيَّن الله بهذه الآية أنَّه "لَّا يَسۡتَوِي" ومعناه لا يعتدل "ٱلۡقَٰعِدُونَ" يعني المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله من أهل الإيمان بالله وبرسوله. المؤثرون الدعة والرفاهية على مقاساة الحر والمشقة بلقاء العدو، والجهاد في سبيله إلّا أهل الضرر"[4].

وقولـه جـلَّ ثنـاؤه: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[5]، أي: هل تظنون أنكم تنالون أوج السعادة المعنوية بمجرد اختياركم لاسم

---

(١) يُنظر: الأمثل: مكارم الشيرازي:١٢٥/٦.

(٢) أحكام القران: أبو بكر احمد بن علي الرازي الجصاص، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ :٦٢٤/٣.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٩٥.

(٤) التبيان في تفسير القران: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تح: أحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة مكتب الاعلام الإسلامي ، ط١، ١٤٠٩هـ :٢٩٩/٣.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٥٠ .

المسلم، أو بمجرد أنكم حملتم العقيدة الإسلامية في الفكر دون أن تطبقوا ما يتبعها من التعاليم؟ لو كان الأمر كذلك لكان هيناً جداً، ولكن ليس كذلك حتماً، فإنَّه ما لم تطبق التعاليم التي تتبع تلك المعتقدات، في واقع الحياة العملية لم ينل أحد من تلك السعادة العظمى شيئا. وبعبارة أخرى إنَّ الجهاد هو ميدان التطبيق العملي لتعاليم الدين، وإنَّه في ساحة القتال وأرض المعركة يمتاز المؤمن عن غيره ، بظهور شمائل إيمانه، وبروز صدقه مع ربه بالصبر على نصرة دينه، ويظهر في أرض المعركة كوامن جهاد الإنسان مع نفسه وشيطانه وتتجلى بارزة بجهاده لأعداء الدين وهنا بالذات تتميز الصفوف، ويعرف المجاهدون الصابرون عن غيرهم(١).

ومن السُنَّة الشريفة أيضاً وردت كثير من الروايات الصادعة بفضله، والحثّ عليه، والتحذير من تركه والتخاذل عنه، ومن تلك الروايات:

ما رواه أحمد بن حنبل، إذ قال: حدثني أبي ثنا معاوية ثنا أبو إسحق عن عبد الرحمن بن عياش عن سليمان بن موسى عن مكحول عن أبي أمامة عن عبادة بن الصامت قال: قال (صلى الله عليه وآله وسلم): "عليكم بالجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى فإنَّه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم"(٢).

والجهاد هو باب فتحه الله لخاصة أوليائه، فقد روى الكليني، عن مسعدة بن صدقة قال: حدثني ابن أبي ليلى، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): "أما بعد فإنَّ الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه وسوغهم كرامة منه لهم ونعمة ذخرها، والجهاد هو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذُلِّ وشمله البلاء وفارق الرضا وديث بالصغار والقماءة، وضرب على قلبه بالأسداد وأديل الحق منه بتضييع الجهاد وسئم الخسف ومنع النصف"(٣)، وقد ذكرت الصديقة الطاهرة فاطمة (عليها السلام) في فلسفة تشريع الجهاد أنَّه: "عِزَّاً للإسلام"(٤).

---

(١) يُنظر: الأمثل: مكارم الشيرازي، ج٢، ص٧١٤.

(٢) مسند احمد: الامام احمد بن حنبل، دار صادر، بيروت – لبنان :٣١٩/٥.

٣) الكافي: الكليني: ٤/٥.

(٤) الاحتجاج: أبو منصور احمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي ، تح : السيد محمد باقر الخرسان ، دار النعمان للطباعة والنشر ، النجف الاشرف ١٣٨٦هـ :١٣٤/١.

٤- شرائط وجوب الجهاد

ذكر الفقهاء في كتبهم الفقهية شرائط للجهاد يمكن إجمالها في ما يلي [١] :

أ- وجود إمام عادل أو من نصَّبه إمام عادل للجهاد .

ب- أن يكون المجاهد ذكرا بالغا عاقلا .

ت- صحيح الجسم حرا ولا يجوز أن يكون شيخا لا قدرة له على الجهاد كما لا يجب على العبد .

ث- ويستثنى مما مرَّ من الشروط فيما لو كان الجهاد دفاعا عن النفس او الإسلام .

٥-الجهاد فرض على الكفاية

اتفقت كلمات أعلام المسلمين على أنَّ الجهاد في سبيل الله فرض على الكفاية، وقد نقل الشيخ الطوسي ذلك الإجماع، إذ قال: "الجهاد فرض على الكفاية ، وبه قال جميع الفقهاء"[٢]. ومعنى قوله فرض على الكفاية: "إنَّه إذا أقام به من يكتفى به فيه من بعض المسلمين سقط فرضه عن الباقين، والذين يمكن حصول الكفاية بهم، هم الذين يكونون في أطراف بلاد الإسلام، فإنهم إذا طرقهم العدو وكان فيهم كفاية لهم وقيام بكفهم ودفعهم فالفرض ساقط عن غيرهم"[٣].

ومن الأمثلة المعاصرة على الجهاد الكفائي ما حصل أيام التحصيل الدراسي ، وتحديدا في عام ٢٠١٤م ، من فتوى المرجعية المباركة في النجف الأشرف للجهاد الكفائي أمام أعتى التنظيمات الإرهابية التي احتلت جزءا كبيرا من العراق بين ليلة وضحاها ، الا أن استجابة الغيارى المؤمنين من أبناء هذا الشعب الأبي لفتوى مرجعيتهم المباركة وتصديهم وتضحيتهم بالغالي والنفيس ، حال دون تقدم هذه التنظيمات المجرمة ، بل كبدها خسائر فادحة حتى عادت تجر خلفها أذيال الخيبة.

---

[١] يُنظر : الاقتصاد الهادي الى طريق الرشاد: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي مطبعة الخيام، قم – إيران، ١٤٠٠هـ:٣١٢. و الدروس الشرعية في فقه الامامية: شمس الدين محمد بن مكي العاملي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط٢:١/٢٩.

(٢) الخلاف: أبو جعفر الطوسي، تح: السيد علي الخرساني، السيد جواد الشهرستاني، الشيخ مهدي نجف، ط٢، قم- إيران، ١٣٢٠هـ:٥/٥١٧.

(٣) المهذب: القاضي عبد العزيز بن البراج الطرابلسي ، إعداد مؤسسة سيد الشهداء العلمية ، إشراف : جعفر سبحاني ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ١٤٠٦هـ:١/٢٩٣.

ثانيا : الحرب

١- الحرب اصطلاحا :

عُرفت الحرب بمعناها العام بأنها : "صراع مسلح بين دولتين أو أكثر لتحقيق أغراض سياسية أو للدفاع عن المصالح الوطنية"(١). وقيل: "القتال بين طرفين أو أكثر من الناس" (٢).

اما تعريفها في الإسلام فهي : "بذل الجهد والطاقة في نشر الإسلام لحمل الكفار على امتثال أوامر الله، ولو أدى ذلك إلى قتالهم، وذلك لتكون كلمة الله هي العليا، ويظهر الدين الإسلامي على سائر الدين"(٣).

وخلاصة التعاريف أن الحرب هي صراع بين طرفين، لأغراض وأهداف معينة، قد تكون تلك الأهداف سامية نبيلة، وقد تكون منحطّة دنيئة.

٢- الحرب في القرآن :

وردت مفردة الحرب في القرآن في أربعة مواطن، وهي :

قوله تعالى : ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾(٤)، " أيقنوا بحرب أو أعلموا أنفسكم باليقين بحرب من الله ورسوله، وتنكير الحرب لإفادة التعظيم أو التنويع"(٥)، ويستفاد من كلام السيد الطباطبائي (قدس سره) من أنَّ تنكير الحرب للتعظيم والتنويع، أنَّ الحرب لا تقتصر على القتال بالسيف أو الطعن بالرمح ونحوهما، وإنَّما هناك أنواع أخرى للحرب، كالمقاطعة الاقتصادية أو التضييق المالي أو التهجير من بلد إلى آخر ونحو ذلك، وبعبارة أخرى أنَّ للحرب مصاديق كثيرة، أحدها القتال بالسيف، وبهذا تكون الحرب أوسع دائرة من القتال.

---

(١) اخلاقيات الحروب في السيرة النبوية: حميد الصغير:١٦.

(٢) معجم الفاظ الفقه الجعفري: د. احمد فتح الله : ١٥٧.

(٣) اخلاق الحرب في ضوء القران الكريم: د. عبد الرحمن بن عمر المدخلي، أبحاث ملتقى العسكرية الإسلامية:١٠.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٧٩.

(٥) الميزان: الطباطبائي:٢/٤٢٢.

وقولـه عـزَّ وجـلّ: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[1]، أي: كلما اوقد اليهود نارا للحرب على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اطفأها الله تعالى بلطفه، ورد كيد الأعداء إلى نحورهم[2].

وقولـه جـلَّ وعـلا: ﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾[3]، و"قوله: (فَإِمَّاتَثۡقَفَنَّهُمۡ) أصله إنَّ تثقفهم دخل (ما) التأكيد على أنَّ الشرطية ليصحح دخول نون التأكيد على الشرط والكلام مسوق للتأكيد في ضمن والشرط. والمراد بتشريد من خلفهم بهم أن يفعل بهم من التنكيل والتشديد ما يعتبر به من خلفهم، ويستولى الرعب والخوف على قلوبهم فيتفرقوا وينحل عقد عزيمتهم واتحاد إرادتهم على قتال المؤمنين وإبطال كلمة الحق"[4]، وتشريد من خلفهم داخل في إطار الحرب النفسية، فإذا ذاع خبر انتصار المسلمين على أعدائهم، وقد فعل المسلمون بهم ما يستحقونه من التنكيل والعذاب، دبَّ الرعب في قلوب من خلفهم، وأُسقط بين أيديهم.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ﴾[5]،"حتى يستسلم العدو ويلقي السلاح"[6].

ثالثا: القتال

١-القتال اصطلاحاً :

" الحرب والمدافعة بالسلاح" [7].

٢-القتال في القرآن :

ورد لفظ القتال ومشتقاته في ثلاثة عشر مورداً في القرآن وكلها بمعنى الحرب، ومنها على سبيل المثال :

---

(١) سورة المائدة : الآية ٦٤.

(٢) يُنظر: الأمثل: مكارم الشيرازي:٤/٧٧.

(٣) سورة الانفال: الآية ٥٧.

(٤) الميزان: الطباطبائي:٩/١١٣.

(٥) سورة محمد: الآية ٤.

(٦) التفسير المبين: محمد جواد مغنية ، مؤسسة الكتاب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ : ٦٧٣.

(٧) معجم لغة الفقهاء: محمد قلعجي ، دار النفائس، ط٢، بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ: ٣٥٧.

قولـــه تعـــالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ ﴾[1]، قـــال الشـــيخ الطوسي(رحمه الله): "التحريض والحث نظائر، وهو الدعاء الأكيد بتحريك النفس على أمر من الأمور. وضده التفتير. والمعنى حثهم على القتال"[2]، أي حرضهم ورغبهم في الجهاد في سبيل الله[3].

وقولـــه عـــزَّ وجـــلّ: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴾[4]، "والمعنى: ورد الله الذين كفروا مع غمهم وحنقهم والحال أنَّهم لم لم ينالوا ما كانوا يتمنونه وكفى الله المؤمنين القتال فلم يقاتلوا وكان الله قوياً على ما يريد عزيزاً لا يغلب"[5]، فقد منع الباري تعالى وقع الحرب وكفى المؤمنين القتال بـ(علي بن أبي طالب (عليه السلام)) وما صنعه بعمر بن ود[6].

وقولـه جـلَّ وعـلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ ﴾[7]، أي إنَّ الباري تعالى يشير إلى معاملة تجارية بينه وبين المؤمنين، إذ إنَّه تعالى اشترى منهم أنفسهم من خلال الجهاد في سبيله وإعلاء دينه، في قبال ما وعدهم به من جنات عرضها السموات والأرض[8].

وقوله عزَّ من قائل: ﴿وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾[9]، ﴾[9]، في الآية وعد إلهي لكل من قاتل في سبيل الله، ونصرة للحق وإعلاء كلماته بالاجر العظيم والثواب الجزيل سواء غَلب أو غُلِب[10].

---

(١) سورة الانفال: الآية ٦٥.

(٢) التبيان في تفسير القران: الطوسي :١٥٣/٥.

(٣) يُنظر: الأمثل: مكارم الشيرازي:٤٨٤/٥.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٢٥.

(٥) الميزان: الطباطبائي :٢٩١/١٦.

(٦) يُنظر: التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، ط٣، بيروت ـ لبنان:٢٠٦/٦.

(٧) سورة التوبة: الآية ١١١.

(٨) يُنظر: الأمثل: مكارم الشيرازي:٢٨٨/٦.

(٩) سورة النساء: الآية ٧٤.

(١٠) يُنظر: التفسير الكاشف: مغنية :٣٧٨/٢.

وقولـــه تعـــالى :﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[1]، أي: "جاهدوا لإعلاء كلمته وإعزاز دينه"[2].

وقال عزَّ من قائل: ﴿فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾[3]، ففـــي الآيـــة الكريمـــة دفـــع وترغيب وحثّ على الجهاد وذمّ من يبطئ في الخروج إليه، كما أنَّ فيها إشارة إلى تجارة مربحة مع الله تعالى، ببذل الأنفس مقابل جنات عرضها السموات والأرض، ورضوان من الله تعالى اكبر[4].

وقوله جلَّ وعلا: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾[5] [5] وفيها إشارة إلى فضل من يقتل في سبيل الله تعالى، ووصفه بأنه حي يتنعم بنعم الله الوفيرة، وليس بميت كما كان يتصور من أحاطه عالم المادة من كل مكان فما كان ليدرك ما ورائها من الحقائق الغيبية [6].

رابعا : البأس

وردت هذه اللفظة في القرآن بمعنى القتال أو الحرب والجهاد في خمسة مواضع:

١-قوله تعالى :﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾[7]، يقول الشيخ الطبرسي: "(ٱلۡبَأۡسَآءِ): الفقر والشدة، (وَٱلضَّرَّآءِ): المرض

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٩٠.

(٢) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، تح: حسين دركاهي، مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط١، طهران – ايران، ١٣٦٧هـ: ٢٦٢/٢.

(٣) سورة النساء : الآية ٧٤.

(٤) يُنظر : الميزان: الطباطبائي:ج/٤١٨.

(٥) سورة آل عمران : الآية ١٦٩.

(٦) يُنظر: الأمثل: مكارم الشيرازي:٤٣٧/١.

(٧) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

والزمانة، (وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ) أي: وقت القتال وجهاد الكفار، (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ) أي: كانوا صادقين جادين في الدين (وَأُوْلَٰٓئِكَ) الذين اتقوا النار بفعل هذه الخصال"[١].

٢-وقال عزَّ وجل: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾[٢]، وتعني كفّ المشركين عن قتالكم، وهم قريش وقد كفَّ الله بأسهم بأن بدا لأبي سفيان أن لا يحارب في ذلك العام[٣].

٣-وقوله جلَّ وعلا: ﴿وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٖۗ﴾[٤]، "البأس الشدة من قتل وغيره" [٥]، أي جاءت بمعنى القتال.

٤-وقوله تعالى:﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٦]، أي: "أنَّ الله ليعلم الذين يثبطون منكم الناس ويصرفونهم عن القتال وهم المنافقون ويعلم الذين يقولون من المنافقين لإخوانهم من المنافقين أو ضعفة الإيمان تعالوا وأقبلوا ولا يحضرون الحرب إلّا قليلا بخلاء عليكم بنفوسهم"[٧].

٥-قال تعالى: ﴿سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ﴾[٨]، "والداعي هو رسول الله (ﷺ) فإنه دعاهم بعد غزوة خيبر إلى غزوة حنين والطائف وتبوك (تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ) أي أنَّ الأشداء الذين ستدعون إلى قتالهم يخيرهم الرسول بين أمرين : أما

---

(١) تفسير جوامع الجامع: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، قم – ايران، ١٤١٨هـ: ١٧٩/١.

(٢) سورة النساء: الآية ٨٤.

(٣) يُنظر: التفسير الصافي: المولى محسن الملقب بـ(الفيض الكاشاني)، تح: العلامة الشيخ حسين الاعلمي، ط٢، مؤسسة الهادي – قم المقدسة – طهران، ١٤١٦هـ:٤٧٥/١.

(٤) سورة الانعام: الآية ٦٥.

(٥) تفسير البحر المحيط: أبي حيان الاندلسي ، تح: عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت – – لبنان، ١٤٢٢هـ:١٥٦/٤.

(٦) سورة الأحزاب: الآية ١٨.

(٧) الميزان: الطباطبائي:٢٨٨/١٦.

(٨) سورة الفتح : الآية ١٦.

السيف وأما الإسلام، فهل تلبّون دعوة الرسول أو تنكصون على أعقابكم كما فعلتم من قبل"[١].

خامسا : **غزى**

ورد لفظ (غزى) في القرآن الكريم في موطن واحد، بمعنى الخارجين لمحاربة العدو، قال عزَّ وجلّ : ﴿وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾[٢]، يقول الشيخ محمد جواد مغنية: "كان المنافقون يسندون موت المسافر في السفر، وقتل الغازي إلى نفس الحرب والسفر، لا إلى الأجل المرسوم عند اللّه ... وقد نهى سبحانه المؤمنين عن مثل هذا القول؛ لأنَّ فيه استجابة لدسائس المنافقين وتلبية لأهوائهم، أما إذا لم يقولوا ذلك، وأسندوا موت من مات، وقتل من قتل في الحل والترحال، والسلم والحرب، أسندوا ذلك إلى الله وحده فإنهم يردون كيد المنافقين الكائدين في نحورهم، ويثيرون الحسرة واللوعة في قلوبهم"[٣]. فاستخدم لفظ (غزى) واراد بها طلب العدو وجهاده.

سادسا : **لَقِيتُمُ – التقى**

اللقاء هنا كناية عن الحرب او القتال، وقد ورد اللفظ **(لقيتم)** في القرآن بمعنى التقابل للقتال ومواجهة العدو في مواضع ثلاثة هي: قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾[٤]، يقول الشيخ الطوسي: " فالالتقاء الاجتماع على وجه المقاربة؛ لأنَّ الاجتماع قد يكون على غير وجه المقاربة، فلا يكون لقاء كاجتماع الأعراض في المحل الواحد. و (ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ) هم الذين جحدوا نعم الله أو من كان بمنزلة الجاحد . فالمشرك كافر؛ لأنَّه في حكم الجاحد لنعم الله إذا عبد غيره. وقوله (زَحْفًا) نصب على المصدر، فالزحف هو الدنو قليلاً قليلاً والتزاحف التداني، زحف

(١) التفسير الكاشف، مغنية:٩٧/٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٦.

(٣) التفسير الكاشف: ١٨٦/٢.

(٤) سورة الانفال: الآية ١٥.

يزحف زحفاً، وقوله: (فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ) نهي لهم عن الفرار عند لقائهم الكفار وقتالهم إياهم"[١].

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٢]، قال الطبري: "وهذا تعريف من الله جل ثناؤه أهل الإيمان به السيرة في حرب أعدائه من أهل الكفر به والأفعال التي ترجى لهم باستعمالها عند لقائهم النصرة عليهم والظفر بهم، ثم يقول جل ثناؤه لهم: يا أيها الذين آمنوا، صدّقوا الله ورسوله إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر بالله للحرب والقتال، فاثبتوا لقتالهم ولا تنهزموا عنهم ولا تولوهم الادبار هاربين، إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة منكم ، واذكروا الله كثيرا يقول: وادعوا الله بالنصر عليهم والظفر بهم، وأشعروا قلوبكم وألسنتكم ذكره ، لعلكم تفلحون يقول: كيما تنجحوا فتظفروا بعدوكم، ويرزقكم الله النصر والظفر عليهم" [٣].

وردت لفظة **(التقى)** في القرآن الكريم في خمسة مواضع هي:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾[٤]، يقول السيد الطباطبائي: "كأن الله سبحانه أرى المؤمنين قليلا في أعين المشركين في بادئ الالتقاء ليستحقروا جمعهم ويشجعهم ذلك على القتال والنزال حتى إذا زحفوا واختلطوا، كثر المؤمنين في أعينهم فرأوهم مثليهم رأى العين فأوهن بذلك عزمهم وأطار قلوبهم فكانت الهزيمة"[٥].

قوله عزَّ وجلّ: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ ﴾[٦]، الآية نزلت في معركة بدر، وتحدثت عن فئتين

---

(١) التبيان: ٩١/٥.

(٢) سورة الانفال: الآية ٤٥.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القران: محمد بن جرير الطبري، تق: الشيخ خليل الميس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، ١٤١٥هـ :٢٠/١٠.

(٤) سورة الانفال: الآية ٤٤.

(٥) الميزان: ٩٤/٩.

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٣.

التقتا للقتال، فئة تقاتل في سبيل الله وهم المؤمنون به تعالى، وفئة كافرة مشركة تقاتل في سبيل الشيطان[١].

وقوله جلَّ وعلا: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٢]، قال الطبري: "والذي أصابكم يوم التقى الجمعان، وهو يوم أُحد حين التقى جمع المسلمين والمشركين. ويعني بالذي أصابهم: ما نال من القتل من قتل منهم، ومن الجراح من جرح منهم (فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ) يقول : فهو بإذن الله كان ، يعني : بقضائه وقدره " [٣] .

(١) يُنظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) : أبو البركات ، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي:١/١٤٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٦٦.

(٣) جامع البيان : ٤/٢٢٢.

المبحث الثاني
أقسام الحرب وغاياتها

الحرب في الإسلام لها أسبابها ودواعيها وهي ليست بدعاً عن طريق الحق، وانحرافاً عن مسار الرحمة، بل هي عين الرحمة، وذات طريق الحق، الذي يؤمّن للعباد صلاح أمر الدنيا وقوام أمر الآخرة، فالحرب ضرورة يلجأ إليها الإسلام؛ لإرساء قواعد السلم والاستقرار، ومنع تفشي الظلم والعدوان، ويقع الكلام عن الحرب على وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول
الحرب الدفاعية (الجهاد الدفاعي)

أولاً: مفهوم الحرب الدفاعية :

وتعني: "الدفاع عن النفس والعقيدة أو الدفاع عن العهود والالتزامات"[١]، وبعبارة أخرى فالحروب الدفاعية هي تلك الحروب التي يبدأ الكفار فيها بقتال المسلمين فيدافع المسلمون بها عن أنفسهم وأرضهم[٢]، وهذا ما يقبله ويقرّ به جميع العقلاء في العالم؛ إذ إنَّ ذلك أمر فطري موجود في غريزة كل إنسان، فالإسلام وإن كان ديناً للسلم وأنَّ السلام مبدأ من المبادئ الأساسية التي عمَّق الإسلام جذورها في نفوس المسلمين، فأصبحت جزءاً من كيانهم، وعقيدة من عقائدهم، إلّا أنَّ ذلك لا يمنعه أبداً من الدفاع عن حياضه فيما لو تعرضت للأخطار[٣].

---

(١) بحوث في الفقه المعاصر: الشيخ حسن الجواهري مجمع الذخائر الإسلامية ، ط١، مطبعة ستارة ، قم- ايران، ١٤٢٩هـ:٦/٢٣٠.

(٢) يُنظر: كلمة التقوى: الشيخ محمد أمين زين الدين، جواد الوداعي، ط٢، ١٩٩٣م:٢/٢٤٣.

(٣) يُنظر: فقه السنة: السيد سابق، دار الكتاب العربي ، ط٣، بيروت- لبنان، ١٩٧٧م:٢/٥٩٥.

ثانياً: مشروعيّتها :

شرع الباري تعالى الحرب الدفاعية في قوله : ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[1]، ففي الآية تشريع جواز الاعتداء بالمثل على من اعتُدي عليه [2] ، وهذا شامل للجهاد الدفاعي " بناء على عدم انحصار العدوان بالقضايا الشخصية من جهة الانصراف كما يشهد له الاطلاق والسياق ولسان الخطاب الموجه إلى الجماعة"[3].

ومن الآيات التي استُند إليها في مشروعية الحرب الدفاعية، هي قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾[4]، قال الشيخ الطوسي في تفسيره للآية المباركة: "قيل: إنَّ هذه الآية نزلت في المهاجرين الذين أخرجهم أهل مكة من أوطانهم، فلما قووا، أمره الله بالجهاد، وبيَّن أنَّه أُذن لهم في قتال من ظلمهم وأخرجهم من أوطانهم. ومعنى (بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْ) أي: من أجل أنهم ظلموا" [5]، كما ذكر الشيخ الطبرسي في تفسيره للآية الكريمة، قوله: "ثم بين سبحانه إذنه لهم في قتال الكفار بعد تقدم بشارتهم بالنصرة فقال: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ) أي: بسبب أنهم ظلموا، وقد سبق معناه في الحُجَّة ، وكان المشركون يؤذون المسلمين، ولا يزال يجيئ مشجوج ومضروب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ويشكون ذلك إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فيقول لهم (صلى الله عليه وآله): اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال، حتى هاجر فأنزل الله عليه هذه الآية بالمدينة، وهي أول آية نزلت في القتال"[6]، وقال السيد الطباطبائي (قدس سره) في تفسيره إنَّ الآية نازلة: "لبيان غرض واحد وهو تشريع القتال لأول مرة مع مشركي مكة، فإنَّ فيها تعرّضا لإخراجهم من حيث أخرجوا المؤمنين"[7].

---

١) سورة البقرة : الآية ١٩٤.

٢) يُنظر: الميزان: الطباطبائي:٢/٦٣.

(٣) فقه الدولة: الشيخ فاضل الصفار، دار الأنصار ، مطبعة باقري ، ط١، قم – إيران، ١٤٢٦هـ :٢/٤٩١ .

(٤) سورة الحج: الآية ٣٩.

(٥) التبيان: الشيخ الطوسي:٧/٣٢٠.

(٦) مجمع البيان في تفسير القران: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تح: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ط١، بيروت ـ لبنان ، ١٩٩٥م:٧/١٥٦.

(٧) الميزان: الطباطبائي:٢/٦٠.

ومن الآيات أيضاً، قوله عزَّ وجلّ: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[1]. وصريح الآية بجواز قتال الكفار الذين يقاتلون المسلمين ويعتدون عليهم، وهذا ما ينسجم مع الفطرة الإنسانية السليمة[2]، فالدفاع عن النفس حق مشروع عند جميع العقلاء .

ومن السُنَّة المطهّرة قول رسول الله (ﷺ): "من قاتل دون نفسه حتى يقتل فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قاتل دون أهله حتى يقتل فهو شهيد"[3].

فالحرب دفاعا عن النفس تشريع كفلته جميع القوانين السماوية والبشرية على حد سواء، وقد أباحت للفرد أو الجماعة استخدام جميع الوسائل والسبل في الدفاع عن أنفسهم، أو استعمال ما وسعهم من قوة في هذا السبيل[4].

وبهذا يمكن القول إنَّ أهمّ أسباب الجهاد الدفاعي أو بواعثه هو ردّ العدوان، ودفع الأذى.

ثالثاً: عدم اشتراط إذْن الإمام المعصوم في الحرب الدفاعية:

العبودية الحقَّة تقتضي من العبد أن يطلب الإذْن من سيده ومولاه، في كل حركة أو سكون؛ إذ قد لا يكون المولى راضيا بفعل العبد، فيكون العبد من هذه الجهة عاصياً لأمر مولاه، ومن هنا وقع كلام بين الأعلام ومفاده هو: هل أنَّ الحرب الدفاعية تحتاج إلى أذن الإمام أو لا؟ لاسيما بعد أن اتضح أنَّ الحرب الدفاعية فطرية عقلية، قبل أن تكون شرعية دينية، وقد تبيَّن من خلال البحث والمتابعة الفاحصة لأقوال العلماء الأعلام في هذه المسألة، أنَّ هناك إجماعاً على عدم اشتراط أذن الإمام في الحرب الدفاعية، ونذكر بعض أقوالهم:

١. الشيخ محمد حسن النجفي، إذ قال في معرض حديثه عن الجهاد الدفاعي ما نصه: "... أن يدهم المسلمين عدو من الكفار يخشى منه على البيضة، أو يريد الاستيلاء

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٠.

(٢) يُنظر: الميزان: الطباطبائي:٢/٦١.

(٣) كنز العمال: المتقي الهندي:٤/٤٢٥.

(٤) يُنظر: الأمثل: مكارم الشيرازي:٢/٢٧.

على بلادهم وأسرهم وسبيهم وأخذ أموالهم، وهذا واجب على الحر والعبد والذكر والأنثى والسليم والمريض والأعمى والأعرج وغيرهم إن احتيج إليهم ، ولا يتوقف على حضور الإمام عليه السلام ولا إذنه"[١].

٢. ما ورد في حاشية جامع الشتات للميرزا القمي من انَّ "الجهاد الحقيقي على قسمين: الجهاد الابتدائي ومع حضور الإمام أو نائبه الخاص، والجهاد الدفاعي عند هجوم العدو والخوف على بيضة الإسلام والمسلمين ولو من دون إذن الإمام ونائبه الخاص بل تحت رئاسة السلطان الجاير"[٢].

٣. قول السيد عبد الأعلى السبزواري : " للجهاد قسم آخر غير مشروط بما تقدم من الشروط ، ويسمى بالدفاع أيضا ، وهو أن يتهاجم على المسلمين عدوّ من الكفار يخشى منه على بيضة الإسلام ، أو يريد الاستيلاء على بلادهم وأسرهم وسبيهم وأخذ أموالهم ، وهو واجب على الحرّ والعبد ، والذكر ، والأنثى ، والسليم والمريض والأعرج والأعمى إن توقف الدفاع عليهم أيضا" [٣] .

٤. ما ذكره السيد محمد باقر الحكيم (قدس سره) في قوله: " أنَّ الفرض هو الجهاد الدفاعي الذي يجب على جميع المسلمين رجالاً ونساءً وفي جميع الأحوال، مع وجود الإمام العادل أو عدم وجوده"[٤].

٥. قال الشيخ المنتظري: "إنَّ الجهاد الدفاعي لا يشترط في وجوبه إذن الإمام قطعاً، والدفاع واجب بضرورة من العقل والشرع"[٥].

٦. ما أجاب به السيد جعفر مرتضى العاملي عن سؤال قدّم إليه حول مشروعية الجهاد الدفاعي، فأجاب بما نصَّه: "ونجيب بأنَّ الجهاد الدفاعي قد شرّعه الله أيضاً، وقد يحتاج دفع العدو وتحقيق النكاية فيه إلى مواقف من هذا القبيل، فإذا ثبتنا مشروعيَّتها

---

(١) جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: ، تح: الشيخ عباس القوجاني، دار الكتب الإسلامية، مطبعة حيدري ، ط٣، طهران – إيران ١٣٦٢ش:٢١/١٨-١٩.

(٢) جامع الشتات: الميرزا القمي، تح: مرتضى رضوي، مؤسسة كهيان، ط١ ، ١٣٧١ش:١/٣٥٥.

٣) مهذب الاحكام في بيان الحلال والحرام : ، ط٤، ١٤١٦ه ، المطبعة : جاويد ، ١٥/ ١٠١

(٤) دور أهل البيت (عليهم السلام) في بناء الجماعة الصالحة: مطبعة ليلى، ط٢، ١٤٢٥هـ: ٢/٤٤٠-٤٤١.

(٥) دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية: مكتب الاعلام الإسلامي، ط١، قم – إيران، ١٤٠٨هـ:١/١٢١.

في زمن المعصوم من أجل ذلك، ثبتت مشروعيّتها في كل زمان، وفي كل جهاد أذن به الشارع"[١].

٧. ما ذكره المازندراني علي أكبر بقوله: "لا كلام في عدم اشتراط إذن أحد، لا الإمام(عليه السلام) ولا غيره في وجوب الجهاد الدفاعي"[٢].

٨. الشيخ محمد المؤمن القمي، إذ قال : "... وهذا بخلاف الجهاد الدفاعي عن هجوم الكفّار، فإنّه واجب وغير مشروط بإذن الإمام العادل بل يجب في الدولة الجائرة أيضاً"[٣].

رابعاً: آراء العلماء حول مسألة حروب النبي (صلى الله عليه وآله)

اختلفت أقوال العلماء في مسألة حروب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فمنهم من قال بأنَّ جميع حروب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت دفاعية، ولا توجد هناك حرب هجومية أبداً، وأنَّ الدين لا يجيز الحرب الهجومية بوجه، وقول آخر إنَّ هناك حروباً دفاعية وأخرى هجومية، وثالث ذهب إلى الإيمان بالحرب الهجومية، إلَّا أنَّه يرى أنَّ هذه الحرب في حقيقتها وواقعها دفاعية أيضاً، وليست هجومية بمعنى الاعتداء على الاخرين وترويعهم من أجل إدخالهم في الإسلام عنوة، وإنَّما تعني صدِّ الاعتداء بالهجوم، ونذكر تفاصيل تلك الأقوال.

الرأي الأول : القائل بنفي الحرب الهجومية

١- يرى أصحاب هذا الرأي أنَّ الإسلام لم يأذن لأتباعه بالحرب، إلّا بعد أن يستنفد جميع الوسائل السلمية التي تدفع أذى الكافرين وظلمهم، وحين لم تفلح جميع الوسائل بثنيهم، أجازت الآيات ضمن حدود مشروطة رد الاعتداء على الكافرين، وقد جعلت من وقع الظلم سبباً مشروعاً يعطي المدافع حق الدفاع عن نفسه[٤]، وقد استندوا إلى قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ

(١) مختصر مفيد: المركز الإسلامي للدراسات، ط١، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٥هـ: ١٨٣/١١.

(٢) دليل تحرير الوسيلة (ولاية الفقيه): مؤسسة العروج ، ط١، ٢٤٢٧هـ:٢٠.

٣) الولاية الإلهية الإسلامية (الحكومة الإسلامية): مؤسسة النشر الإسلامي، ط٢، قم ـ إيران، ١٤٢٨هـ: ٤٤٥/١.

(٤) يُنظر: أصول العلاقات الدولية في الإسلام: عمر أحمد الفرجاني، دار أقرأ، ط٢، ١٩٨٨م: ٧٥.

وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[1]، وكذلك استندوا إلى قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[2]، "وفي هذه الأوامر الإلهية تحريم قاطع لحرب الاعتداء، وجواز ظاهر لحرب الدفاع؛ لأنَّ حروب الاعتداء اقترنت بعلَّة لا تقبل النسخ وهي أنَّ الله لا يحب المعتدين، يضاف إلى ذلك أنَّ أول جملة في هذه الآيات تعني بطريق المفهوم (قاتلوا المقاتلين لا المسالمين)"[3].

٢- قول الدكتور وهبة الزحيلي في معرض تفسيره لآية ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾[4]: "أي أنَّ الإكراه في الدين ممنوع، ولا جبر ولا إلجاء، على الدخول في الدين، ولا يصح الإلجاء والقهر بعد أن بانت الأدلة والآيات الواضحة الدالة على صدق محمد (ﷺ) فيما يبلِّغه عن ربه، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. فقول العوام وأمثالهم من المستشرقين: «إنَّ الإسلام قام بالسيف» دعوى باطلة غير صحيحة ولا ثابتة. أما حروب المسلمين فكانت دفاعية حتى يكف المشركون عن فتنة المسلمين، ويتركوا الناس أحرارا" [5].

٣-وأشار الشيخ الكوراني أيضاً إلى تبنّي هذا الرأي من قبل مجموعة من المسلمين مستندين إلى آية: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾، وردَّاً على الغربيين الذين اتهموا الإسلام بأنَّه دين دموي وأنَّه يتبنى القتل باسم الجهاد، وأنَّه قد انتشر بقوة السيف[6].

١

(١) سورة الحج: الآيتان ٣٩ – ٤٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٠.

(٣) أصول العلاقات الدولية في الإسلام: عمر أحمد الفرجاني:٧٦.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

(٥) التفسير الوسيط: الدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر، ط٢، بيروت – لبنان، ١٤٢٧هـ:١٤٨/١.

(٦) يُنظر: جواهر التاريخ السيرة النبوية عند أهل البيت(عليهم السلام): علي الكوراني العاملي، مطبعة وفا، قم – إيران،١٤٣٠هـ، ٥٨٥/١.

لرأي الثاني : القائل أنَّ الحرب هجومية ودفاعية:

وقد استندوا في ذلك إلى الاطلاقات الموجودة في الآيات التي أمرت بالقتال، كقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١)، ومن قوله: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢). وكذلك قوله سبحانه: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾(٣). ويقول عزَّ وجلّ: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(٤). فيعتقدون إنَّ علّة تشريع قتال الكافرين هي المخالفة للدين (٥).

الرأي الثالث : القائل بأنّ الحرب الهجومية دفاعية في واقعها

وقد ذهب إلى هذا الرأي مجموعة من الأعلام، نذكر منهم:

١- الشيخ البلاغي ، ويبدو من كلماته أنَّه على هذا الرأي، إذ قال في معرض حديثه عن سرايا النبي (ﷺ) ما نصّه: "وأما سرايا (محمد) وتجريداته فكلها كانت دفاعية. يرد بها كيد الغادرين ويدافع بها من يستعد لحربه، ويسعى في الفساد والبغي، ولم تكن فيها مهاجمة ابتدائية على هادئ مسالم كما يشهد بذلك معلوم التاريخ"(٦).

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢١٦.

(٢) سورة التوبة : الآية ٥.

(٣) نفس السورة : الآية ٢٩.

(٤) نفس السورة : الآية ٣٦.

٥) أصول العلاقات الدولية في الإسلام: عمر أحمد الفرجاني:٧٨.

(٦) الرحلة المدرسية والمدرسة السيارة في نهج الهدى: الشيخ محمد جواد البلاغي، دار الزهراء، ط٢، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ:٢/٢٣٤.

فردّ كيد الغادرين ودفع من يستعد للحرب، يعني أنَّ الحرب الهجومية ـ التي تكون في مثل هذا الحالة حرب مباغتة للطرف الاخر ـ هي حرب دفاعية، تسعى للقضاء على الفتنة في مهدها وتقليل حجم الخسائر من الطرفين.

٢-ويبدو من كلام محمد عزة دروزة هذا الرأي من قوله: "وتقرير كون كل حرب غير دفاعية أصلاً أو نتيجة هي حرب باغية مخلَّة بحقوق الناس وأمنهم ومصالحهم"[١]، فقوله: (دفاعية أصلا أو نتيجة) يشير إلى أنَّ الحرب الهجومية هي في نتيجتها حرب دفاعية.

٣-وقال الشيخ المنتظري: "ويمكن بوجه من العناية إدراج الابتدائي أيضاً في الدفاعي، فإنَّه في الحقيقة دفاع عن حقوق الله سبحانه وحقوق الإنسان"[٢].

٤- وكذلك ذهب الشيخ السند إلى هذا الرأي، إذ قال: "إنَّ معنى الجهاد الابتدائي هو المبادرة العسكرية التي تحمل في طيّاتها غطاءً حقوقياً، وهذا باتفاق جميع المذاهب الإسلامية، وإن كان هناك خلاف في بعض التفاصيل بين مذهب أهل البيت(عليهم السلام)، والمذاهب الأُخرى إلاّ أنَّ جميع المسلمين يعتقدون أنَّ الجهاد الابتدائي يتضمّن غطاءً حقوقياً فيكون جهاداً دفاعيّاً في المصطلح الحقوقي، وليس حرباً عدوانيّة، كما ترجمة البعض"[٣]، وقد أرجع الشيخ السند الجهاد الهجومي إلى الجهاد الدفاعي[٤].

ويرى الباحث بأن هذا هو الرأي الحق في مسألة حروب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإلّا فإنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يحتاج إلى السيف لانتشار دينه، بل إنَّ الدين انتشر بقوة المنطق، وحسن الأخلاق، والدعوة الحسنى، ودخول الناس فيه أفواجاً، وإيمانهم به كان يؤرّق الملا من رؤساء القبائل، وزعماء العرب، والكهنة وأرباب المعابد، وحُكّام البلدان المجاورة ممن تضرّرت مصالحهم الدنيوية من انتشار الإسلام، ورغبة الناس فيه، فما كان جوابهم على حجة الدين ومنطقه إلّا السيف، لعلَّهم ينجحون في استئصال الدين وقتل الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم)، وحين تعجز الحُجَّة عن إقناع الطرف المقابل، وثنيه عن

---

(١) التفسير الحديث: محمد عزة دروزة، دار الغرب الإسلامي، ط٢، بيروت ـ لبنان، ١٤٢١هـ :٦/٥٩.

(٢) دراسات في ولاية الفقيه : المنتظري: ١/١١٥.

(٣) بحوث معاصرة في الساحة الدولية: الشيخ محمد السند، مطبعة ستارة، ط١، قم- إيران، ١٤٢٨هـ:١٣٣.

(٤) يُنظر: المصدر نفسه: ١٣٤.

ممارسة الظلم والاستبداد ، والوقوف بوجه الدعوة الإسلامية من إنقاذ الناس من قعر مستنقعات الضلال؛ فحينها لا يكون إلّا السيف جواباً صارماً، وبلسماً شافياً، يشفي الله به صدور قوم مؤمنين، وهكذا كانت حروبه (ﷺ).

المطلب الثاني
الحرب الهجومية (الجهاد الابتدائي)

أولاً: مفهوم الحرب الهجومية :

المراد من الجهاد الهجومي أو الابتدائي هو: " قتال المشركين والكفار لدعائهم إلى الإسلام والتوحيد والعدالة" [(١)]، وفي تعريف آخر مماثل للأول قولهم : "هو محاربة المشركين والكفار لغرض دعائهم وجلبهم إلى الإسلام"[(٢)].

ويعبر عنها أيضاً بالحرب (الاستباقية)، التي عُرّفت بأنَّها: "هي الحرب التي تُشَن لمنع العدو من جني مكاسب قد يستطيع الحصول عليها إذا ما أُتيحت له فرصة البدء بشن الحرب، أو لمنع المكاسب التي يمكن له أن يحصل عليها بدون حرب إذا لم تتم معارضته قسراً، وإذا لم تتم مقاومته في الوقت المناسب، وبالتالي فهي حرب تشنّ بسبب الاعتقاد بأنَّ النزاع المسلح لابدّ منه؛ وإن لم يكن وشيك الوقوع فيه، وأنَّ تأخيرها سيجر أخطارا كبيرة"[(٣)].

أي أنَّ الجهاد الابتدائي أو (الحرب الوقائية) ترمي إلى إضعاف العنف الذي يشكّل خطراً مباشراً على الإسلام، كما حدث مع الروم والفرس، فقد قتل « هرقل » بعض ولاة الرسول ممن أسلم في الشام، وأرسل كسرى من يأتيه برأس الرسول وبهذا تكون الحرب لردع العدوان وإن كانت ابتداء[(٤)].

وبعبارة أخرى إنَّ الجهاد الابتدائي لا يهدف إلى العدوان على الشعوب الآمنة أو الهيمنة على مواردها الاقتصادية ونحو ذلك، بل الهدف منه منع التعدي، سواء أكان التعدي على حرم المسلمين أو حتى على أي إنسان مظلوم آخر وإن لم يكن مسلماً، وبهذا فهو دفاع عن الإنسانية أيضا أي أنَّ "له خلفيّة حقوقيّة دفاعيّة، بمعنى إذا تعرّضت حقوق المسلمين أو المستضعفين للانتهاك، فلا يبقى حالهم على ما هو عليه، بل لابدّ من

---

(١) دراسات في ولاية الفقيه: الشيخ المنتظري:١/١١٥.

(٢) دليل تحرير الوسيلة: علي أكبر السيفي المازندراني:٢٠.

(٣) المذهب العسكري الإسلامي: بسام العسلي، دار النفائس:٢٢.

(٤) يُنظر: بحوث في الفقه المعاصر: الشيخ الجواهري:٦/٢٣١.

التصدّي لذلك، فإذا لم يستجب الطرف الآخر لإقامة النظام السياسي العادل حسب العدالة الإسلامية – مثلاً وأُقيمت الحُجَّة عليه، ولم يستجب للغة الإنصاف والعدل، فمن الواضح أنَّ الإسلام لن يبقى على طبيعته الأوّليّة، وهي الحوار والتعقّل والرفق واللين؛ لأنَّ من المفترض أنَّ الحُجَّة قد أُقيمت ولم ينفع الخطاب العقلاني مع الطرف الآخر، ولم يبقَ مجال إلاّ لمنطق القوّة والساحات العسكريّة؛ ولأنَّ استخدام لغة القوّة يهدف إلى كبح جماح النزوات الغريزيّة الحيوانيّة في الطرف الآخر المعتدي، ولا يتضمَّن استخدام القوّة في المفهوم الإسلامي إلاّ لأجل ذلك"[1].

تبيَّن لنا مما سبق أنَّ الإسلام لا يلجأ إلى الحرب إلّا إذا اضطر إليها، وذلك بعد أن يسلك جميع المسالك والسبل التي من شأنها أن تقف حائلا دون الحرب، فاللجوء إلى الحرب الهجومية لا شك أنَّ له فلسفة وتداعيات ودوافع وأسباب.

ثانياً: مشروعية أو أسباب ودواعي الجهاد الابتدائي

ذُكر للجهاد الابتدائي أسباب ودواعي عديدة منها:

١-منع الفتنة ونشر الدين :

قال تعالى : ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَواْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [2] اذ تحدد هذه الآية المباركة أهداف الجهاد في إزالة الفتنة والقضاء على عبادة الأوثان وكذلك التصدي للظلم والعدوان [3] .

ومن ثم تشير الآية الى ضرورة أن يكون الدين لله أي أنّ أحد أهداف الجهاد الابتدائي الدعوة إلى دين الإسلام، فهو خاتم الشرائع الإلهية وهو النور المبين والطريق المستقيم الذي يتحقق من خلال التمسك به صلاح البشر في أمر دينهم ودنياهم، ولهذا أوجب الله تعالى على المؤمنين ممارسة الدعوة إليه ونشره في ربوع الأرض، وأجاز لهم استخدام القوة بوجه من يقف حائلاً دون انتشار نور الإسلام فيما لو تعذّرت الوسائل الأخرى في ردعهم كالحوار المنطقي والدعوة بالتي هي أحسن وهكذا، وبعبارة أخرى الجهاد الابتدائي من أجل التحرير، فنحن نعلم أنَّ الله عزَّ وجلّ قد أنزل على البشرية

---

(١) بحوث في الفقه المعاصر: الشيخ الجواهري:٢٧٥.
(٢) سورة البقرة : الآية ١٩٣.
(٣) يُنظر : الأمثل : الشيرازي ، ٢/ ٢٤.

شرائع وبرامج لسعادة البشر وتحريرهم من هيمنة السلطات الظالمة، وأغلال العبودية للبشر والحجر إلى عبودية ربِّ الارباب، وتكاملهم وإيصالهم إلى السعادة والرفاه، وأوجب على الأنبياء (عليهم السلام) أن يبلغوا هذه الشرائع والإرشادات إلى الناس، فلو تصوَّر أحد الأفراد أو طائفة من الناس إنَّ إبلاغ هذه الشرائع للناس سوف يعيقه عن نيل منافعه الشخصية وسعى لإيجاد الموانع ووضع العصي في عجلات الدعوة الإلهية، فللأنبياء الحق في إزالة هذه الموانع بطريقة المسالمة أولاً وإلّا فعليهم استخدام القوة في إزالة هذه الموانع عن طريق الدعوة لنيل الحرية في التبليغ[١].

١- دفع العدوان المرتقب :

لقد تضررت مصالح أعداء الدين جراء انتشار الإسلام وتسلله إلى عقول الناس واقتحامه لقلوبهم، فجُيّشت الجيوش، وأُجريت الاستعدادات اللازمة لحربه، والقضاء على الرسول المبعوث به، فما كان من رسول الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) إلّا أن يتحرك لدفع خطرهم وإبعاد شرهم بحرب وقائية دفاعية، وهكذا كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يبادر بالحرب والقتال في المورد الذي يكون هناك خطر أو تهديد، على الدولة الإسلامية، فهي وإن كانت في هذا الحال تسمى هجومية إلّا أنَّ واقعها دفاعي[٢] ، كما في غزوة المريسيع التي خاضها رسول الله (صلى الله عليه واله) بعد أن علم بمسير لحارث بن أبي ضرار في قومه ومن قدر عليه للحرب [٣] .

٢- حماية المستضعفين:

حثَّ الباري سبحانه على الجهاد الابتدائي من أجل تخليص المستضعفين وإنقاذهم، في قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾[٤]، وفي الآية الكريمة استنهاض وتهييج للمؤمنين للجهاد دفاعاً عن المستضعفين الذين يرزحون تحت

(١) يُنظر: الأمثل: مكارم الشيرازي:٢/٢٦.

(٢) يُنظر: أسس النظام السياسي: الشيخ السند:١٦٠.

(٣) يُنظر : المغازي : الواقدي ، ١/ ٤٠٤.

(٤) سورة النساء : الآية ٧٥.

ظلم وطغيان المستبدين وتخليصهم مما فيه[١]، فالجهاد الابتدائي لأجل إقامة حكم إسلامي عادل يُنشر من خلاله الدين الإسلامي إلى جميع العالم وقد عُبّر عن هذه الغاية بانه لأجل حماية المستضعفين والدفاع عنهم وسواء الاستضعاف من ناحية العقائدية أم السياسية[٢]، أي أنَّ الهدف الآخر من الجهاد الابتدائي هو لإنقاذ المستضعفين وحمايتهم من بطش السلطات الظالمة، عن طريق إقامة الحكومة الإسلامية الموحدة التي تتكفل ببسط العدل وردع الظلم وإعطاء الحقوق ولهذا قيل: "إنَّ الجهاد الابتدائي في لغة القانون الوضعي الحديث يوازي ويعادل الوصاية على المجتمعات البشرية، والنظام المدني العالمي الموحّد لإرساء العدالة العالمية في جميع أرجاء الكرة الأرضية، في نظام موحّد عالمي، ويكون بيده القرار الأوّل في مصير البشرية"[٣]، ولذا أوجب غالبية الفقهاء حصر الجهاد الابتدائي بيد المعصوم دون نائبه (الفقيه الجامع للشرائط)، حتى عند من قال بإطلاق الولاية للفقيه في زمن الغيبة الكبرى كما سيأتي.

وعلى كل حال فالإسلام الذي يتجنب الحرب ويبتعد عن سفك الدماء، ويقف موقف الدفاع عن نفسه دائماً، فاذا وجدنا بأنَّه قد شرّع الجهاد الابتدائي، فلا شك أنَّنا سندرك حينها أنَّ الأمر في غاية الخطورة والأهمية، فالأمر بتحريك الجيوش الإسلامية لإنقاذ المستضعفين، ولو كانوا في شرق الدنيا أو غربها يحتّم علينا أن نعرف المستضعف أولا.

من هو المستضعف ؟

المستضعف لغة يعود في جذره اللغوي إلى الفعل الثلاثي (ضَعُفَ)، قال ابن منظور: "ضعف: الضَّعْفُ والضُّعْفُ: خِلافُ القُوّةِ، وقيل: الضُّعْفُ، بالضم، في الجسد؛ والضَّعف، بالفتح، في الرَّأْي والعَقْلِ، وقيل: هما معاً جائزان في كل وجه، وخصّ الأَزهريُّ بذلك أَهل البصرة فقال: هما عند أَهل البصرة سِيّانِ يُسْتعملان معاً في ضعف البدن

(١) يُنظر: الميزان: الطباطبائي:٤/٤١٩.

(٢) يُنظر: أسس النظام السياسي: الشيخ السند:١٦٠.

(٣) أصول عامة في معرفة الإمامة الإلهية: الشيخ محمد رضا الساعدي، ط١، قم – إيران، ١٤٢٧هـ:٢/٢٢٠.

وضعف الرَّأْي وأَضْعَفَه وضَعَّفَه: صيَّره ضعيفاً. واسْتَضْعَفَه وتَضَعَّفَه: وجده ضعيفاً فركبه بسُوء" [١].

ويمكن بوجه ملاحظة ان الضعف البدني ليس هو المراد من لسان الآيات والروايات كما سيأتي ، فينحصر الكلام في الضعف بالرأي والعقل .

أمّا اصطلاحا فلم يجد الباحث له تعريفاً، سوى ما بينه الائمة (عليهم السلام) من مصاديق متعددة لمفهوم (المستضعف)، كرواية يونس عن حماد بن الظبيان عن أبي جعفر(عليه السلام) قال: "سألته عن المستضعف فقال: هو الذي لا يستطيع حيلة الكفر فيكفر، ولا يهتدي سبيلاً إلى الإيمان، لا يستطيع أن يؤمن ولا يستطيع أن يكفر فهم الصبيان ومن كان من الرجال والنساء على مثل عقول الصبيان من رفع عنه القلم"[٢]، أو ما ورد في رواية أخرى عن علي بن سويد، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال: " سألته عن الضعفاء، فكتب إلي: الضعيف من لم ترفع إليه حجَّة ولم يعرف الاختلاف، فإذا عرف الاختلاف فليس بمستضعف"[٣] .

وأيضا ما ورد في نهج البلاغة عن علي (عليه السلام) قوله: "لا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحُجَّة فسمعتها أُذنه ووعاها قلبه"[٤].

وقد كان أئمة الهدى (عليهم السلام) أحد أبرز مصاديق مفهوم (المستضعف)، فقد روى الشيخ الصدوق عن المفضل بن عمر، قال: "سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) نظر إلى علي والحسن والحسين (عليهم السلام) فبكى وقال: أنتم المستضعفون بعدي. قال المفضل: فقلت له: ما معنى ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: معناه أنكم الأئمة بعدي، إنَّ الله عز وجل يقول: " ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[٥]" فهذه الآية جارية فينا إلى يوم القيامة"[٦].

---

(١) لسان العرب: ابن منظور:٩/٢٠٣.

(٢) تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، تح: السيد طيب الموسوي، مؤسسة دار الكتاب، ط٣، قم- إيران، ١٤٠٤هـ:١/١٤٩.

(٣) شرح اصول الكافي: مولى محمد صالح المازندراني، تح :الميرزا ابو الحسن الشعراني، تص: السيد علي عاشور، دار احياء التراث، ط١، بيروت – لبنان، ١٤٢١ هـ:١٠/١١٧.

(٤) نهج البلاغة: الشريف الرضي، تح: الشيخ محمد عبده، مطبعة النهضة، ط١، قم ـ إيران، ١٤١٢هـ:٢/١٢٩.

(٥) سورة القصص: الآية ٥.

(٦) معاني الاخبار: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الصدوق)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم – إيران:٧٩.

من خلال التعريف اللغوي أولاً، والمصاديق التي ذكرها أئمة الهدى (عليهم السلام) ثانياً، يمكن أن يستفاد من مفهوم المستضعف ما يأتي:

١- إنَّ المستضعف قد يكون ضعفه ذاتيٌ: كما في الصبيان أو البُله، أو كل من لا يملك قوة عقلية كاملة، يستطيع من خلالها التفريق بين الحق والباطل.

٢- إنَّ المستضعف قد يكون ضعفه بسبب قوة خارجية تمارس دوراً سلطوياً على المستضعف (تستضعفه)، فتمنعه من ممارسة عقائده الحقة (في العلن) ـ بل تلاحقه حتى في السر في كثير من الأحيان ـ أو اختياره لما ينبغي أن يُعمل، فهذا (المستضعف) في نفسه كامل القوة العقلية والادراكية والبدنية، إلّا أنَّه مقهورٌ في كثير من أفعاله وممارساته بسبب القوة السلطوية المانعة، التي تكون أكبر من قوة المستضعف، وهذا الفئة هي التي ينطبق عليها قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[1]، وفي هذا يقول الشيخ مكارم الشيرازي: "أنَّ المستضعف هو ذلك الذي استضعف عملياً، فهو يعرف الحق ويميزه، ولكن الكبت الذي يعاني منه في المحيط الذي يعيش فيه لا يسمح له بالعمل بالحق الذي عرفه"[2].

الذي يبدو من الآيات المباركة أنَّ الجيوش الإسلامية يجب أن تتحرك ابتداءً لإنقاذ الصنف الثاني من المستضعفين ـ وهم المستضعفون بفعل قوة خارجية ـ ودور الجيش الإسلامي يكون في رفع أو إزالة تلك القوى الخارجية ومنعها من ممارسة دورها التعّسفي بحق فئة المستضعفين، ويُستفاد ذلك من قوله تعالى : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[3]، إذ ذكر العلامة الطباطبائي في تفسيره لهذه الآية أن فيها "استنهاض وتهييج لكافة المؤمنين وإغراء لهم أما المؤمنون خالصوا

---

(١) سورة النساء : الآية ٧٥.

(٢) الأمثل: مكارم الشيرازي:٣/٤١١.

(٣) سورة النساء: الآية ٧٥.

الإيمان وطاهروا القلوب فيكفيهم ذكر الله جل ذكره في أن يقوموا على الحق ويلبوا نداء ربهم ويجيبوا داعيه وأما من دونهم من المؤمنين فإن لم يكفهم ذلك فليكفهم أنَّ قتالهم هذا على أنَّه قتال في سبيل الله قتال في سبيل من استضعفه الكفار من رجالهم ونسائهم وذراريهم فليغيروا لهم وليتعصبوا" [1]. وأما الصنف الأول، فالصبي أو الأبله أو الذي لا يستطيع التمييز بين الحق والباطل إذا تعرض لظلم وجب الدفاع عنه وانقاذه، واذا لم يتعرض لظلم فلا معنى لخوض الجهاد الابتدائي لأجله وإن كان يصطلح عليه (مستضعفا)؛ لأنَّ ضعفه ذاتي.

والجهاد الابتدائي يكشف عن مدى إنسانية الإسلام في التعامل مع عموم البشر، بغضّ النظر عن طبقاتهم الاجتماعية، أو ألوانهم وأجناسهم وأعراقهم وبغضّ النظر أيضاً عن معتقداتهم، فلا يشترط في الحرب الهجومية كون المستضعف مسلماً، وإنَّما يكفي لتحريك الجيوش وحثها على الجهاد هو أن يكون المستضعف إنساناً فقط، وأنَّه مضطهد ومظلوم من قبل السلطات الجائرة ، ولعلَّ أروع الكلمات التي سطّرها التاريخ في دفاع الدين عن الإنسانية من دون فرق بين مللها ونحلها، هو ما ورد على لسان الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في خطبة له يحثُّ فيها على الجهاد، ويذمُّ القاعدين والمتخاذلين، ويظهر فيها مدى ألم الإمام وآهاته، لمجرد سماعه نبأ التعدّي على النساء المسلمات ونساء أهل الذمة، من دون تفريق بينهما، فيقول(عليه السلام): "... ولقد بلغني أنَّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها ما تمتنع منه إلّا بالاسترجاع والاسترحام ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلاً منهم كلم ولا أريق لهم دم، فلو أنَّ امرأ مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديرا"[2].

ثالثاً: انتشار الدين بقوة السيف

وبعد هذا يتضح زيف ما روّج له إليه الحاقدون على الإسلام من أنَّ (الإسلام انتشر بقوة السيف) فقد تتبع السيد مرتضى العسكري هذه الاشاعة فوجدها تعود إلى راوٍ

(١) الميزان : ٤١٩/٤.

(٢) نهج البلاغة: الشريف الرضي:٦٩/١.

قد عُرف بالوضع والكذب والاختلاق وهو (سيف بن عمر) [١] الراوي الذي أشاع اكذوبة عبد الله بن سبأ.

يقول مرتضى العسكري: "انتشر بين خصوم الإسلام أنَّ الإسلام – شريعة خاتم الأنبياء– انتشر بالسيف والدم، حتى اتخذ خصوم الإسلام من ذلك ذريعة للطعن عليه، وإذا بحثنا في كتب السير والتواريخ لم نجد دليلاً على هذا الزعم إلّا في أحاديث سيف، فهو الذي روى في الحروب والغزوات الإسلامية أعداداً ضخمة من القتلى، وإبادة للجماعات الإنسانية ما لا نظير لها إلّا في حروب البرابرة المتوحشين أمثال جيوش التتر، بينما الواقع – الذي نجده في روايات غيره – أنَّ الإسلام لم يشهر السيف إلّا في وجه من تحداه بالسيف، ومن قابله من الحُكّام المتسلطين على الشعوب بالسيف والدم، وأنَّ الشعوب كثيراً ما كانت تساعد المسلمين في حروبهم على حُكّامها المستبدين"[٢] .

إلّا أنَّ افتراءات أمثال هؤلاء لا تصمد أمام الواقع، وإلّا كيف نفسر دخول المغول والسلاجقة للإسلام وقد كانوا غزاة مستعمرين للبلدان الإسلامية وقد فتحوها عنوة وبقوة السيف؟ وهذا ما اعترف به بعض المنصفين من المستشرقين أمثال السير توماس أرنولد، الذي قال: "وفي هذه الفترة التي قوي فيها الإسلام نرى أنَّه قد حقق بعض غزواته الروحية الرائعة، حتى أنَّ الفاتحين الجبابرة القساة تمسكوا بالإسلام واعتنقوا ديانته، أمثال اعتناق الصليبيين ديانة المسلمين في سوريا وحواليها، واعتناق الأتراك السلاجقة والمغول للإسلام، فحيث كانوا هم يحاربون المسلمين وإذا بهم ينقلبون إلى مسلمين يدافعون عن الإسلام والمسلمين"[٣].

---

(١) هو سيف بن عمر التميمي الأسدي كما في الطبري: ١/ ١٧٤٩ ط أوروبا، ولباب الأنساب: ١/ ٤٩. في ترجمته قال يحيى بن معين (ت: ٢٣٣ ه): "ضعيف الحديث فلس خير منه". وقال أبو داود (ت: ٢٧٥ ه) : "ليس بشيء، كذاب". وقال النسائي صاحب الصحيح (ت: ٣٠٣ه): "ضعيف متروك الحديث، ليس بثقة، ولا مأمون". وقال ابن أبي حاتم(ت: ٣٢٧ه): "متروك الحديث". وقال ابن السكن (ت: ٣٥٣ه): ضعيف. وقال ابن حبان(ت:٣٥٤ه): يروي الموضوعات عن الإثبات، أتهم بالزندقة، وقال: "قالوا: كان يضع الحديث". ينظر: عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى: السيد مرتضى العسكري، ط٦، د.م، ١٩٩٢م:١/٧٤.

(٢) المصدر نفسه:٢/٢٥.

(٣) السلم والسلام: محمد الشيرازي:٦٠.

وإنَّ الدين لا يمكن أن يدخل إلى القلب بقوة السيف؛ على اعتبار أنَّ الدين هو: "مجموعة عقائد وأخلاق وقوانين ومقررات وحيانية، وعقلية، وضعت في متناول الإنسان لإدارة الفرد والمجتمع البشري وتربيته"(١)، فكونه مجموعة من العقائد حينئذ لابدَّ أن تدخل إلى القلب عن طريق القناعة التامة، والإيمان المطلق بها، لا عن طريق السيف؛ إذ لا يعقل أساساً أن تدخل العقائد إلى القلب عن طريق القوة، ولذا قال تعالى:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٢)، قال العلامة الطباطبائي في تفسيره للآية المباركة: "وفي قوله تعالى: (لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ)، نفى الدين الاجباري، اما أنَّ الدين وهو سلسلة من المعارف العلمية التي تتبعها أخرى عملية يجمعها أنَّها اعتقادات، والاعتقاد والإيمان من الأمور القلبية التي لا يحكم فيها الإكراه والاجبار"(٣). ولهذا لا يجبر الإسلام أحداً على أن يسلم، وإنَّما يرشده السبيل القويم والصراط المستقيم ومن ثم يُترك إليه خيار الرضى أو الرفض، فلا جبر ولا إكراه على القبول أبداً(٤)، فلا يلجأ الإسلام إلى قوّة السلاح لفرض عقائده على الناس والزامهم الإيمان بها وإنّما يلجأ إلى تحطيم الموانع والعقبات التي تحول دون انتشار العقائد الصحيحة وازدهارها، والتي عادة ما تفتعلها الحكومات الجائرة لمنع الناس من الدخول في الإسلام(٥).

ثم كيف يمكن أن يتصوّر أن تكون شريعة لا إكراه في الدين قامت على السيف؟! فمن يقول: (لا إكراه في الدين) ويصرّح بأنَّ العقيدة الإسلامية لابدّ فيها من العقل والبرهان والدليل، وأن أيّ ضغط خارجي لا يفيد في اعتناق الدين حتى من قبل المسلمين، كيف يمكن أن يُرغم الناس على الاقتناع به بقوة السيف؟ ثم ألا يُنافي ذلك مبدأ الثواب والعقاب

---

(١) حقيقة الدين: جوادي آملي، تعريب: عادل الغريب، ط١، دار الولاء بيروت ـ لبنان، ١٤٣٦هـ:١٥.

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٥٦.

(٣) الميزان: ٣٤٣/٢.

(٤) يُنظر: فقه العولمة: السيد محمد الحسيني الشيرازي، مؤسسة الفكر الإسلامي، ط١، بيروت – لبنان، ١٤٢٣هـ:١٧٩.

(٥) يُنظر: موسوعة العقائد الإسلامية: محمد الريشهري، تح: مركز البحوث، ط١، دار الحديث، قم – إيران، ١٤٢٥هـ: ١٣٩/١.

الذي يقوم على حرية الاختيار؟ هذا وقد نهى الله تعالى عن التقليد للآباء في العقيدة الدينية، بل لابدّ من البحث والوصول إلى العقيدة الإسلامية بالعلم واليقين والبرهان. ومن نافلة القول: إنَّ هذه الآية القرآنية قد نزلت على النبي بالمدينة عندما كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في موضع القوّة الكبرى عندما انتصر على المشركين في معارك متعددة، و بناءً على هذا فإن الجهاد الإسلامي على خلاف ما يدعيه أعداء الإسلام من أنَّه يعني فرض العقيدة على الآخرين، وأنَّه انتشر بقوة السيف؛ لأنَّ العقيدة المفروضة لا قيمة لها في الإسلام، فالثواب والعقاب في الشريعة جزاء لما اختاره الإنسان لا لما أجبر عليه(١).

وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾(٢)، "أي لكنه لم يشأ ذلك فلم يؤمن جميعهم ولا يؤمن فالمشيئة في ذلك إلى الله سبحانه ولم يشأ ذلك فلا ينبغي لك أن تطمع فيه ولا أن تجتهد لذلك؛ لأنَّك لا تقدر على إكراههم وإجبارهم على الإيمان، والإيمان الذي نريده منهم هو ما كان عن حسن الاختيار لا ما كان عن إكراه وإجبار. ولذلك قال بعد ذلك في صورة الاستفهام الإنكاري: (أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ) أي بعد ما بيَّنا أنَّ أمر المشية إلى الله وهو لم يشأ إيمان جميع الناس فلا يؤمنون باختيارهم البتة لم يبق لك إلّا أن تكره الناس وتجبرهم على الإيمان، وأنا أنكر ذلك عليك فلا أنت تقدر على ذلك ولا أنا أقبل الإيمان الذي هذا نعته"(٣).

فالكفر والإيمان لا شك أنَّها من المفاهيم الناشئة من القناعات الفكرية والمعرفية، كما أنَّ إجبار الناس بمنطق القوة على الاعتقاد بالدين يخرم مبدأ الثواب والعقاب الإلهي، المبنيُّ على اختيار العباد لطريق الحق أو الباطل؛ لذا روى الشيخ الصدوق بسنده عن "علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن المسلمين قالوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لو أكرهت يا رسول الله من قدرت عليه من الناس على الإسلام كثر عددنا وقوينا على عدونا، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): ما كنت لألقى الله عزَّ وجلّ ببدعة لم يحدث إلي فيها شيئاً، وما أنا من

(١) يُنظر: الأمثل : مكارم الشيرازي:٦/٢٤٢، ١٦/٣٣١.

(٢) سورة يونس: الآية ٩٩.

(٣) الميزان : الطباطبائي:١٠/١٢٦.

المتكلفين، فأنزل الله تبارك وتعالى: يا محمد (وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا) على سبيل الالجاء والاضطرار في الدنيا كما يؤمنون عند المعاينة ورؤية البأس في الآخرة، ولو فعلت ذلك بهم لهم لم يستحقوا مني ثواباً ولا مدحاً، لكني أريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرين ليستحقوا مني الزلفى والكرامة ودوام الخلود في جنة الخلد"[1]، ولهذا اتخذ الدين منهج الدعوة إلى نفسه بالحوار المنطقي ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[2]، أمّا أسلوبه فكان بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[3]، "والتأمل في هذه المعاني يعطي أنَّ المراد بالحكمة والله أعلم الحُجَّة التي تنتج الحق الذي لا مرية فيه ولا وهن ولا ابهام والموعظة هو البيان الذي تلين به النفس ويرق له القلب لما فيه من صلاح حال السامع من الغبر والعبر وجميل الثناء ومحمود الأثر ونحو ذلك. والجدال هو الحُجَّة التي تستعمل لفتل الخصم عما يصر عليه وينازع فيه من غير أن يريد به ظهور الحق بالمؤاخذة عليه من طريق ما يتسلمه هو والناس أو يتسلمه هو وحده في قوله أو حُجَّته"[4]. أمّا خيار الحرب فيأتي آخراً وفي الوقت الذي لا يجدي معه الدليل والبرهان والموعظة شيئاً، بل يقارع الدليل بالسيف، والموعظة الحسنة بالسبِّ والشتيمة، فحينها لا يجد الإسلام مندوحة من مقابلة تلك الموانع والسدود التي تقع امام طريق حرية الفكر، إلّا قوة السلاح.

وهذه الموانع قد تتمثل في الأنظمة الفاسدة، أو التقاليد والأعراف التي ما أنزل الله بها من سلطان، التي تهيمن على عقول الناس وقلوبهم فتسلبهم القدرة على التفكير والتشخيص وينتج من ذلك عدم القدرة على انتخاب العقيدة الحقة[5]، وبناءً على ما تقدم

---

(١) التوحيد: محمد بن علي بن الحسين (الصدوق)، تح: السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، قم – إيران :٣٤١-٣٤٢.

(٢) سورة البقرة : الآية ١١١.

(٣) سورة النحل : الآية ١٢٥.

(٤) الميزان: الطباطبائي:٣٧١/١٢.

(٥) يُنظر: موسوعة العقائد الإسلامية: محمد الريشهري:١٣٩/١.

يرى الباحث أنَّ حروب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت في الغالب دفاعية لا هجومية، بل حتى الحروب الهجومية هي في واقعها دفاعية وليست هجومية بالمعنى المتبادر إلى الاذهان.

رابعاً: **هل يشترط إذن المعصوم في الجهاد الابتدائي**؟

اختلف أعلام الطائفة حول اشتراط إذن المعصوم في الجهاد الابتدائي، فذهب بعضهم إلى عدم اشتراط إذن المعصوم فيه، وأجاز إمكانية الجهاد الابتدائي تحت راية الفقيه الجامع للشرائط، بينما ذهب أغلب الفقهاء إلى حصر الجهاد الابتدائي بالمعصوم أو نائبه الخاص دون سائر الفقهاء، إذ يرون أنَّ ذلك من مهام مقام الإمامة دون سواه، وفيما يأتي نص أقوالهم:

الرأي الأول : وهو القائل بعدم اشتراط إذن المعصوم:

١- ذهب إلى هذا الرأي السيد أبو القاسم الخوئي (قدس سره) وقد أدخله من باب الأمور الحسبية التي تقع على عاتق الفقيه الجامع للشرائط في زمن الغيبة، ولهذا قال الشيخ الغروي في تقريراته لأبحاث السيد الخوئي ما نصه: "وعلى هذا الاتساع في ولاية الأُمور الحسبيّة تفرّد الإمام الخوئي بالقول في عصرنا الحاضر بوجوب الجهاد الابتدائي في عصر الغيبة: ... إنَّ الظاهر عدم سقوط وجوب الجهاد في عصر الغيبة، وثبوته في الأعصار كافّة لدى توفّر شروطه "[1].

٢- وكذلك الشيخ المنتظري من القائلين بعدم اشتراط إذن المعصوم بالجهاد الابتدائي، حيث قال : "أقول : ليس في الأخبار ولا في كلمات الأصحاب لفظ الإمام المعصوم، بل الإمام العادل في مقابل الإمام الجائر. ولفظ الإمام في اللغة وكلمات الأئمة (عليهم السلام) لم ينحصر إطلاقه على الأئمة الاثني عشر، بل هو موضوع للقائد الذي يؤتمّ به في الجماعة أو الجمعة أو الحج أو سياسة البلاد، كما مرَّ في التنبيه الخامس من الباب الثاني..... ولكن الشرط في الجهاد الابتدائي على ما في الأخبار والكلمات

(١) التنقيح في شرح العروة الوثقى تقرير لأبحاث السيد الخوئي: الشيخ علي الغروي، مؤسسة إحياء آثار الأمام الخوئي، ط٢، قم- إيران، ١٤٢٦هـ:١/١٥.

هو عنوان الإمام العادل في قبال الإمام الجائر، لا الإمام المعصوم في قبال غير المعصوم. وفى الغنية أيضاً لم يذكر إلاّ الإمام العادل"[١].

٣- وكذلك يذهب السيد الخامنئي إلى هذا الرأي فقد أجاب عن سؤال قُدِّم إليه، يقول فيه السائل: "ما هو حكم الجهاد الابتدائي في زمن غيبة الإمام المعصوم (عليه السلام)؟ وهل يجوز للفقيه الجامع للشرائط المبسوط اليد (ولي أمر المسلمين) الحكم بذلك؟ الجواب: لا يبعد القول بجواز الحكم به للفقيه الجامع للشرائط الذي يلي أمر المسلمين إذا رأى أنَّ المصلحة تقتضي ذلك، بل إنَّ هذا القول هو الأقوى"[٢].

الرأي الثاني : القائل باشتراط وجوب الجهاد الابتدائي بالإمام المعصوم

ذهب الغالبية العظمى من فقهاء الشيعة إلى هذا الرأي، وسنكتفي ببعض الآراء طلباً للإيجاز وروما للاختصار، وهي كالتالي:

١-العلامة الحلي ، إذ قال السيد صادق الشيرازي في تعليقه على الشرائع أنَّ العلامة يشترط وجوب الجهاد الابتدائي بالإمام المعصوم[٣].

٢-الشيخ محمد حسن النجفي وقد ادعى الإجماع على هذا الرأي إذ قال: "وعلى كل حال فلا خلاف بيننا بل الإجماع بقسميه عليه في أنَّه إنَّما يجب على الوجه المزبور (بشرط وجود الإمام (عليه السلام)) وبسط يده (أو من نصبه للجهاد) ولو بتعميم ولايته له ولغيره في قطر من الأقطار، بل أصل مشروعيته مشروط بذلك فضلا عن وجوبه"[٤].

٣- السيد الخميني (قدس سره) إذ قال: "في عصر غيبة ولي الأمر وسلطان العصر عجل الله فرجه الشريف كان نوابه العامة – وهم الفقهاء الجامعون لشرائط الفتوى والقضاء – قائمين مقامه في إجراء السياسات وسائر ما للإمام (عليه السلام) إلا البدأة بالجهاد"[٥].

---

(١) دراسات في ولاية الفقيه: الشيخ المنتظري:١/١٨٨.

(٢) أجوبة الاستفتاءات: السيد علي الحسيني الخامنئي، دار النبأ للنشر والتوزيع، ط١، الكويت ،١٤١٥هـ :١/٣٣١.

(٣) يُنظر: شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام: المحقق الحلي، تعليق: السيد صادق الشيرازي ، مطبعة أمير، ط٢، قم – إيران، ١٤٠٩هـ: ١/١٢٣.

(٤) جواهر الكلام: محمد حسن الجواهري: ٢١/١١.

(٥) تحرير الوسيلة: السيد روح الله الخميني دار الكتب العلمية، مطبعة آداب، ط٢، ١٢٩٠هـ:١/٤٨٢.

٤-السيد السبزواري، الذي قال: "يشترط في هذا القسم من الجهاد مباشرة الإمام المعصوم(عليه السلام)، وبسط يده، أو مباشرة من نصبه لذلك بالخصوص، ويكفي إذنهما ولو لم يباشرا"[١].

٥- وكذلك يظهر من كلمات الميرزا جواد التبريزي هذا الرأي ، إذ يقول : " أنّ الشهيد الساقط فيه التغسيل والتكفين لا يختصّ بمن قتل في الجهاد الابتدائي مع الإمام (عليه السلام) أو نائبه الخاصّ"[٢].

٦- وقول السيد محمد بحر العلوم ففي معرض كلامه عن الجهاد: "وأمّا الجهاد – لا عن دفاع – ففي كونها للمسلمين كافة أو للإمام (عليه السلام) خاصة وجهان مبنيان على اعتبار الإذن وعدمه، إذ لم يعلم الإذن منهم في الغيبة على الجهاد الابتدائي إلّا بدعوى العلم بشاهد الحال وقد عرفت ما فيه"[٣].

٧- وذهب الشيخ السند إلى هذا الرأي، بعد قراءة مهمة له حول الجهاد الابتدائي، قال: "وعلى ضوء هذه القراءة الموضوعية لماهية الجهاد الابتدائي لابدّ من الإلفات إلى أنَّ هذه الموقعية والصلاحية قد تسالمت كلمات علماء الإمامية – إلاّ الشاذّ النادر– على كونها من صلاحيّات الإمام المعصوم و أنَّه يحرم على غيره –أياً كان– التصدي لهذا الموقع، كما يحرم على غيره تمكينه من ذلك أو التعاون معه وأنَّ ذلك التعاون كحرمة أكل الميتة، كما وردت بذلك النصوص المستفيضة، بل عدّها بعض المحدثين بنحو التواتر ملاحظاً في ذلك اختلاف ألسن الطوائف الواردة"[٤].

---

(١) مهذب الاحكام في بيان الحلال والحرام: السيد عبد الأعلى السبزوراي، مطبعة جاويد، ط٤، ١٤١٦هـ:٨٤/١٥.

(٢) تنقيح مباني العروة (كتاب الطهارة): الميرزا جواد التبريزي، مطبعة وفا، ط١، قم– إيران، ١٤٢٩هـ:١١٧/٧.

(٣) بلغة الفقيه: السيد محمد بحر العلوم، منشورات مكتب الصادق، ط٤، طهران–إيران،١٤٠٣هـ:٢٣٢/١.

(٤) أسس النظام السياسي: الشيخ السند: ١٦١.

المبحث الثالث

الاستعداد للحرب في القرآن

بعد أنَّ تبين من خلال ما سبق أنَّ الحرب سواء الدفاعية منها أم الهجومية ـ بشرائطها المذكورة ـ واجبة على المسلمين، فمما يحكم به العقل حينها أنَّ إعداد المقدمة للحرب ـ من الأمور المادية كالسلاح بمصاديقه المتعددة المتطورة والأمور المعنوية كتقوية العقيدة والأخلاق ـ واجبة أيضاً، ولذا وقع الكلام بين أعلام المسلمين حول الإعداد للحرب وطرق الاستعداد لها على وفق المطالب الآتية :

المطلب الأول

إعداد القوة

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (١) .

قال السيد الطباطبائي : " الإعداد تهيئة الشيء للظفر بشيء آخر وإيجاد ما يحتاج إليه الشيء المطلوب في تحققه كإعداد الحطب والوقود للإيقاد وإعداد الايقاد للطبخ، والقوة كل ما يمكن معه عمل من الأعمال، وهى في الحرب كل ما يتمشى به الحرب والدفاع من أنواع الأسلحة، والرجال المدربين والمعاهد الحربية التي تقوم بمصلحة ذلك كله، والرباط مبالغة في الربط وهو أيسر من العقد يقال: ربطه يربطه ربطا ورابطه يرابطه مرابطة ورباطا فالكل بمعنى غير أن الرباط أبلغ من الربط، والخيل هو الفرس، والإرهاب قريب المعنى من التخويف"(٢)، وتعدُّ هذه الآية من أبرز آيات القرآن الكريم التي كانت ولا زالت مداراً لبحث العلماء حول ضرورة التهيئة والاستعداد للحرب.

---

(١) سورة الانفال: الآية ٦٠.

(٢) الميزان: الطباطبائي: ١١٤/٩.

أولاً: أهمية الإعداد:

الإسلام دين إلهي، ورسالة ربانية لكل البشر، أوكل الله بها رسوله الكريم (ﷺ) ليبلّغها لعموم الناس، فأتمر بما أُمر "وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم" [1]، ثم توعّد الله بنصر دينه واظهاره على الدين كله ولو كره من كره فقال عزَّ وجلّ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [2]، قال السيد الطباطبائي : "الهدى الهداية الإلهية التي قارنها برسوله ليهدي بأمره، ودين الحق هو الإسلام بما يشتمل عليه من العقائد والأحكام المنطبقة على الواقع الحق. والمعنى أنَّ الله هو الذي أرسل رسوله وهو محمد (ﷺ) مع الهداية – أو الآيات والبينات – ودين فطري ليظهر وينصر دينه الذي هو دين الحق على كل الأديان ولو كره المشركون ذلك"[3]، فالآية صريحة بوجود الكارهين لظهور الدين الإسلامي وانتشاره، فمن حمل منهم سيفاً بوجه انتشار دعوة الحق واجهه الإسلام بالسيف ومن أضمر منهم الكراهة في نفسه ولم يحرك ساكناً لمواجهة الدين سكت عن الإسلام ولم يأمر بقتله أو انتهاك حرمته، كما أنَّ الباري تعالى أشار في إنزاله الحديد إلى ضرورة استعمال القوة في الموارد الصحيحة لإقامة القسط والعدل، قال سبحانه: ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ﴾[4]، البأس هو الشدة في التأثير ويغلب استعماله في الشدة في الدفاع والقتال، ولا تزال الحروب والمقاتلات وأنواع الدفاع ذات حاجة شديدة إلى الحديد وأقسام الأسلحة المعمولة منه منذ تنبّه البشر له واستخرجه إذ إنَّه يُشكِّل نسبةً كبيرةً جداً في صناعتها[5]، كما أنَّ في إنزال الحديد إشارة إلى جواز استخدام القوة في إحقاق الحق، وبعبارة أخرى إقامة الحق ولو كان ذلك بالكفاح المسلح[6]، ولا شك انَّ اليد الغيبية لنصر الدين وإن كانت موجودة،

---

(١) الاحتجاج: الطبرسي :١٣٣/١.

(٢) سورة التوبة: الآية ٣٣.

(٣) الميزان :٢٤٧/٩.

(٤) سورة الحديد: الآية ٢٥.

(٥) يُنظر: الميزان: الطباطبائي:١٧٢/١٩.

(٦) دراسات في ولاية الفقيه: المنتظري:٥٩٦/١.

إلّا أنَّ الأسباب الطبيعية يجب العمل بها، وقد كان نزول الحديد هو أحد الأسباب المهمة لإقامة الحق، ولهذا كان سيد الأنام (ﷺ) يعمل جاهداً للسيطرة على منابع القوة واستحصالها، كما كان يأمر بالاستعداد الدائم للمواجهة كما سيأتي تفصيل ذلك.

كما أنَّ الإعداد والاستعداد في العلوم العسكرية مرحلة في غاية الأهمية بالنسبة للأمَّة، ولا غنى لها عنه، وهي تسبق مرحلة القتال الحاسم، ولها أثر فعّال على نتيجة القتال ومصير المقاتلين، وأنَّ مدى التهيؤ والاستعداد في هذه المرحلة يحكم بقرب النصر وبعده فالأمَّة التي تستغل كل فرصة في حياتها فتعد وتستعد وتبذل قصارى جهودها في الإعداد والاستعداد للتصدي لأعدائها ينبغي أن تتفاءل بالنجاح والنصر؛ لأنَّها أخذت بالأسباب الموصلة إليه، والأمَّة التي يصيبها الحبوط والكسل، وتترهل فلا تعد ولا تستعد الاستعداد الكافي لنزال أعدائها، وتتوانى عن حشد كل طاقاتها وقدراتها لا تلومنَّ إلّا نفسها إذا مُنيت بالهزائم الساحقة والنكبات الماحقة، من هنا أوجب الكثير من الفقهاء على المجتمع المسلم أن يلعب دوراً مهماً في الأعداء والاستعداد، بل الظاهر من كلمات الأعلام أنَّ المسؤولية أولاً وبالذات على عاتق المؤمنين، فحرمة بيع السلاح على الكفار، وحرمة تقويتهم بكل ما يمكن أن يكون لهم به الغلبة على المسلمين، تؤكّد على ضرورة تقوية المجتمع المسلم لنفسه قبال الأعداء وحرمة تقوية الكافر، وهذه من المسؤوليات الاكيدة الواقعة على عاتق المؤمنين، وبعبارة أخرى مسؤولية الحكومة وعموم أفراد المجتمع[1] .

وقد أشار سماحة الشيخ الصفّار إلى ذلك بصريح العبارة ، إذ قال:" يجب على المجتمع المسلم أن يستقوي ليردع الأعداء عن تجاوزه أو هضم حقوقه، فإنَّ إعداد القوة جزء من السياسة الدفاعية الشاملة، وهو ما قد يعبر عنه بعضهم باستراتيجية الدفاع، فلابد للمجتمع من استعداد وإعداد على مستوى التعبة والتجنيد والتسليح والتمويل، وقد خاطب الباري عزَّ وجلّ الأمَّة عموماً بإعداد أسباب القوة المناسبة للحرب، والاستعداد للدفاع بكل

(١) يُنظر: المدرسة النبوية العسكرية: د. محمد عبد القادر أبو فراس، دار الفراقان، ط١، عمان– الأردن، ١٤١٣هـ: ١٠٦. وينظر: المجتمع الديني أو الدولة المدنية: الشيخ محمد السند، مجموعة محاضرات منشورة على اليوتيوب.

الإمكانات المتاحة" [١]، إذ لم يخصص الكلام بالحكومات وإنَّما أوجب ذلك على جميع المجتمع الإسلامي بما فيهم الحكومات الإسلامية.

والتأهب العسكري الدائم للمسلمين يعطيهم حصانة ومنعة، ويجعلهم في مأمن من مباغتة العدو، فمن المعروف في العلم العسكري أنَّ الهجوم المفاجئ يضعف من قدرات الجيش المُهاجَم ويشل قدرته وحركته، فيؤدي ذلك إلى الانهيار السريع، ولهذا حذَّر القرآن الكريم من التهاون في التأهب والاستعداد الدائم لمواجهة الاخطار المرتقبة[٢].

إنَّ سيرة النبي الأكرم (ﷺ) العملية وأئمة الإسلام تدلّ على أنَّهم لم يدخروا وسعاً، واستغلوا كل فرصة صغيرة كانت أو كبيرة لمواجهة العدو، كإعداد الجنود وتهيئة السلاح، وشد الأزر ورفع المعنويات، وبناء معسكرات التدريب، واختيار الزمان والمكان المناسب للهجوم، والعمل على استعمال مختلف الأساليب الحربية، والفنون القتالية[٣]. والاستعداد للحرب وتجميع السلاح وصناعته يجب أن يكون بأقصى القدرة والاستطاعة[٤].

ثانيًا: أنواع الإعداد

١- الإعداد النفسي أو المعنوي :

لا شك أنّ الإعداد والاستعداد النفسي والمعنوي مقدّمٌ على الإعداد والاستعداد البدني ؛ لأن النفس كل ما كانت قوية مقتدرة انعكس ذلك على جوارح البدن ، وهكذا يكون الأصل للنفس والإعداد البدني مكمّلٌ ، ولهذا نرى بأن القرآن الكريم قد أولى هذه المسألة عناية كبيرة من خلال العديد من الآيات ، وقد استخدم الباري تعالى أساليب متعددة في ذلك كان منها :

---

(١) فقه الدولة: الشيخ فاضل الصفار:٢/٤٩١.

(٢) يُنظر: العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية: اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ :١٠٦.

(٣) يُنظر: الأمثل: مكارم الشيرازي: ٥/٤٧٣.

(٤) يُنظر: ما وراء الفقه: السيد محمد الصدر:٢/٣٩٨.

أ- أسلوب الترغيب :

الترغيب بما أعده الله تعالى للمجاهدين في سبيله كان دافعا نفسيا مهما لخوض المعارك وفي ذلك يقول الباري سبحانه : ﴿وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾[1]، وقال عز من قائل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾[2] .

وكذا قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾[3]، فحياة الشهداء بخلود ذكرهم الجميل على مر العصور وكر الدهور[4]، ولا شك ان كل أنسان في هذه الحياة يسعى جاهدا لتخليد ذكره بين الناس في الدنيا والفوز برضى الرب تعالى وجنانه الواسعة في الآخرة وهذا ما جمعه الباري جلّ جلاله لمن يُقتل في سبيله.

ومن السنة أحاديث كثيرة في ما أعده الله سبحانه للمجاهدين ومن ذلك ما رواه الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي عن السكوني ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: " قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): للجنة باب يقال له : باب المجاهدين، يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلدون بسيوفهم والجمع في الموقف والملائكة ترحب بهم" [5] .

ب- أسلوب الترهيب :

في الوقت الذي رغّب الباري سبحانه عباده للإقدام في ساحات القتال ومجابهة الكفر والشقاق من خلال تذكيرهم بما أعدّه لهم من مقامات رفيعة في الدنيا ، وثواب جزيل في الآخرة ، استخدم أيضا أسلوب آخر يدفع المقاتل للقتال بشراسة أكبر خوفا مما ينتظره من اليم العقوبات في الآخرة فيما لو تنصّل عن القيام بواجبه تجاه دينه ومعتقده ، وهذا الأسلوب هو اسلوب الترهيب وفيه وردت آيات كثيرة ، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) سورة النساء : الآية ٧٤.

(٢) سورة التوبة : الآية ١١١.

(٣) سورة البقرة : الآية ١٥٤.

(٤) يُنظر : الميزان : الطباطبائي ، ١/ ٣٤٥.

(٥) الكافي : ٥/ ٢.

إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[1]، وهكذا نرى توعّد الباري تعالى للفارين من المعركة بالخزي في الحياة الدنيا والنار في الآخرة [2] ، ولا شك أن كل انسان سوي لا يريد لنفسه هذا المصير .

وقال سبحانه : ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[3]، قال الطبرسي في تفسير الآية المباركة: " إن كان حضرت آجالكم ، فإنه لا بد من واحد منهما ، وإن هربتم فالهرب لا يزيد في آجالكم (وإذا لا تمتعون إلّا قليلا) معناه : وإن لم تحضر آجالكم ، وسلمتم من الموت ، أو القتل ، في هذه الوقعة ، لم تمتعوا في الدنيا إلا أياما قلائل " [4] .

ومن السنة ما رواه يحيى بن الحارث ، عن القاسم أبى عبد الرحمان ، عن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من لم يغز أو يجهز غازيا أو يخلف غازيا في أهله بخير أصابه الله بقارعة " قال يزيد بن عبد ربه في حديثه : قبل يوم القيامة " [5] .

ج- أسلوب التحريض :

قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾[6]، ففي الآية تحريض واستنهاض للمؤمنين للقتال في سبيل الله تعالى وللدفاع عن المستضعفين والمظلومين [7] .

---

(١) سورة الأنفال : الآيات ١٥، ١٦.

(٢) يُنظر : تفسير القرآن المجيد : الشيخ المفيد: ٤٩٧.

(٣) سورة الأحزاب : الآية ١٦.

(٤) مجمع البيان : الطبرسي ، ٨/ ١٤١.

(٥) سنن أبي داوود : السجستاني ، ١/ ٥٦٢.

(٦) سورة النساء : الآية ٧٥.

(٧) يُنظر: الميزان : الطباطبائي ، ٤/ ٤١٧.

وكذا قوله سبحانه : ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1]، قال الشيخ الطوسي: "(قوله) ألا " كلمة موضوعة للتحضيض على الفعل ، وأصلها (لا) دخلت عليها الف الاستفهام ، فصارت تحضيضا كما انها إذا دخلت على (ليس) صارت تقريرا و (ألا) موافقة للتحضيض بالاستقبال و (أليس) إنما هي للحال ، فهي موافقة للحال بهذا المعنى . وإذا قال: (ألا تقاتلون) كان معناه التحضيض على قتالهم"[2].

يعدُّ أسلوب التحريض والتحشيد وشحذ الهمم وإشعال القوة الغضبية من أهم الأساليب العسكرية لدفع المقاتل نحو القتال ومن هنا فقد حفل التاريخ الاسلامي بتلك الخطب الرنانة التي تثير حماس الجند وتشجعهم ، على خوض حمام الموت ومنها ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في تحريض جنده على القتال بعد أن قطع عليهم جيش معاوية الماء، فقال: " قد استطعموكم فقروا على مذلة ، وتأخير محلة ، أو رووا السيوف من الدماء تروووا من الماء ، فالموت في حياتكم مقهورين ، والحياة في موتكم قاهرين" [3].
[3].

ويقول البحراني في شرحه لكلام سيد الوصيين (عليه السلام): "من لطائف الكلام ومحاسنه وهو جذب إلى القتال بأبلغ ما يكن من البلاغة فجذبهم إليه بتصويره لهم أنّ الغاية الَّتي عساهم يفرّون من القتال خوفا منها وهى الموت موجودة في الغاية الَّتي عساهم يطلبونها من ترك القتال وهى الحياة البدنيّة حال كونهم مقهورين . وتجوّز بلفظ الموت في الشدائد والأهواء الَّتي تلحقهم من عدوّهم لو قهرهم وهى عند العاقل أشدّ بكثير من موت البدن وأقوى مقاساة فإنّ المذلَّة وسقوط المنزلة والهضم والاستنقاص عند ذي اللبّ موتات متعاقبة ..... " [4] .

الخطب في هذا المجال كثيرة والشواهد عديدة الا أن المقام لا يسع لسردها ونكتفي بهذا الشاهد الذي ذكرناه.

---

(١) سورة التوبة : الآية ١٣.

(٢) التبيان : الطوسي : ٥/ ١٨٤.

(٣) نهج البلاغة : الرضي ، ١/ ١٠٠.

(٤) شرح نهج البلاغة : ٢/ ١٣٦.

٢-الإعداد المادي :

ويشتمل على :

أ- التدريب العسكري :

كان النبي (ﷺ) يمارس التدريبات العسكرية بنفسه مع المسلمين فقد روي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: "كان لرسول الله (ﷺ) ناقة يقال لها العضبا إذا تسابقت سبقت، فجاء أعرابي على بكر فسبقها فاغتم المسلمون فقيل: يا رسول الله سبقت العضبا؟ فقال: حقٌّ على الله أن لا يرفع شيئاً في الناس إلّا وضعه، وفي بعضها ألّا يرفع شيئاً في الناس إلّا وضعه"(١).

وفي ميدان الرماية روى الطوسي أنَّ النبي (ﷺ) مرَّ بقوم من الأنصار يترامون، فقال رسول الله (ﷺ): "أنا مع الحزب الذي فيه ابن الأدرع، فأمسك الحزب الآخر، وقالوا: لن يغلب حزب فيه رسول الله، فقال ارموا فأني أرمي معكم فرمى مع كل واحد منهم رشقاً فلم يسبق بعضهم بعضا، فلم يزالوا يترامون وأولادهم وأولاد أولادهم لا يسبق بعضهم بعضا"(٢).

وكذلك تدريب النفس على الخشونة لتكون قادرة على مواجهة صعوبة الحرب وتحدياتها، فقد روي عنه (ﷺ) أنَّه قال: "تناصلوا واحتفوا واخشوشنوا وتمعددوا، فقوله: تناصلوا فمعناه تراموا بالنصال وقوله: احتفوا، معناه امشوا حفاة، وقوله: اخشوشنوا، يعني ألبسوا الخشن من الثياب، وقوله : تمعددوا، يعني تكلموا بلغة معد بن عدنان فإنَّها أفصح اللغات"(٣).

ب- الصناعات الحربية:

صناعة السلاح من الضرورات التي يلجأ إليها الإسلام، فهو ليس حباباً لسفك الدم ـ كما تقدم ـ ولا إلى تصنيع آلات الدمار والخراب إلا أنَّه يضطر إليها؛ ليدافع عن وجوده، لذا فإنَّ "من العلوم التي نوه القرآن الكريم بخطرها وأشاد بقيمة المهارة فيها، الصناعات الحربية وجملة الفنون التي تحتاج إليها الأمَّة في الدفاع عن حقوقها ووجودها. ولقد جعل

---

(١) المبسوط: الطوسي:٦/٢٨٩.

(٢) المبسوط: الطوسي: ٦/٢٩٠.

(٣) الينابيع الفقهية: علي أصغر:٩/٢٨٧.

القرآن العناية بالصناعة الحربية آية على صدق الإيمان وحسن الجهاد، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (١) أي وخلقنا الحديد لتكون منه أسلحة القتال القوية التي تردع المعتدي وتقهره"(٢).

ولا شكَّ أنَّ السلاح لابدَّ أن يكون مماثلاً لسلاح العدو أو أفضل منه، وإلّا فلا معنى لوقوف السيف أمام الأسلحة الحديثة، كالدبابات والطائرات والصواريخ المدمرة، والعابرة للقارات ونحوها، وبعبارة أخرى فالحديد لغرض استخدامه في صناعة الأسلحة المتطورة؛ لردع العدو وإقامة القسط بين الناس.

وقد كان الله تعالى المُعلِّم الأول لعملية صنع الدروع التي تستخدم في الحرب، إذ قال تعالى في معرض كلامه عن نبي الله دواد (عليه السلام): ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾(٣)، "اللبوس اسم للسلاح كله عند العرب ... وقيل: هو الدرع انتهى. وفي المفردات : وقوله تعالى : (صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ) يعنى به الدرع. والبأس شدة القتال وكأنَّ المُراد به في الآية شدة وقع السلاح وضمير (وَعَلَّمْنَاهُ) لداود كما قال في موضع آخر: (وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ) (٤) والمعنى وعلمنا داود صنعة درعكم – أي علمناه كيف يصنع لكم الدرع لتحرزكم وتمنعكم شدة وقع السلاح وقوله: (فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ) تقرير على الشكر"(٥).

ولم يكتفِ الباري عزَّ وجل بالإشارة إلى الصناعة الحربية، بل أشار إلى تفاصيل العمل وضرورة صناعة الدرع بشكل متقن بحيث لا تضيق على صدر المحارب، فقد ورد في تفسير قوله تعالى:﴿ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٦)، "(سابغات): جمع (سابغ) وهو الدرع التام الواسع، و"إسباغ النعمة" أيضاً بمعنى توسيعها. (سرد): في الأصل بمعنى حياكة ما يخشن ويغلظ كنسج الدرع وخرز الجلد،

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٥.

(٢) العسكرية في الإسلام: محمد جمال الدين محفوظ، دار المعارف، كورنيش النيل ـ القاهرة: ٣٩.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٣٢٢.

(٤) سورة سبأ: الآية ١٠.

(٥) الميزان : الطباطبائي:٣١٣/١٤.

(٦) سورة سبأ : الآية ١١.

واستعير لنظم الحديد، وجملة وقدر في السرد معناها مراعاة المقاييس المتناسبة في حلقات الدرع وطريقة نسجها، وفي الواقع فإنَّ الله تعالى قد أمر داود (عليه السلام) بأن يكون مثالاً يُحتذى لكل الحرفيين والعمال المؤمنين في العالم، بمراعاته للإتقان والدقة في العمل من حيث الكم والكيف في المصنوعات، ليستطيع بالتالي مستهلكوها استعمالها براحة وبشكل جيد، والإفادة من متانتها. يقول تعالى لداود (عليه السلام): أن اصنع الدروع واسعة ومريحة، حتى لا تكون سجنا للمقاتل وقت ارتدائها ... لا تجعل حلقاتها صغيرة وضيقة أكثر من اللازم فتفقد بذلك خاصية الانثناء والتطوّي، ولا كبيرة إلى درجة يمر منها حدّ السيف والخنجر والسنان، فكل شيء يجب أن يكون ضمن مقياس معين وتناسب محدد"[١].

وكذلك كان النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يهتم كثيرا بالصناعات الحربية فقد روي أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بعث "سعد بن زيد الأنصاري أخا بنى عبد الأشهل بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد فابتاع له بهم خيلاً وسلاحاً"[٢].

كما كان يرسل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعض أصحابه ليتعلموا صناعة الأسلحة الحربية المتطورة والمهمة، كالعرادات والدبابات[٣]، وكذلك أمر أهل المدينة بتعلم صنع السلاح من أسارى يهود خيبر[٤].

وكذلك فقد "عُني الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بتطوير الجيش الإسلامي ورفع مستواه القتالي، وعمل كل ما من شأنه تحقيق ذلك، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): " إنَّ الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة، صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به والممد به..." [٥] وفي ذلك حثٌّ على إنشاء المعامل والمصانع العسكرية لصناعة الأسلحة المختلفة؛ للاستفادة منها في أغراض التدريب، وخوض المعارك، لتكون صناعة الأسلحة بأيد إسلامية"[٦].

---

(١) الأمثل : مكارم الشيرازي: ١٣/٤٠١-٤٠٢.

(٢) تاريخ الطبري: الطبري: ٢/٢٥٢.

(٣) يُنظر: الطبقات الكبرى: محمد بن سعد، دار الصادر، بيروت – لبنان : ١/٣١٢.

(٤) يُنظر: مكاتيب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): الشيخ علي الاحمدي الميانجي، دار الحديث ، ط١، طهران ـ إيران، ١٤١٩هـ: ٣/ ٥٣٨.

(٥) المصنف : ابن أبي شيبة الكوفي ، ٤/ ٥٩٨.

(٦) إعداد الجندي المسلم : محمد العقلا: ١٥٢.

ثم إنَّ السلاح كلما كان جديداً متطوراً، يضفي قوة وطمأنينة على نفس حامله، وكلما كان سلاحه أقوى كانت نفسيته أقوى على المواجهة والعكس بالعكس، كما أنَّ السلاح القديم غير المؤثر في الأعداء، لا يثير فيهم الرعب، بل يكون عاملاً مساعداً لهم على الاستمرار في القتال لاعتقادهم أن بقية الأسلحة كهذا السلاح الرديء الذي يتأثر، ويتآكل بالاستعمال، فكما أنَّ الشجاع يثير الرعب في صفوف الأعداء كذلك السلاح الجديد المتطور يزيد في رعب الأعداء لاسيما في زماننا الحاضر والذي يشهد سباقاً سريعاً نحو امتلاك اقوى الأسلحة وأشدها فتكاً[١].

٣- الإنفاق المالي :

مما لا يخفى أن إعداد القوة بمفهومها الواسع مسؤولية تتطلب مشاركة عموم المجتمع المؤمن، فالإعلام والسياسة والاقتصاد والصناعات الحربية، وكل ما يندرج تحت مفهوم القوة، مما يوجب رفعة الإسلام والمسلمين قد يحتاج إلى نفقات كبيرة وجهود كثيرة لا يمكن أن تقوم بها الدولة بمعزل عن الشعب، وقد أشار الباري تعالى إلى ذلك في قوله: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[٢]، فقد مدح الباري تعالى المؤمنين الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم على حدٍ سواء[٣]، كما قرن الجهاد بالمال مع الجهاد بالنفس لما يتطلبه الجهاد من مبالغ مالية لصناعة الأسلحة أو لشراء المراكب أو المؤنة اللزمة للجيش وهكذا، "وعلى أية حال، فلا ينبغي نسيان أنَّ جانباً من الجهاد هو الجهاد بالأموال، ومن الطبيعي أنَّ كل جهاد للعدو وقتال ضده يحتاج إلى أموال وميزانيات يجب أن تُجمع وتهيأ من قبل المسلمين الزاهدين في الدنيا وغير المتعلقين بها"[٤].

وفي آية أخرى يقول الباري: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[٥]، وقد قدَّم سبحانه وتعالى

---

(١) يُنظر: المصدر السابق: ٦١٢.

(٢) سورة التوبة : الآية ٨٨.

(٣) يُنظر: الميزان: الطباطبائي:٩/ ٣٦٠.

(٤) الأمثل: مكارم الشيرازي:١٦/ ٤٠٠.

(٥) سورة الصف: الآيتان ١٠-١١.

الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس؛ لأنَّ المقام مقام توضيح لعملية التجارة، التي تقوم على تبادل الأموال، وقد تقدَّم أنَّ عملية الجهاد تحتاج إلى شراء الأسلحة والمعدات التي لا غنى للمجاهدين عنها(١)، امّا في السُنَّة المطهرة فقد روى البخاري عن أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا الحسين حدثني يحيى قال حدثني أبو سلمة حدثني بسر بن سعيد قال حدثني زيد بن خالد أنَّ رسول الله (ﷺ) قال: "من جهَّز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا"(٢).

من هنا أشار الأعلام إلى أنَّ واحدة من مسؤوليات المجتمع المؤمن الإنفاق من أجل الجهاد، يقول الشيخ المنتظري: "إنّ إعداد القوّة يتوقف على نفقات كثيرة لا يتمكن منها إلاّ بالتعاون الاجتماعي وتطوّع الجميع في سبيل الله، فرغب في ذلك بقوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾(٣)، وإطلاقها يشمل إنفاق الأموال والنفوس وغيرهما، فتدبّ"(٤).

وأشار إلى هذا المعنى أيضاً الشيخ مكارم الشيرازي في تفسيره، إذ قال: "أنَّ الاستعداد العسكري وجمع الأسلحة والأجهزة الحربية ووسائل الدفاع المختلفة، كل ذلك يحتاج إلى الدعم المالي اللازم له؛ لذلك تأمر المسلمين بالتعاون الجماعي لتهيئة ذلك المال، وأنَّ ما يبذلونه في هذا الأمر فهو عطاء في سبيل الله، ولن ينقص منه شيء أبداً وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم فيرجع إليكم جميعه"(٥).

وسبب الإنفاق والتعاون المالي في عملية الجهاد واضح، إذ "إنَّ انفاق الأموال والاستعداد للقتال قبل وقوعه هو الذي يقي البلاد من الهلاك، والضن بالمال والحرص عليه وإمساكه عن البذل في سبيل الخير والبر والدفاع عن الوطن والحق والنفس يوقع الأمَّة في الهلاك، ويعرّضها لأن ينتهك العدو حرماتها، ويغزو بلادها ويستعبد أبنائها،

---

(١) يُنظر: التفسير الوسيط للقران الكريم: سيد محمد طنطاوي: ٣٦٤/١٤.

(٢) صحيح البخاري : ٢١٤/٣.

(٣) سورة الانفال: الآية ٦٠.

(٤) دراسات في ولاية الفقيه: المنتظري: ٧٥٧/٢.

(٥) الأمثل: ٤٧٧/٥.

ويعتدي على مقدساتها ويسلبها حقها في إقامة شعائر دينها وفي حريتها وفي عقيدتها"[١].

ومن الجدير بالإشارة إليه في هذا المقام، هو أنَّ الجيش الإسلامي يختلف عن الجيوش النظامية الحديثة، فـ"في التشريع الإسلامي، تشريع الجهاد: الخدمة العسكرية إلزامية على كل ذكر بالغ صحيح الجسم، على نحو الوجوب الكفائي. ولكن الانخراط الفعلي في العمل العسكري كان يتم حين تدعو الحاجة، أعني حين يقرر النبي (ﷺ) القيام بحملة عسكرية، وحين يتهدد المدينة خطر الغزو. ولم يرد تشريع يستفاد منه وجوب إعداد ما يسمى الآن (الجيش المحترف) وهو تفرغ عدد من المقاتلين لحياة الجندية، مدة من الزمان، في حال السلم؛ ولم يؤسس في حياة النبي (ﷺ) جيش من هذا القبيل"[٢].

وبهذا يكون الجيش مؤسسة تابعة للأمة لا للدولة "ولعلَّ مما يدلُّ على ذلك أنَّه لم يرد في الكتاب الكريم أي تعبير في آيات الحرب والقتال يستفاد منه أن (الدولة الإسلامية تحارب)، أو أنَّ القتال للدفاع عن (الدولة). بل أنَّ صريح كل ما جاء في هذا الشأن هو: أنَّ القتال للدفاع عن (المسلمين – الأمَّة)، وأنَّ (المسلمين – الأمَّة) هم الذين يقاتلون"[٣].

---

(١) العسكرية في الإسلام: محمد جمال الدين محفوظ: دار المعارف، القاهرة – مصر، د.ت:٢٧.

(٢) نظام الحكم والإدارة في الإسلام: الشيخ محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢، بيروت– لبنان ، ١٤١١هـ : ٥٨٣.

(٣) نظام الحكم والإدارة في الإسلام: الشيخ محمد مهدي شمس الدين: ٥٨٤.

المطلب الثاني
المصاديق المتعددة لمفردة (القوة)

قال تعالى : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[1] بما أنَّ مفردة القوة ـ التي وردت في الآية المباركة ـ نكرة فقد استفاد منها الاعلام شمولها لمختلف صنوف الأسلحة، وفي كل الأزمنة والأمكنة، وإن كل ما يمكن أن يكون قوة أو يندرج تحت مصاديق القوة وجب تحصيله والتمكن منه ـ كما سيأتي ـ قال الشيخ مكارم الشيرازي: "وكلمة (قوة) وإن قصرت لفظاً، إلّا أنَّها ذات معنى وسيع ومغزى عميق، فهي لا تختص بأجهزة الحرب والأسلحة الحديثة لكل عصر فحسب، بل تتسع لتشمل كل أنواع القوى والقدرات التي يكون لها أثرٌ ما في الانتصار على الأعداء، سواء من الناحية المادية أم الناحية المعنوية" [2].

أولاً: مصاديق القوة في عصر النص:

١ – الخيل:

وهي أبرز المراكب القوية في عصر النص وكان لها تأثير كبير في المعارك، وقد أقسم بها الباري تعالى في قوله: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾[3] ، قال الكاشاني: "أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا. وهو صوت أنفاسها وأجوافها عند العدو. فالّتي توري النار، أي: تنقدح من حوافرها (قَدْحًا) قدحن قدحاً. أو قادحات صاكّات بحوافرها الحجارة، فإنَّ الإيراء إخراج النّار"[4]، كما نقل لنا القرآن الكريم صورة من اهتمام النبي سليمان (عليه السلام) بالخيل كونها من أقوى المراكب القتالية التي كانت تستخدم لجهاد الأعداء، قال تعالى: ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴾[5]، "(ٱلصَّٰفِنَٰتُ) جمع (صافنة) وقال معظم اللغويين والمفسرين: إنَّها تطلق على الجياد التي تقوم على ثلاث قوائم وترفع أحد قوائمها الأمامية قليلا ليمس الأرض على طرف الحافر، وهذه الحالة تخص الخيول

---

(1) سورة الانفال : الآية ٦٠.

(٢) الأمثل: مكارم الشيرازي:٥/٤٧١.

(٣) سورة العاديات : الآيتان ١–٢.

(٤) زبدة التفاسير: فتح الله بن شكر الله الشريف الكاشاني، تح: مؤسسة المعارف ، مؤسسة المعارف الإسلامية، مطبعة عترت، ط١، قم – إيران، ١٤٢٣هـ: ٧/٤٩٤.

(٥) سورة ص: الآية ٣١.

الأصيلة التي هي على أهبة الاستعداد للحركة في أية لحظة. (اَلْخَيَادُ) جمع (جواد) وتعني الخيول السريعة السير، وكلمة (اَلْخَيَادُ) مشتقة في الأصل من (جود)، والجود عند الإنسان يعني بذل المال، وعند الخيول يعني سرعة سيرها. وبهذا الشكل فإن الخيول المذكورة تبدو كأنَّها على أهبة الاستعداد للحركة أثناء حالة توقفها، وإنَّها سريعة السير أثناء عدوها ... والخيول السريعة إحدى الوسائل المهمة التي يجب أن تتوفر لدى ذلك الجيش" [١].

وقد ذكرت آية (وأعدوا) الخيل وخصّته بالذكر على اعتبار "إنَّ الخيل لما كانت أصل الحرب وأوزارها التي عقد الخير في نواصيها، وهي أقوى القوة، وأشد العدة، وحصون الفرسان، وبها يجال في الميدان، لمّا كانت كذلك خصها بالذكر تشريفا"[٢] ، وكذلك فإنَّ "الآية بالرغم من أنها تتضمن قانوناً شاملاً لكل عصر وزمان، فهي في الوقت ذاته تحمل تعليماً مهماً خاصاً بعصر النبي (صلى الله عليه وآله) ، الذي هو عصر نزول القرآن. وفي الحقيقة إنَّ هذا المفهوم العام جاء بمثال واضح لذلك العصر؛ لأنَّ الخيل كانت في ذلك الزمن من أهمِّ وسائل الحرب، فهي وسيلة مهمة عند المقاتلين الشجعان والأبطال في هجومهم وقتالهم السريع، وأهميتها تشبه أهمية الطائرات والدبابات في العصر الحاضر"[٣]، فالخيل هو المركوب الأبرز والأقوى والأقدر على خوض غمار الحرب في تلك الأزمنة، ولهذا خصته الآيات الكريمة بالذكر، وبعبارة أخرى تخصيص الخيل بالذكر لا أنَّ له خصوصية في نفسه، وإنَّما كان المصداق الأجلى للمراكب القوية في ذلك الزمان.

٢- الرمي :

وهو آلة الرمي في عصر النص وقد فُسّرت به القوة أيضاً، فقد روى أحمد بن حنبل قال حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا هارون بن معروف وسريج قالا ثناه ابن وهب قال سريج عن عمرو قال هارون أخبرني عمرو بن الحرث عن أبي على ثمامة بن شفى عقبة بن عامر يقول: "سمعت رسول (ﷺ) وهو على المنبر وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة

---

(١) الأمثل : مكارم الشيرازي:١٤/٥٠٤.

(٢) التفسير الوسيط : سيد محمد طنطاوي : ٦/١٤٣.

(٣) الأمثل: مكارم الشيرازي: ٥/٤٧٤.

ألا أنَّ القوة الرمي ألا أنَّ القوة الرمي ألا أنَّ القوة الرمي"[١] ، وعن محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، علي بن إسماعيل رفعه قال: قال رسول الله (ﷺ): "اركبوا وارموا وإن ترموا أحبُّ إلي من أن تركبوا، ثمَّ قال: كل لهو المؤمن باطل إلّا في ثلاثة، في تأديب الفرس ورميه عن قوسه وملاعبة امرأته فإنهن حقّ إلّا أنَّ الله عز وجل ليدخل بالسهم الواحد الثلاثة الجنة عامل الخشبة والمقوي به في سبيل الله والرامي به في سبيل الله"[٢]، والرمي هو ما كان متعارف بينهم بالسهم أو الرمح أو ما شابه.

٣- السيف والترس:

وكذلك فُسرت القوة بالسيف والترس، فقد ذكر العياشي عن محمد بن عيسى عمن ذكره عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ قال: "سيف وترس"[٣].

وقد حثّت الشريعة على تعلم الرمي والسباق وجعلت الأجر على ذلك؛ إذ التعلم والاتقان لفن الرمي والسباق يعدُّ من طرق الإعداد والاستعداد لمواجهة العدو؛ ولهذا قال الشيخ الطوسي: "... ووجه الدلالة أنَّ الله تعالى أمر بإعداد الرمي ورباط الخيل للحرب، ولقاء العدو والإعداد، وذلك لا يكون إلّا بالتعلم والنهاية في التعلم المسابقة بذلك، ليكد كل واحد نفسه في بلوغ النهاية والحذق فيه فكان في ضمن الآية دليل على ما قلناه"[٤].

وذكر فقهاء المسلمين في باب السبق والرماية الأحاديث الدالة على اهتمام الشريعة بمسألة الحرب والإعداد الجيِّد لها، من خلال دفعها على ضرورة المسابقة بالنصل أو الحافر والخف، وروى الكليني عن الحسين بن محمد الأشعري، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سمعته يقول: "لا سبق إلّا في خف أو حافر أو نصل"[٥]، وقد ذكر الشيخ الطوسي في بيانه للحديث الشريف ما نصه: "فالنصل ضربان: أحدهما نشابة وهي للعجم، والآخر السهم وهي

---

(١) مسند أحمد: ١٥٧/٤.

(٢) الكافي: الكليني: ٥٠/٥.

(٣) تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي، تح: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، طهران- إيران، د.ت:٦٦/٢.

(٤) المبسوط: الشيخ الطوسي:٢٨٩/٦.

(٥) الكافي: الكليني : ٤٩/٥.

للعرب والمزاريق وهي الرديني‌ات والرماح والسيوف كل ذلك من النصل ويجوز المسابقة عليه بعوض لقوله تعالى ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾ الآية ولقوله لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر، وكل ذلك يتناوله اسم النصل. وأمّا الخف فضربان إبل وفيلة، فأمّا الإبل فيجوز المسابقة عليه، لقوله تعالى: ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾[1] وللخبر أيضاً والركاب الإبل؛ ولأنَّ النبي (ﷺ) سابق بناقته العضباء، وأمّا الفيل فقال قوم لا يجوز؛ لأنَّه ليس مما يكر ويفر، وقال آخرون يجوز وهو الأظهر والأقوى عندنا لعموم الخبر، وأمّا المسابقة على الخيل فجائز لقوله (ولا حافر) ولقوله تعالى (وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ) وقوله: (مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ) وعليه الاجماع"[2].

ثانياً: مصاديق القوة في العصر الحديث

إنَّ إطلاق لفظ القوة دون تقييدها بقيد أو شرط، جعل العلماء يتوسعون في الحديث عن القوة ومصاديقها في زماننا الحاضر، وشمولها لمختلف الأسلحة المتطورة وعدم الجمود على ما ورد من مصاديق في لسان الآيات والروايات، وفيما يأتي نص أقوالهم:

١- قول الشيخ مغنية:

قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[3] "يشمل كل قوة ترهب العدو وتخيفه وتصده عن العدوان، وليس من شكٍّ أنَّ العدو لا يخاف إلَّا إذا تسلحنا بنوع سلاحه، أو أقوى منه وأمضى، وبتعبير ثانٍ أنَّه لا اعتبار بالحافر والخف والنصل، وإنَّما الاعتبار بالسلاح المعروف المتداول، والرسول الأعظم (ﷺ) إنَّما ذكر هذه الثلاثة؛ لأنَّها السلاح المعروف دون غيرها في عصره"[4].

---

(١) سورة الحشر: الآية ٦.

(٢) المبسوط: ٦/٢٩١.

(٣) سورة الانفال: الآية ٦٠.

(٤) فقه الامام جعفر الصادق: ٤/٢٣٥.

٣- السيد محمد الشيرازي:

توسّع السيد محمد الحسيني الشيرازي (قدس سره) في مفهوم القوة، إذ قال: "لا بد أن يهتم المسلمون في رفع مستوى وعيهم، وسطح علمهم، حتى يدركوا معنى الآية الكريمة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[١]، ويعلموا تحليلها العلمي والعملي الدقيق، ويعلموا أنَّ الحاسوب والإنترنت من وسائل القوة، وكذلك الفضائيات، ويعرفوا أنَّ علم الرياضيات والهيئة من مقومات القوة، ويعرفوا أنَّ علم النفس والاجتماع، وعلم الحيوان والنبات، وعلوم الوراثة والهندسة والطب وغيرها من العلوم العصرية من مقومات القوة، بل إنَّها جميعاً من الواجبات الكفائية على المسلمين" [٢].

وقال في كتاب آخر له: "علماً بأنَّ القوة ليست في الجانب العسكري فحسب، بل في الجوانب الاقتصادية والإعلامية والاجتماعية والدبلوماسية وغيرها، وربما كانت القوة العسكرية سبباً لهجمة الأعداء على الدولة، فيلزم التوازن في امتلاك القوى، فإنَّه شرع لردع العدوان أمّا إذا كان سبباً للعدوان فيكون ناقضا للغرض" [٣].

٤- قول الشيخ المنتظري :

حيث أشار الى أنّ " الواجب هو إعداد القوّة بمفهومها الوسيع، وهي كلّ ما يتقوّى به على حفظ النظام والدفاع عنه من أنواع السلاح وإحداث الجامعات والمعاهد الحربية ومصانع الطيّارات والهيلوكوبترات النظامية وتربية الرجال المدرّبين والأخصّائيين في الفنون العسكرية ونحو ذلك، ويختلف ذلك باختلاف الأحوال والأزمان والبلاد والشرائط. والخيل كان أقوى المراكب وأسرعها في تلك الأعصار "[٤].

٥- قول الشيخ مكارم الشيرازي:

وهكذا رأي الشيخ مكارم الشيرازي حيث قال : "... فبناءً على ذلك، ومضافاً إلى ضرورة تحصيل الأسلحة المتطورة في كل زمان بعنوان وظيفة إسلامية حتمية – تجب تقوية عزائم الجنود ومعنوياتهم للحصول على قوة أكبر وأهم. ولا ينبغي الغفلة عن بقية

---

(١) سورة الانفال : الآية ٦٠.

(٢) فقه العولمة : ١٠٣.

(٣) الفقه (السلم والسلام): محمد الحسيني الشيرازي:٢٥٤.

(٤) دراسات في ولاية الفقيه: ٧٥٧/٢.

القوى والقدرات الاقتصادية والثقافية والسياسية، والتي تندرج تحت عنوان (القوة) ولها تأثير بالغ على الأعداء"[١].

٦- قول الشيخ حسن الجواهري :

إذ قال: " إنَّ القوة التي جاء بها القرآن الكريم في العصر الإسلامي شاملة للخيل والسيف والرمح ... إلخ، مما كان متعارفاً في ذلك الزمان وهي شاملة في جميع العصور لآلات الحرب حتى في زماننا هذا الذي اشتمل على القذيفة الهيدروجينية والطائرات والمدرعات، وستكون شاملة أيضاً للتطور الذي سيحدث فيما بعد، فهي كاملة من أول مرة كقاعدة كلية تشمل الجزئيات التي تحدث فيما بعد"[٢]، وفي كتاب آخر له قال: "أنَّ الثبات في العناوين لا يلزم منه عدم التطور في المصاديق كما في ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[٣]، فإنَّ إعداد القوة وإن كان شيئاً ثابتاً إلّا أنَّه مختلف المصاديق من مكان إلى آخر ومن زمان لآخر كما هو واضح" [٤].

---

(١) الأمثل : مكارم الشيرازي: ٤٧٢/٥.

(٢) الربا فقهياً واقتصادياً: حسن محمد تقي الجواهري، مطبعة الخيام، قم – إيران، ١٤٠٥هـ:٣٦٧.

(٣) سورة الانفال : الآية ٦٠.

(٤) بحوث في الفقه المعاصر: الشيخ حسن الجواهري:٢٨/٣.

الفصل الثاني

القيادة والقائد والجند في القرآن

المبحث الاول: القيادة العسكرية في القرآن

المطلب الاول: القيادة العسكرية

المطلب الثاني: أنواع القيادة العسكرية

المبحث الثاني: صفات القائد العسكري وواجباته وحقوقه

المطلب الاول: صفات القائد العسكري

المطلب الثاني: واجبات القائد وحقوقه

المبحث الثالث: الجندي وواجباته وحقوقه

المطلب الأول: واجبات الجندي الإسلامي

المطلب الثاني: حقوق الجند

المبحث الأول

القيادة العسكرية في القرآن

القيادة بشكل عام تُعدّ من المباحث التي أوْلتها النصوص الدينية أهمية بالغة؛ على اعتبار أنَّها حاجة ضرورية في كل المجتمعات البشرية، إذ لابدَّ لعموم المجتمع من قيادة تجمع كلمته، وتلم شتاته، وترشده نحو الطريق القويم والصراط المستقيم، وهذه القيادة التي تضطلع بهذه المهام، لابدَّ لها أن تكون قيادة حكيمة وواعية، شجاعة مقدامة، وإلَّا كان أمر المجتمع في سفال، وسعيهم في ضلال، والقيادة العسكرية تعد جزئية مهمة من جزئيات القيادة العامة، وعليه سأبدأ بدراسة معالم القيادة على وفق الضوابط القرآنية، وعلى المطالب الاتية:

المطلب الأول

القيادة العسكرية

١- القيادة لغةً واصطلاحاً.

القيادة لغة من الفعل الثلاثي (قود): "القَوْدُ: نقيض السَّوْق، يَقُودُ الدابَّة من أَمامِها ويَسُوقُها من خَلْفِها، فالقَوْدُ من أَمام والسَّوْقُ من خَلْف"(١).

أمّا اصطلاحاً: "فهي فن التأثير في الرجال وتوجيههم نحو هدف معين بطريقة تضمن بها طاعتهم وثقتهم واحترامهم وولائهم وتعاونهم"(٢).

أو هي: "فن التأثير في السلوك الإنساني، بغية تحقيق مهمة ما بالأسلوب الذي يرغب فيه القائد"(٣).

وهذه التعريفات وإن كانت تتحدث عن القيادة بشكل عام؛ إلّا أنَّها لا شكَّ تنطبق على القيادة العسكرية أيضاً، فالقيادة هي فن التأثير على المرؤوسين وتوجيههم بالطريقة التي يرتئيها القائد، والقائد لابدَّ أن يكون شخصية ذات مؤهلات نفسية، وفكرية وبدنية؛ وإلّا لا فرق بينه وبين مرؤوسيه، وهذا كلام عام كما ينطبق على القيادة المدنية ينطبق

(١) لسان العرب: ابن منظور:١/٣٧٠.

(٢) القيادة العسكرية في ضوء القران الكريم: فيصل بن جعفر بالي: ١٠٩.

(٣) المصدر نفسه:١٠٩.

على القيادة العسكرية، والفارق المهم أنَّ القيادة العسكرية أوْلى وأهمّ؛ على اعتبار أنَّها تدافع عن قضايا مقدسة تتصل بأمن المجتمع وأمانه، وتتطلب تضحيات جسيمة تصل إلى حد ازهاق الأرواح؛ ولهذا تنال القيادة العسكرية أهمية بالغة في نظر الشريعة والقوانين الوضعية.

وعُرِّفت القيادة العسكرية بأنها : "فن التأثير على الرجال وإرشادهم واستخدام أفضل السبل لتحقيق طاعتهم الإرادية، وثقتهم واحترامهم، وبالتالي خلق التعاون البناء فيما بينهم من أجل إنجاز مهامهم بكل جدٍ واجتهاد وبفاعلية"(١).

أو أنَّها: "تدبير شؤونهم في السلم والحرب والتخطيط لتحركاتهم. ويسمى المتكفل لذلك قائداً أيضا"(٢).

أو: "قدرة تأثير القائد على مجموعة الجنود وتوجيههم التوجيه الأمثل والأكمل نحو الهدف المراد بلوغه والوصول إليه بأسلوب يجعله ينال طاعتهم وثقتهم وتعاونهم الفاعل لإنجاز المهمة"(٣) .

وأمّا السلطة التي من خلالها يمارس القائد دوره العسكري فقيل في تعريفها بأنَّها: "القوة الشرعية التي يستخدمها القائد في توجيه مرؤوسيه للعمل في حدود مهام المنصب المعين فيه، وتعدُّ المسؤولية جزءاً أساسياً ومكملاً لسلطة القائد، حيث إنَّ جميع الرجال العسكريين يعتبرون أشخاصاً مسؤولين من الناحية القانونية والناحية المعنوية"(٤).

والقيادة العسكرية هي من تمتلك السلطة في اتخاذ القرارات المناسبة وتوجيه الجند نحو الأهداف الصحيحة، فهي معنية بالدرجة الأساس بتحقيق النصر وحفظ أرواح الجند في المعركة، وتقليل الخسائر قدر الإمكان.

والقيادة هي عملية إدارية، ولذا: "فإن أي تعريف لكلمة القيادة يثير مسائل تتعلق بعلم دلالات الالفاظ وتطورها؛ لأنَّ الاصطلاحات (الأمرة)، (الإدارة)، (القيادة)، تتداخل

---

(١) الإدارة العسكرية والقائد والقيادة: العميد الركن محمد بن علي الحميدي ، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، الرياض، ١٤٣٩هـ: ١٢٦.

(٢) ما وراء الفقه: السيد محمد الصدر :٩/٢٩٠.

(٣) القيادة العسكرية: محمد الخضيري، وكالة الرأي العربي الإخبارية، ٥ فبراير،٢٠١٧م.

(٤) أساسيات في القيادة والإدارة: هايل عبد المولى طشطوش، دار الكندي للطباعة والنشر، ط١، إربد ـ الأردن، ٢٠٠٨م: ٢٥.

على نطاق واسع في الاستعمال العسكري"[١]، وقد قالوا في تعريف الإدارة أنَّها: "عملية خلاقة تتطلب قدرات ومهارات قيادية لتوجيه الطاقات البشرية والمادية نحو تحقيق الأهداف بأعلى قدر من الكفاية وبأقل قدر من الخسائر أو التكاليف"[٢].

٢-ضرورة القيادة

يعد وجود القيادة أمراً ضرورياً ومهماً لكل جماعة من البشر؛ لينتظم أمرها ويستحكم قرارها، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): "ومكان القيّم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمّه، فإذا انقطع النظام تفرّق الخرز وذهب ثمّ لم يجتمع بحذافيره أبداً"[٣]، وقال ابن خلدون في ضرورة وجود القيادة ما نصَّه: "ثم إنَّ هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم فلابدَّ من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليست السلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم لأنَّها موجودة لجميعهم فلابدَّ من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم وإلهاماتهم فيكون ذلك الوازع واحداً منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك وقد تبين لك بهذا أنَّ للإنسان خاصة طبيعية ولابد لهم منها وقد يوجد في بعض الحيوانات العجم على ما ذكره الحكماء كما في النحل والجراد لما استقرئ فيها من الحكم والانقياد والاتباع لرئيس من أشخاصها متميز عنهم في خلقه وجثمانه إلّا أنَّ ذلك موجود لغير الإنسان بمقتضى الفطرة والهداية لا بمقتضى الفكرة والسياسة"[٤].

وفي الحديث النبوي فقد روى البيهقي عن الفضل بن جابر قال ثنا محمد بن عباد ثنا حاتم ثنا ابن عجلان عن نافع عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم"[٥]؛ لكي لا يقع بينهم الاختلاف، فذكر بأنَّ في الحديث "دليل على أنَّه يشرع لكل عدد بلغ ثلاثة فصاعداً أن يؤمروا عليهم أحدهم؛

(١) الاستراتيجية الحربية في معركة عاشوراء: السيد نبيل الحسيني: ٤٣.

(٢) العسكرية في الإسلام: محمد جمال الدين محفوظ : ٤٧.

(٣) نهج البلاغة: الشريف الرضي: ٢٩/٢.

(٤) تاريخ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي، دار احياء التراث العربي، ط٤، بيروت: ٤٣/١.

(٥) السنن الكبرى: احمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار الفكر ، بيروت – لبنان: ٢٥٧/٥.

لأنَّ في ذلك السلامة من الخلاف الذي يؤدي إلى الاختلاف، فمع عدم التأمير يستبد كل واحد برأيه ويفعل ما يطابق هواه فيهلكون، ومع التأمير يقل الاختلاف وتجتمع الكلمة، وإذا شرع هذا لثلاثة يكونون في فلاة من الأرض أو يسافرون فشرعيته لعدد أكثر يسكنون القرى والأمصار ويحتاجون لدفع التظالم وفصل التخاصم أوْلى وأحرى إذا خرج"(١).

ومن خلال ما ورد في الحديث يلاحظ إنَّما يجب على الجند "أن يؤمَّر عليهم أميراً لتتفق كلمتهم ويتمكنوا من المحاربة مع المشركين إن ابتلوا بذلك. وكذلك إن خرجوا متفرقين قبل نهي الإمام، فهجم عليهم العدو، فينبغي لهم أن يجتمعوا ويؤمِّروا عليهم أميراً ثم يقاتلوا حتى يلتحقوا بالعسكر؛ لأنَّ حاجة الجيش إلى ذلك ماسة. والإمام ناظر لهم. فإنما يتم النظر منه إذا بعث لذلك قوماً. لقوله (ﷺ) في الحديث الذي روينا: "هل أمرتما؟ قال: نعم. فقال: ألا قد رشدتما"(٢).

وسبب الحاجة إلى القيادة يبيِّنها الكاساني بقوله: "وأما بيان ما يندب إليه الإمام عند بعث الجيش أو السرية إلى الجهاد فنقول وبالله التوفيق أنَّه يندب إلى أشياء (منها) أن يؤمِّر عليهم أميراً؛ لأنَّ النبي عليه (ﷺ) ما بعث جيشاً إلّا وأمَّر عليهم أميراً؛ ولأنَّ الحاجة إلى الأمير ماسة؛ لأنَّه لابدَّ من تنفيذ الأحكام وسياسة الرعية ولا يقوم ذلك إلّا بالأمير لتعذر الرجوع في كل حادثة إلى الإمام"(٣).

وتمت الإشارة قبل ذلك إلى اهتمام الشريعة بموضوع القيادة، على أنَّها ضرورة من ضرورات المجتمع التي لا قوام له من دونها؛ ولهذا ذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) في قوله: "إنَّه لابدَّ للناس من أمير بر أو فاجر"(٤)؛ لئلا يقع الهرج والمرج، ولا شك أن الأمير لابد أن يكون برا لا فاجرا ، بل لا يجوز شرعا تولي الأمير الفاجر الا أن مراد الإمام (عليه السلام) من هذا الحديث داخل في باب التزاحم بين الفاسد والأفسد ، أي : لو كان الناس بين خيارين إما الفوضى وإما الحاكم الفاجر ، فالخيار الأفضل هو الحاكم الفاجر لكونه

---

(١) نيل الاوطار من أحاديث سيد الأخيار: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ١٩٧٣م: ١٥٧/٩.

(٢) شرح السير الكبير: السرخسي: ١٦٧/١.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: الامام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني، المكتبة الحبيبية، ط١، باكستان، ١٤٠٩هـ :٩٩/٧.

(٤) نهج البلاغة : الشريف الرضي :٩١/١.

اهون فسادا من الفوضى ، ويدل على ذلك حديث آخر للإمام علي (عليه السلام) يقول فيه : "وال ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم" [١] ولا شك أن الفوضى هي فتنة .

وهكذا حال العسكر فلابد له من قيادة تجمع أمره، وتلم شتاته، وإلّا انفرط عقد الجيش وصار مصيره إلى الهزيمة؛ وقد: "كان العرب المسلمون في فتوحاتهم يستهدفون قتل قادة الخصم منذ اللحظات الأولى للقتال. وكان لذلك انعكاسات نفسية سيئة في مسيرة المعركة التي يقتل فيها القائد وفي مسيرة العمليات التالية بحيث أصبح القادة يعرفون أنَّ مصيرهم الحتمي هو القتل عند اصطدامهم بالمسلمين وكان خوف القادة ينعكس بدوره على المقاتلين"[٢].

وما ينبئ عن ضرورة القيادة، واستمرار وجودها على رأس الجيش، ما صنعه رسول الله (ﷺ) في مؤتة، من اختيار القيادات لجيش المسلمين وتسلسل تعاقبهم على القيادة في حال استشهد أحد منهم، فقد روى الطبري عن عروة بن الزبير قال: "بعث رسول الله (ﷺ) بعثه إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمانية واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال إن أصيب زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب على الناس فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس"[٣]. فتعاقب تولي القادة لمنصب القيادة؛ لئلا ينفرط عقد الجيش.

(١) ميزان الحكمة : الريشهري ، ٣/ ٢٣٦٧.

(٢) فن الحرب الإسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والامويين: بسام العسلي، دار الفكر، بيروت – لبنان:٣٥.

(٣) تاريخ الطبري: ٣١٩/٢.

المطلب الثاني

أنواع القيادة العسكرية

للقيادة العسكرية أنواع ، منها:

١-القيادة المستبدة :

عُرِّفت القيادة المستبدة بأنها: "المبنية على الأنانية في اتخاذ القرار مع حرمان المرؤوسين من المشاركة في المسؤولية، وترتكز على التهديد والإكراه والقسر والخوف والاجبار واستعمال العنف والتلويح بالعقوبات في حال التقاعس أو التردد"(١).

وهي القيادة التي يعبر عنها بالدكتاتورية والتي تقوم بجميع الأعمال بنفسها وتزعم أنَّها تعرف كل شيء، وأما رأيها فهو الأصوب، ولا تسمح للآخرين بأبداء آرائهم، فتوزع الأوامر وتعطي التوجيهات من دون التشاور مع الشخص الذي يقوم بتنفيذ العمل، بالإضافة إلى أنه دكتاتور بالنسبة إلى أقرانه أيضاً وغالباً ما يعتقد القائد المتسلط أنَّه بسبب مركزه وبما يتمتع به من سلطة يمكنه أن يقرر أفضل من غيره وما الذي ينبغي فعله، وفي ظل هذه القيادة تكون أساليبه الرقابية المستخدمة عديدة وعنيفة وجامدة وهذا النوع من القيادة من أسوأ أنواع القيادات، ولا شكَّ أنَّها توقع المرؤوسين بمشاكل عديدة، نتيجة القرارات الخاطئة التي تصدر منها، كما أنَّه لا محال إنَّ القيادة التي هذه صفتها يكثر العثار فيها، ودليل ذلك أنَّها اتخذت في أول أمرها مساراً منحرفاً وهو الاستبداد وفرض الرأي(٢) .

ومثال هذا النوع من القيادة في القرآن الكريم هي القيادة الفرعونية، قال تعالى:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ (٣).

---

(١) اساسيات في القيادة والإدارة: هايل عبد المولى : ٦٤.

(٢) يُنظر: القيادة الفاعلة والإدارة الناجحة : هاشم المطيري: ١٥.

(٣) سورة غافر : الآية ٢٩.

٢ ـ القيادة التشاورية :

قال تعالى : ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾[١] ويقوم هذا النوع من القيادة على مداولة الرأي، وعدم الاستبداد في القرار، وإشراك الآخرين فيه، وبهذا فهي قريبة إلى الصواب دائماً، ففي الحديث الشريف عن الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) قال: "ما تشاور قوم إلّا هدوا إلى رشدهم"[٢]. وهذه القيادة تستفيد من المرؤوسين ومن الزملاء وتشاورهم وتأخذ بآرائهم وتشجع المبادرة من جانب التابعين، إذ إنَّها لا تستبد بقراراتها، وإنَّما يقترح القائد الأعمال المحتملة مع توصياته، لكنه ينتظر موافقة الجماعة قبل أن يضع هذه الأعمال موضع التنفيذ لعلَّ هناك من يشير إلى رأي أفضل وقرار أصوب، كما تهتم هذه القيادة بمصالح الجماعة أي المصلحة العامة وتعمل على اشباعها بخلاف القيادة الدكتاتورية التي لا ترى إلّا نفسها، فالاستشارية ضد الدكتاتورية فهي بخط مستقيم متوازٍ لا يلتقيان وهي تسعى للحصول على أفضل النتائج، لكن من الواضح أنَّ القيادة الاستشارية ليس معناها أن تستشير كل من هبّ ودبّ، وإنَّما تقتصر في استشارتها على ذوي الاختصاص ممن يُعتدّ برأيهم[٣].

وقد ركّز القرآن الكريم والأحاديث الشريفة على مبدأ الشورى في الأمور العامة للأمَّة، كما أوجب على القيادات الإسلامية ـ سواء العسكرية منها أو المدنية ـ أن لا تقطع أمراً دون الرجوع إلى الأمَّة والأخذ برأيها، والقيادة العسكرية لابدَّ لها من الرجوع إلى الجند والاخذ برأيهم، سوى الأسرار الحربية: "حيث إنَّ اظهار أسرار الحرب قد يؤدي إلى كارثة، فيما لو تسربت تلك الأسرار للأعداء"[٤]. وسيأتي الكلام تفصيلا عن الشورى في صفات القائد العسكري.

---

(١) سورة آل عمران : الآية : ١٥٩.

(٢) تحف العقول: الحراني: ٢٣٣.

(٣) يُنظر: اساسيات في القيادة والإدارة: هايل عبد المولى: ١٦.

(٤) الصحيح من سيرة الامام علي (عليه السلام) : السيد جعفر مرتضى العاملي ، دفتر تبليغات إسلامي ، ط١، ولاء المنتظر (عجل الله فرجه)، قم، ١٤٣٠هـ :١٨٨/١٩.

٣ ـ القيادة الأبوية :

من دلالة الاسم يوحي هذا النوع من القيادة بأنَّ القائد فيها يقود مرؤوسيه بطريقة أبوية عاطفية، يحيطهم برعايته وعطفه، فيعفو عن مسيئهم بما لا يضر مصلحة العمل، ويحسن إلى محسنهم، وهكذا تكون هذه القيادة بمنزلة الأب بالنسبة إلى العائلة، فتهتم بالنفوذ الأبوي في العلاقات بين القائد والجماعة، والذي ينعكس على اهتمام القائد براحة ورفاهية التابعين وجعلهم بمنزلة أبنائه وهم يشعرون بهذا الشعور فيجعلونه أباً، إذ كلما امتدت وتعمّقت أواصر الودّ والمحبة بين القائد ومرؤوسيه، كلما ازدادت محبة المرؤوسين بعملهم، وزاد حرصهم لبذل المزيد من الجهد وقد جاء في الحديث الشريف: "أنا وعلي أبوا هذه الأمَّة" [١]. وقد تحدث القرآن الكريم حيث خاطب الأمَّة الإسلامية بقوله: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [٢] ، وهذا النوع من القيادة يكون كقيادة الأب يهدف إلى الحماية والإرشاد، وفي الغالب ينجح هذا النوع من القيادة عند ممارسته ولكن استمرار نجاحه في المستقبل يتوقف على استمرار الخدمات الأبوية للقائد حاله حال الأب في البيت، إذ إنَّه يصبح أبا ما دام يعتني بماديات عائلته ومعنوياتهم فإذا انقطع عن ذلك انقطع هو عن الأبوية وينقطعون هم عنه[٣].

٤ـ القيادة الجافة:

وهي القيادة التي لا نصيب لها من العطف، ومثل هذه القيادة يكون دائماً مفروضة، إذ من الطبيعي أنَّ الناس لا تميل إلى الإنسان الجاف في تعاملاتها ولا تريد العمل معه، وهذا النوع من القيادة عادةً ما يكون فاقد لكمال العقل أيضاً بل حتماً، للحديث الوارد "عن سهل بن زياد، عن علي بن حسان، عن موسى بن بكر، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: التودد إلى الناس نصف العقل"[٤]، والناس إنَّما يريدون إلى جانب العقل العطف؛ لأنَّهم خلقوا من عقل وعاطفة، فالقائد إذا لم يعامل أتباعه بكلا الأمرين

---

(١) علل الشرائع: الصدوق :١٢٧/١.

(٢) سورة الحج: الآية ٧٨.

(٣) يُنظر: القيادة الفاعلة: المطيري: ١٧.

(٤) الكافي : الكليني: ٦٤٣/٢.

العقل والعاطفة كان قائداً فاشلاً، كما أنَّه إن وضع العقل مكان العاطفة أو العاطفة مكان العقل كان قائداً فاشلاً أيضاً، وحتى إذا لم يكن القائد عاطفياً من أعماقه يجب عليه التظاهر بالعاطفية في موقع العاطفة، وإلاّ انفض الناس من حوله. ولذا قال سبحانه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1]، فإنَّ غلظة القلب عبارة عن الأعماق، والفظاظة عبارة عن المظهر، ومن الواضح أنَّ الإنسان إذا كان متصفاً بأحدهما دون الآخر يبقى وقتاً ما قيادته، لكن مثل هذه القيادة لا تبقى مستمرة، فإنَّ التصنع بظاهر العطف مع غلظة القلب لا يمر زمان إلَّا ويظهر وكذلك حال العكس[2].

٥- القيادة السلبية (التسيبية، الفوضوية):

لا شكَّ أنَّ القيادة السلبية هي الأقل من القيادات الأخرى، إذ "في هذا النوع يفتقر القائد إلى الحماس والدافع لإنجاز العمل، حيث يترك حرية التصرف لمن هم دونه ويفوض كل صلاحياته أو أغلبها إلى المرؤوسين في اتخاذ القرار وتحديد الأهداف، ولهذا النوع من القيادة سلبيات كثيرة؛ لأنَّه يؤدي إلى تعدد المرجعيات وتضارب الآراء وتخبط أساليب التنفيذ"[3]، كما يمكن أن يصطلح على هذا النوع من القيادة بالقيادة (الكسولة) .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٩.

(٢) يُنظر: الفقه الإدارة: السيد محمد الحسيني الشيرازي، دار العلوم، ط١، ١٤١٠هـ : ج٢ ، ص١٢.١٣.

(٣) اساسيات في القيادة والإدارة : هايل عبد المولى ، ص٦٥.

المبحث الثاني

صفات القائد العسكري وواجباته وحقوقه.

تمهيد :

القائد في اللغة يرجع في أصله الى الفعل الثلاثي (قود) فيشترك في ذلك مع تعريف القيادة في اللغة الذي ذكرناه سالفا فلا نكرر.

امّا في الاصطلاح فقد عُرّف القائد بصورة عامة بأنّه : "هو ذلك الشخص المتخصص الذي يمارس نشاطه ويؤثّر في الآخرين ويجعلهم يتعاونون لتحقيق أهداف يرغبون في تحقيقها"(١).

أو "هو ذلك الشخص الذي يحوز صفات تؤهله لأن يوجه الآخرين ، وله ملكة التأثير فيهم"(٢).

وهذه التعاريف تتحدث عن القائد بشكل عام وإن كانت تنطبق على القائد العسكري أيضا، ولكن عُرّف القائد العسكري ، بأنّه : "هو العقل المدبر والمحرك للجند، وهو المثل الأعلى لهم، وبه يقتدون، وعن أمره يصدرون، وفي جُلِّ أمورهم إليه يرجعون" (٣) ، وعلى هذا لابدَّ أن تكون قراراته دقيقة وحكيمة؛ إذ إنَّ أرواح الجند مرهونة بتلك القرارات، كما أنَّ مسألة الانتصار في الحرب أو الخسارة فيها، كما تعتمد على حنكة القائد العسكري وذكائه ومعلوماته الحربية، تحتاج إلى إرادة صلبة وشجاعة فائقة؛ ونتيجة لهذا الدور الخطير الذي يمارسه القائد العسكري فقد كتب العلماء والباحثون في شخصيته وذكروا له صفات كثيرة وواجبات عليه أدائها وحقوق ينبغي حفظها له، وكل ذلك كان مستخلصا من القرآن الكريم والسنة والشريفة ، وسيكون هذا المبحث مخصصا للحديث عن القائد العسكري في صفاته وواجباته وحقوقه على وفق المطالب الآتية:

---

(١) القيادة الفاعلة والإدارة الناجحة: هاشم احمد المطيري، دار القارئ للطباعة والنشر، ط١، بيروت – لبنان، ١٤٣٦هـ: ١٣.

(٢) المصدر نفسه: ١٠٩.

(٣) إعداد الجندي المسلم: عبد الله العقلا : ٥٩٧.

المطلب الأول

صفات القائد العسكري

وقد ذكروا له صفات كثيرة كان أهمها :

١ – الإيمان بالله :

"آمن إيماناً: صار ذا أمن فهو مؤمن، آمن به: وثق به وصدقه، والإيمان بالله، التسليم له"(١)، ولا شكَّ أَّن الإيمان ذو مراتب تشكيكية وليست متواطية، وأن أعلى مراتب الإيمان هو التسليم المطلق لله رب العالمين، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾(٢)، وقد مدح الباري تعالى تلك العصبة المؤمنة التي كانت تلتف حول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الأحزاب بقوله: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾(٣) أي أن تحزّب تلك القوى وتجمهرها لقتال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رغم كثرة عددهم وقلة عدد المؤمنين الا أن ذلك الجهد والخوف زادهم إيمانا وتسليما لأمر الله تعالى(٤) والقائد لابَّد أن يكون ذو مرتبة إيمانية عالية؛ إذ إنَّه قدوة الجند ومثلهم الأعلى، والإيمان بالله "هو شرط عام وأساس للمقاتلين الإسلاميين، لاسيما في الأمر الذي يقود الوحدات في ميادين الخطر لتحقيق أهداف معينة، والإيمان بأنّ بالله تعالى خالق كل شيء، وقد أوجب الجهاد لإعلاء كلمته وعزة دينه، وهكذا، فالجهاد في سبيل الله لتحقيق إرادته عزَّ وجلّ، وتنفيذ مشيئته، فإنَّ مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) لما ولّى مالك الاشتر النخعي (رحمه الله) على مصر، عهد إليه وإلى أهل مصر بقوله: "من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى القوم ... أمّا بعد فقد بعثت اليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيّام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع ". فان قوله: (عبدا من عباد الله) يشير إلى الإيمان بالله وهو أول صفات الأمر وصفته الرئيسية"(٥) .

---

(١) القاموس الفقهي: د. سعدي أبو حبيب : ٢٥.

(٢) سورة النساء : الآية ٦٥.

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٢٢.

(٤) تفسير نور الثقلين : الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي ، تصحيح وتعليق : السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، ط٤، ١٤١٢ه ، المطبعة ، اسماعيليان -قم – إيران .

(٥) بحوث حول النظام العسكري في الإسلام : احمد زماني، الدار الإسلامية، ط١، بيروت ـ لبنان ١٩٩١هـ :٩٠.

٢- العلم والجسم :

العلم "نقيض الجهل"[١]، والمراد من الجسم، هو" الجسد، البدن"[٢]، وقد ذكرهما الباري تعالى في قوله: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٣]، ففي الآية الكريمة إشارة إلى أنَّ من أهمِّ صفات القائد أن يكون صاحب علم ومعرفة وحكمة، ومن الناحية البدنية أن يكون قوياً مقتدراً[٤]، والعلم ليتمكن به من قيادة المعركة وحسن إدارتها، واما الجسم فليكون قادراً به على خوض غمار المعركة ومواجهة المصاعب والاخطار من خلال قدرته البدنية الفائقة.

وفي الحديث عن أحمد بن محمد بن سعيد عن محمد بن فضل بن ربيعة الأشعري عن علي بن حسان عن عبد الرحمان بن كثير عن جعفر عن أبيه عن علي بن الحسين(عليه السلام) في خبر طويل أنَّه قال: "قال الحسن بن علي (عليه السلام) قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): ما ولّت أمّة قطّ أمرها رجلا وفيهم أعلم منه إلاّ لم يزل أمرهم يذهب سفالاً حتى يرجعوا إلى ما تركوا"[٥] .

ولا شكَّ أنَّ العلم والمعرفة هما الطريق الذي يهتدي به الكل سيما كل قائد وفي أي مكان، ففي أرض المعركة يجب أن يكون القائد أعلم الجند بسياسة الحرب وفن التدبير فيها، ولهذا قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في صفة قائد الجند، أن يكون: "أجمعهم للعلم وحسن السياسة"[٦]؛ وإلّا آل أمر العسكر إلى الخسران، إذ إنَّ الخبرة بالعمل أصل من أصول نجاحه، والجهل به، من أهمِّ أسباب فشله، فلابدَّ أن يكون القائد ذا خبرة فائقة بشؤون الحرب وفنونها، وذو عقل راجح وحكمة بالغة، وقدرة على الإحاطة بالأمور

---

(١) العين : الفراهيدي:١٥٢/٢.

(٢) معجم الفاظ الفقه الجعفري ، د. احمد فتح الله :١٤١.

(٣) سورة البقرة : ٢٤٧.

(٤) يُنظر : الأمثل ، مكارم الشيرازي :٢٢٢/٢.

(٥) الاحتجاج : الشيخ الطبرسي :٢١٩/١.

(٦) مستدرك الوسائل: النوري :١٤٩/١٣.

وسرعة فهمها، وحسن التصرف فيها؛ وكذلك يكون خبيراً برجاله الذين أعدهم لقتال الأعداء، ليتمكن من سياستهم وضبطهم، وليدبر أمورهم بحكمة، فتحري الأمور وتمحيصها قبل إصدار القرار فيها، وسداد الراي، من أهمِّ العوامل التي تساعد على اتخاذ القرار المناسب والامثل في كل أمر ، وكذلك يكون خبيراً بالعدو الذي يقاتله، وسلاحه الذي يستعمله، وبالأرض التي تكون عليها المعركة من سهول وجبال وغابات ومياه وغير ذلك، والقائد بدون خبرة كالجسد بدون روح(١). كما أنَّ سداد رأي القائد يولد ثقة جنوده به، ويزيد من ثقة الجيش بنفسه. ويثق الجند بقرارات قائدهم، ولو لم يرجع إلى من هو أعلى منه في القرار، فيكون مصدر اطمئنان لهم(٢).

والعلم الذي اشارت إليه الآية المباركة هو علم الحرب أي ان طالوت كان أعلمهم بأمور الحرب(٣).

وكذلك ينبغي أن يكون القائد جسيماً مهاباً فالطاقة البدنية مهمة في الحرب من جهة تحملها للمصاعب أولاً، وما تحدثه من رعب في قلب العدو ثانياً(٤).

"والظاهر من بسط الجسم وإن كان كبره فقط ويناسب هذا لقائد الجيش أيضاً، ولكن يمكن أن يكون كناية عن الشجاعة والقدرة الروحية أيضاً، لتناسب الجسم والروح غالباً. ولعلّ المراد بالعلم هنا أيضاً العلم بفنون الحرب المفوضة إليه، لا العلم بالمسائل الكليّة وإن كان يحتمل الأعم أيضاً"(٥).

و"يلاحظ التعبير هنا بقوله : (هَـٰٓأَلۡعِلۡمِ)(٦)، إذ يتضمن ذلك إشارة لطيفة إلى أنَّ العلم منبسط على مختلف الحاجات، والمواضع التي يحتاج فيها من يتولى هذه المسؤولية الخطيرة، إلى العلم. كما أنَّ البسط في الجسم يستبطن استجماعه لكل الحالات

---

(١) يُنظر: أعداد الجندي المسلم: عبد الله العقلا: ٦٠٢.

(٢) يُنظر: الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته: عبد الله بن احمد القادري، دار المنارة، ط٢، المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ :١٢/٢- ١٣.

(٣) يُنظر: تفسير السمعاني : السمعاني ، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم عباس بن غنيم، دار الوطن ، مطبعة السعودية، ط١، الرياض، ١٤١٨هـ :٢٥٠/١.

(٤) يُنظر: شرح أصول الكافي: مولى محمد بن صالح المازندراني:٢٣٤/٥.

(٥) دراسات في ولاية الفقيه : الشيخ المنتظري:٣٢١/١.

(٦) سورة البقرة : الآية ٢٤٧.

ذات المناشئ الجسمانية، ويحتاج إليها الحاكم في مهماته المتنوعة مثل؛ قوة العضلات، والشجاعة في القلب، والعقل الراجح، وكذلك الميزات الشخصية التي تدخل في تكوينه الإنساني، كالكرم، والنبل والعفة، والوفاء وما إلى ذلك"[١].

٣- الشجاعة والشدة في ذات الله:

هي: "قوة في القلب يتمكن معها تحمل الحرب ومكاره الحرب في حالة لا يؤمن بنفيها على النفس أو على بعض أطرافه" [٢]. أو هي: "موافقة الأقران والصبر عند الطعان"[٣]. أو: "هي استقامة القوة الغضبية من غير ميل إلى طرفي إفراط التهور وتفريط الجبن، وانقيادها للقوة العقلية على يسر وسهولة"[٤].

والتعريف الأخير أعم مما سبقه فهو شامل لأمر الحرب وغيرها ، وهو أدق كما يبدو، إذ إنَّ الحرب كما تحتاج إلى الشجاعة، تحتاج إلى العقل والتعقّل، وبعبارة أخرى تحتاج إلى استقامة القوة الغضبية، فلا إفراط يؤدي إلى التهوّر مما قد يسبب تعدياً على حقوق الله تعالى، وقد قال رسول الله (ﷺ): "آفة الشجاعة البغي"[٥]، ولا تفريط يصل إلى حد الجبن، وهو مما يسبب كسراً للجيش وهزيمة له .

قال تعالى :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[٦]، قال السيد الطباطبائي (قدس سره) في معنى الغلظة: "أي الشدة في ذات الله وليس يعنى بها الخشونة والفظاظة وسوء الخلق والقساوة والجفاء"[٧]، ولا شكَّ شكَّ أنَّ مرجع الشدة إلى الشجاعة، وإلّا فإنَّ الجبان لا يكون شديداً.

---

(١) ولاية الفقيه في صحيحة عمر بن حنظلة وغيرها : السيد جعفر مرتضى العاملي، دار السيرة ، ط٢، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ: ١١٣.

(٢) رسائل الشريف المرتضى: الشريف المرتضى، تق: السيد أحمد الحسيني، دار القران الكريم، مطبعة الخيام، قم – إيران، ١٤٠٥هـ : ٢/٢٧٤.

(٣) الوافي: الفيض الكاشاني : ٢٦ / ٢٤٣.

(٤) مفاتيح الشرائع : المولى محمد محسن الفيض الكاشاني ، تح: السيد مهدي الرجائي ، مطبعة الخيام ، قم ـ إيران، ١٤٠١هـ:٢/١٦.

(٥) التوحيد : الصدوق :٣٧٦.

(٦) سورة التوبة : الآية ١٢٣.

(٧) الميزان: ٩/ ٤٠٤.

ومن المعلوم أنَّ الشجاعة وقوة القلب، ورباطة الجأش، والإقدام في ميدان الحرب، من ألزم الصفات التي لابدَّ من توافرها في شخصية القائد العسكري بعد العلم والمعرفة، فالقائد إذا كان جباناً لا ينفعه العلم بأمور الحرب، والاطلاع على اسرارها، ومعرفة خفاياها؛ ولهذا كان ينتخب لقيادة العساكر الاشاوس الأبطال، والصناديد من الرجال الذين قلوبهم كزبر الحديد، ومن لا تهزهم الهزائز، ولا ترجفهم الرواجف.

وإننا لا نجد مجاهداً عظيماً، أو قائدا قديرا ، أو بطلاً من الأبطال إلّا والشجاعة من أبرز سماته؛ وذلك لأنَّ اختيار طريق الحرب والصمود فيها ومقارعة الابطال وصناديد الرجال، لا شكَّ أن ذلك كاشف عن مدى شجاعة ذلك القائد المجاهد، و الشجاعة في السلم القوة الدافعة للاعتصام بالعقيدة، والصدع بكلمة الحق، والتنديد بمفاسد المجتمع، وأنَّها في الحرب قوة وعدة وسلاح، واتخاذ قرارات شجاعة وحاسمة(١). والشجاعة ضرورة في القائد؛ لأنَّ الحرب تتطلب منه أن يتمتع بقدرة على السيطرة على الخوف حتى يتحمل المسؤوليات بصدر رحب واسع(٢) .

٤- الشورى :

وتعني: "الأمر الذي يتشاور فيه" (٣)، و "طلب الإدلاء بالرأي في شيء ما"(٤)، والشورى: "بضم الشين، التشاور، طلب آراء أهل العلم والرأي في قضية من القضايا"(٥).

قال تعالى :﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(٦)، يقول السيد الطباطبائي (قدس سره): "وشاورهم في الأمر إنَّما سيق ليكون إمضاءاً لسيرته (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنَّه كذلك كان يفعل وقد شاورهم في أمر القتال قبيل يوم أحد وفيه إشعار بأنَّه إنَّما يفعل ما يؤمر والله سبحانه عن فعله راض"(٧)، وواضح أنَّ في الآية الكريمة أمر للنبي

(١) يُنظر: الجهاد: احمد محمد الحوفي: ٧٧.

(٢) يُنظر: القيادة العسكرية في ضوء القران الكريم: عبد العزيز بن محمد هنيدي: ١٠٣.

(٣) القاموس الفقهي : د. سعدي أبو حبيب : ٢٠٥.

(٤) المصطلحات : إعداد مركز المعجم الفقهي : ٢٤٧.

(٥) المصدر نفسه : ١٥٠٩

(٦) سورة آل عمران : الآية ١٥٩.

(٧) الميزان : الطباطبائي: ٤/ ٥٦

الأعظم(ﷺ) بأن يستشيرهم في أمر الحرب، رغم أنَّه أكمل الناس عقلاً، وأعلاهم شأناً، إلّا أنَّ الباري تعالى يشير في ذلك إلى أنَّ الاستشارة لابدَّ أن تكون من خصائص القائد الحكيم وأنها واجبة عليه.

وقال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[1]، وفي تفسيرها يقول الشيخ مكارم الشيرازي: "الطريف في الأمر أنَّ الرسول (ﷺ) كان أيضا يتشاور مع أتباعه وأنصاره في القضايا الاجتماعية المهمة والتنفيذية والصلح والحرب والأمور المهمة الأخرى بالرغم من تكامل عقله وارتباطه بمصدر الوحي، وكان يشاور أصحابه أحيانا بالرغم من المشكل التي تحصل من جراء ذلك، لكي يكون أسوة وقدوة للناس؛ لأنَّ بركات الاستشارة أكثر بكثير من احتمالات ضررها"[2].

ومن الأحاديث النبوية ما ورد عن أبي عبد الله الحافظ نا الحسن بن محمد بن إسحاق نا أبو عثمان الحناط نا العباس بن سهل نا ابن أبي فديك عن عمر بن حفص عن أبي عمران الجوني عن ابن عمر عن النبي (ﷺ) أنَّه قال: "من أراد أمراً فشاور فيه وقضى لله هدي لأرشد الأمور"[3]، وعن آدم بن أبي إياس ثنا حماد بن زيد عن الحسن (عليه السلام) أنه قال: "والله ما تشاور قوم إلّا هدوا لأفضل ما يحضر بهم"[4].

فالآيات والروايات صريحة بضرورة المشاورة لاسيما في أمور الحرب؛ لأنَّ "القرار العسكري قرار مصيري بالنسبة للأمة بأسرها وقرار مصيري وجوهري بالنسبة للمقاتلين والقادة. فيه يتحدد مصيرهم ومستقبل أجيالهم وأوطانهم ومقدساتهم، وعزتهم ومجدهم، فإن كان صواباً وسديداً كان النصر وكان التوفيق بإذن الله سبحانه، وإن كان القرار مبتسراً وفردياً وتسلطياً واستبدادياً بني على الهوى الشخصي والمزاج الفاسد ترتب عليه عواقب وخيمة تضر بالبلاد والعباد والمقدسات ولما كان هذا القرار له من الأهمية القصوى والخطورة العظمى على حاضر الأمَّة ومستقبلها أوجب الإسلام على القائد ألّا يستبد في

---

(١) سورة الشورى : الآية ٣٨.

(٢) الأمثل : مكارم الشيرازي: ٥٥٨/١٥.

(٣) شعب الايمان: أحمد بن الحسين البيهقي، تح: محمد السعيد، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت– لبنان، ١٤١٠هـ: ١٤١٠هـ: ٧٥/٦.

(٤) تخريج الاحاديث والآثار: الزيلعي، تح: عبد الله بن عبد الرحمن السعد ، دار ابن خزيمة، مطبعة الرياض، ط١، ١٤١٤هـ: ٢٤٢/٣.

إصدار القرار العسكري، وحرّم عليه الانفراد في الرأي دون مشاورة أهل الاختصاص، وهم العسكريون في القرار العسكري"[١].

وهكذا فإن من خصائص القائد الحكيم العمل بمبدأ الشورى وراي الأكثرية، لاسيما إن كانوا من أهل الحل والعقد، والخبرة والتخصص في شأن الحرب، قال الهرثمي: "شاور فيما تحتاج إلى المشاورة فيه من مصون أمرك. ذا الرأي والمعرفة والثقة والنصيحة من خاصتك وبطانتك"[٢]، كما أنَّ الشورى من المبادئ العقلية التي تدركها البشرية بفطرتها، فالراي الصادر من مجموعة العقلاء، لا شكَّ أنَّه في الأعمِّ الأغلب أصوب وأهدى من الراي المنفرد، وقد حثت الآيات الكريمة والروايات المباركة ـ كما تقدم ـ على العمل بمبدأ الاستشارة أو الشورى، والعمل وفق مخرجاتها، بل أوجبت الشريعة على القيادة الإسلامية العمل بمبدأ الشورى دون الاستشارة، وفي المقام تفصيل لا يسع المقام لذكره[٣].

٥- اللين والرأفة:

اللين ما يضاد الخشونة[٤]، والرأفة: "الرحمة، وقيل: أَشد الرحمة"[٥]. قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[٦] .

"الفظ هو الجافي القسي وغلظ القلب كناية عن عدم رقته ورأفته والانفضاض التفرق ، وفي الآية التفات عن خطابهم إلى خطاب رسول الله (ﷺ) وأصل المعنى فقد

---

(١) المدرسة النبوية العسكرية: محمد عبد القادر:١٢٨.

(٢) مختصر سياسة الحروب: الهرثمي، تح: عبد الرؤوف عون، د. محمد مصطفى زيادة ، المؤسسة المصرية العامة:٢١.

(٣) راجع : شورى الفقهاء مفتاح الإصلاح العام : ناصر حسين الاسدي وكذلك كتاب : شورى الفقهاء والقيادات الإسلامية : السيد مرتضى الحسيني الشيرازي.

(٤) يُنظر : لسان العرب : ابن منظور: ١٣/ ٣٩٤.

(٥) المصدر نفسه : ٩/ ١١٢.

(٦) سورة آل عمران : الآية ١٥٩.

لان لكم رسولنا برحمة منا ولذلك أمرناه أن يعفو عنكم ويستغفر لكم ويشاوركم في الأمر وأن يتوكل علينا إذا عزم"[١].

وقال ابن حجر: "اتفقوا على أنَّها نزلت في حقِّ الذين انهزموا يوم أُحد فإنه(ﷺ) لم يغلظ على الذين خالفوا أمره حتى كانوا سبباً لقتل من قتل من المسلمين"[٢].

اللين والرأفة من الصفات المهمة التي ينبغي أن تتوفر في صفات القائد العسكري؛ إذ إنَّ المعركة تحتّم على الجيش بقيادته وجنده أن يكون متلاحماً متراصّاً يحنو بعضهم على بعض ويلطف بعضهم ببعض، وهذا لا يكون ما لم تكن القيادة تنظر بعين الرأفة والرحمة واللين إلى من هو تحتها، فبهذه النظرة تبتني وشائج المحبة والألفة بين القائد وجنده فيكون قريبا مما يدور داخل أروقة جيشه، فيعرف عنهم كل شيء، كما لا يحجب عنه شيء من الأمور خوفاً منه، فشدة القائد وقسوته مع جنده تجعل الكثيرون يحترزون من إيصال المظالم إليه، كما يحجب عنه كثير من الأمور مخافة غضبه وبطشه، فيصل إليه الأمر الحسن، ويحجب عنه السيء، وقد يبقى الخطأ خطأ لعدم علمه به، من هنا يكثر العثار في هذه القيادة وتنهار في أقرب اختبار لها في أرض المعركة[٣].

فرغم الخطأ الجسيم الذي ارتكبه بعض المسلمين في معركة أُحد بمخالفتهم لأوامر النبي (ﷺ)، وما تسبّبوا به من أضرار كبيرة عادت على الجيش بالانكسار بعد النصر، وفقدان أحد أعمدة جيش الإسلام، عَمُّ النبي الأعظم (ﷺ) أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب (عليه السلام)، ومع ذلك لم يقابلهم النبي بالإساءة، ولم يعاقب منهم أحداً، ولا أغلظ لهم في قول، وإنَّما قابلهم باللطف واللين والرحمة؛ وذلك لأنَّ سوء الخلق والقسوة والشدة لا تتلاءم مع القيادة الحكيمة، وحسن الخلق ولين الجانب لا يتناقضان مع الحزم ومن تصوّر خلاف ذلك فقد اشتبه ولنا في قيادة رسول الله (ﷺ) أسوة حسنة[٤].

ومن ثمار اللين والرأفة بالجند، أنَّ علاقة المحبة وأواصر الإرتباط تزداد بين القائد والجند، فيكون الجندي أكثر طاعةً والتزاماً بأوامر القيادة، ويزداد حُبَّاً للتضحية والإقدام

---

(١) الميزان : الطبطبائي: ٥٦/٤.

(٢) العجاب في بيان الأسباب: ابن حجر، تح: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي ، ط١، السعودية، ١٤١٨هـ:٧٧٤/٢.

(٣) يُنظر: اعداد الجندي المسلم: عبد الله العقلا :٥٩٨-٥٩٩، بتصرف.

(٤) يُنظر: القيادة العسكرية في ضوء القران الكريم: فيصل بن جعفر بالي :١١٤- ١١٥.

على الموت، فقد ذكر المؤرخون أنَّ النبي (ﷺ) حين طلب الاستشارة للحرب في بدر: "فقال: أشيروا علي. قال المقداد بن عمرو: إنَّا لا نقول لك كما قال أصحاب موسى أذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن أذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم متبعون. فقال: أشيروا علي. فلما رأى سعد بن معاذ كثرة استشارته ظنَّ سعد أنه يستنطق الأنصار شفقاً أن لا يستحوذوا معه، أو قال: أن لا يستجلبوا معه على ما يريد، فقال: لعلَّك يا رسول الله تخشى أن لا يكون الأنصار يريدون مواساتك. ولا يرونها حقاً عليهم، إلّا بأن يروا عدواً في بيوتهم وأولادهم ونسائهم. وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم: فاظعن حيث شئت، وصل حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذته منا أحَبُّ إلينا مما تركته علينا. فوالله لو سرت حتى تبلغ البرك من غمد ذي يمن لسرنا معك"[١].

٦- التواضع:

في اللغة: "التذلل"[٢]، وقال ابن منظور: "تَواضَعَ الرجلُ: ذَلَّ. ويقال: دخل فلان أَمْراً فَوَضَعَه دُخُولُه فيه فاتَّضَعَ. وتَواضَعَتِ الأرض: انخفضت عما يليها، وأَراه على المثل. ويقال: إِنَّ بلدكم لمُتَواضِعٌ، وقال الأَصمعي: هو المُتَخاشِعُ من بُعْدِه تراه من بَعيدٍ لاصِقاً بالأرض"[٣].

والتواضع ضد الكبر والتعالي على أحد من الناس، قال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾[٤]، وقال عز من قائل: ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴾ [٥] ففي الآيات الانفة الذكر إشارات الى ضرورة التواضع [٦] فإذا كان ذلك ما ينبغي ان يكون عليه المؤمنين فلا شك حينها في وجوب ان يكون القائد اشدهم واكثرهم تواضعا ، كما ان التواضع يدلُّ على طهارة النفس وسمو الروح، ويدعو إلى المحبة والألفة، والمودة ، ويمحو الحسد والبغض

---

(١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ، تح: الدكتور عمر عبد السلام تدميري ، دار الكتاب العربي ، ط١، بيروت- لبنان ، ١٤٠٧هـ: ١٠٧/٢.

(٢) الصحاح: الجوهري: ١٣٠٠/٣.

(٣) لسان العرب : ٣٩٧/٨.

(٤) سورة الفرقان : الآية ٦٣.

(٥) سورة لقمان : الآية ١٨.

(٦) يُنظر : مجمع البيان : الطبرسي ، ٨٨/٨

والكراهية من قلوب الناس وعكس ذلك التكبر، والتعالي على الناس يزيد في البغض والكراهية[١]، وإنَّ في التواضع الرفعة فقد روى ابن أبي عمير، عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: "قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر خفضه الله"[٢].

والقائد في قربه من الجند، وتواضعه لهم، وعطفه عليهم، يكون في مأمن من خيانة الجند أو تخاذلهم في الدفاع عن البلد؛ إذ إنَّ الطباع تنفر من صفة التكبّر، وربما تخاذل الجند أو خانوا قياداتهم كرهاً لهم وحنقاً عليهم، فكلما عطف القائد على الناس أكثر، تعاطفوا معه، والقائد بحاجة إلى عطف الجيش لكي يستقيم العدل في البلاد، وتتوفر في النفوس المودة تجاه القائد، ولا تظهر تلك المودة الا بسلامة قلوبهم وعدم وجود غلّ فيها تجاه قياداتهم، لكي لا ينتظروا زوال تلك القيادة[٣].

الصبر:

قال الزبيدي : "وأَصلُ الصبرِ: الحَبْسُ: وكلُّ منْ حَبَسَ شَيئاً فقد صَبَرَه"[٤]، والصبر والصبر وتحمل المشاق من شيم الرجال العظام، كما أنَّه يوحي بالقوة الجسمية والعقلية، ولا شكَّ أنَّ الصبر جزء من الشجاعة، إذ إنَّ حبس النفس ومنعها والسيطرة عليها، فعل لا يقدر عليه كل أحد، ولهذا ورد في الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: "ليس الشديد بالصرعة إنَّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"[٥]، ومن منع نفسها وغلبها كان لغير لغير ذلك أغلب لاسيما في اتخاذ القرارات المهمة والصعبة[٦].

قال تعالى : ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٧]، "الإفراغ الصب شبهوا الصبر بالماء الذي

(١) يُنظر: صفات القائد العسكري : الكلية العسكرية الثالثة / قلاجون ، تاريخ النشر : ١٦/ ٤/ ٢٠١٤م.
(٢) الكافي: الكليني :٢/ ١٢٢.
(٣) يُنظر: الحكم الإسلامي: السيد المدرسي :٤٣.
(٤) تاج العروس: ٧/٧٠.
(٥) بحار الانوار: المجلسي :٧٤/ ١٥١.
(٦) يُنظر: الإدارة العسكرية والقائد والقيادة: الحميميدي: ١٢٥- ١٢٦.
(٧) سورة البقرة : الآية ٢٥٠.

الذي يعمهم يصبه عليهم فطلبوا من الله التوفيق للصبر الكثير المجدي بحيث يكون كما يصب عليهم الصبر صباً (وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا) على الحق والجهاد في سبيلك"[1]، والقائد هو رأس الجيش وأكثرهم مسؤولية في الحرب، ولهذا فهو أشدهم حاجة إلى الصبر.

فالصبر "هو القدرة العقلية والبدنية على الاحتمال، وكذلك القدرة على تحمل المصاعب والتعب وقلَّة النوم والراحة وتحمل الاجهاد الشديد في أقسى الظروف وهي صفة تكسب القائد ثقة واحترام مرؤوسيه، ويمكن قياس الصبر بقدرة الإنسان على الصمود أمام الألم والتعب والمشقة، وهو بوجه عام مماثل للشجاعة. وتقدّر كمية الاحتمال والصبر الذي يتحلى به القادة بقدر كمية الاحترام الذي ينالونه من مرؤوسيهم، وإنَّ افتقاد القائد للجلد سيجعله عنصر ضعف بدلاً من أن يكون عنصر قوة، كما هو مفروض أن يكون. على القائد أن يُظهر قدراً مقبولا من الصبر والاحتمال؛ وكونه قدوة للآخرين فإنَّهم سوف يتبعونه في الاتجاه نفسه، كما أنَّ إدارة الجيوش والقيام على متطلباتها، ورعاية الجنود وما إلى ذلك من أمور"[2].

٧- القوة والأمانة:

القوة بالضم: "ضد الضعف" [3]، والأمانة: "ضد الخيانة" [4]، قال تعالى حكاية عن لسان إحدى بنات شعيب :﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾[5]، قال السيد الطباطبائي في تفسيره للآية: "وقوله: (إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ) الخ، الخ، في مقام التعليل لقوله : (اسْتَأْجِرْهُ) وهو من وضع السبب موضع المسبب والتقدير استأجره لأنَّه قوي أمين وخير من استأجرت هو القوي الأمين، وفى حكمها بأنَّه قوي أمين دلالة على أنَّها شاهدت من نحو عمله في سقى الأغنام ما استدلت به على قوته وكذا من

(١) آلاء الرحمن في تفسير القران: محمد جواد البلاغي النجفي، مطبعة العرفان – صيدا، ١٣٥٢هـ، ١ /٢٢٤.

(٢) اساسيات في القيادة والإدارة : هايل عبد المولى ، ص ٤٥.

(٣) القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ٣٨١/٤.

(٤) القاموس الفقهي: د. سعدي أبو حبيب:٢٦.

(٥) سورة القصص: الآية ٢٦.

ظهور عفته في تكليمهما وسقى أغنامهما ثم في صحبته لها عند ما انطلق إلى شعيب حتى أتاه ما استدلت به على أمانته"[١].

والقوة لا تختص بقوة الجسد وإنَّما تتعدى ذلك إلى المعرفة وحسن الإدارة ونحوها، أي أنَّ القائد لابدَّ أن يكون قوياً على أدائه المسؤولية المناطة به ليس بالقوة الجسدية فحسب وإنَّما بالقوة على إدارة الأمور أيضاً والسيطرة عليها والاحاطة التامة بمجرياتها ونحو ذلك، وهذا ما أشار إليه الشيخ مكارم الشيرازي إذ قال: "(القوة) و(الأمانة) ومن البديهي أنَّ القوة المذكورة – آنفا – ليس المراد منها قوة الجسم فحسب، بل القدرة على تحمل المسؤولية أيضاً، فالطبيب (القوي الأمين) هو الطبيب الذي له معرفة جيدة وكافية في عمله، وله تسلط عليه أيضاً، والمدير القوى هو الذي يعرف (أصول الإدارة) ويعرف الأهداف المطلوبة وله تسلط في وضع الخطط و(البرامج)، وله سهم وافر في الابتكار وتنظيم الأعمال ويعبي القوى في سبيل الوصول للهدف المعين ، وفي الوقت ذاته يكون مشفقاً وناصحاً وأميناً وصادقاً في العمل ، والأشخاص الذين يقنعون في تحمل المسؤولية وجود الأمانة والطهارة فحسب، هم مخطئون بمقدار خطأ من يعتمد على سمة التخصص والعلم فحسب ، فالمتخصصون الخونة والعلماء المنحرفون يضربون ضربتهم كما يضربها المخلصون الذين لا حظَّ لهم من الاطلاع والمهارة في العمل"[٢].

كما علل العفريت من الجن لسليمان (عليه السلام) على أنَّه أهلٌ للقيام بمهمة الاتيان بعرش ملكة سبأ بكونه (قوي أمين)، قال تعالى : ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾[٣]، "أي أنا للإتيان بعرشها لقوي لا يثقل علي حمله ولا يجهدني نقله، أمين لا أخونك في هذا الأمر"[٤].

إنَّ من أهمِّ الشروط الواجب توافرها في من يُنتخب لأداء أي مهمة ـ وإن كانت صغيرة ـ هي القوة والقدرة على أداء تلك المهمة بصورة اللازمة، وكذلك الأمانة في إيصالها إلى غايتها المطلوبة، وهذا ما أكد عليه العفريت من الجن لسليمان (عليه السلام) بأكثر

---

١) الميزان: الطباطبائي: ٢٦/١٦.

(٢) الأمثل: ٢١٩/١٢.

(٣) سورة النمل: الآية ٩٣.

(٤) الميزان: الطباطبائي: ٣٦٢/١٥

من تأكيد واحد "ان" و "اللام" ليثبت كفاءته المطلوبة وإن تلك الشروط الأساسية المهمة ـ (القوة والأمانة) ـ متوفرة فيه ، وهكذا ينبغي أن تتوفر في القائد العسكري هذه الشروط المهمة ليؤدي تلك الأمانة بقوة وإخلاص .

٨- العدالة:

قال ابن منظور: "العَدْل: ما قام في النفوس أَنه مُسْتقيم، وهو ضِدُّ الجَوْر. عَدَل الحاكِمُ في الحكم يَعْدِلُ عَدْلاً وهو عادِلٌ من قوم عُدُولٍ وعَدْلٍ"(١). أو هو: "القصد في الأمور"(٢).

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾(٣)، قال السيد الطباطبائي (قدس سره): "العدل هو المساواة في المكافاة إن خيراً فخير وإن شراً فشر، والإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه والشر بأقل منه انتهى موضع الحاجة"(٤).

ومن السنة ما رواه الصدوق عن الخليل بن أحمد قوله: أخبرنا ابن منيع قال: حدثنا مصعب قال: حدثني مالك، عن أبي عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي سعيد الخدري، أو عن أبي هريرة قال: قال (صلى الله عليه وآله وسلم): "سبعة يظلهم الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلّا ظله : إمام عادل..."(٥).

والقائد العادل هو القائد الذي لا يجور ولا يحيف ولا يعتدي على جنده، ويضع الأمور مواضعها الصحيحة ، وصفة العدالة ضرورة لا بد من توافرها في شخصية القائد؛ لكي تحافظ المؤسسة العسكرية على عملها بالشكل المطلوب(٦).

---

(١) لسان العرب : ابن منظور: ١١/ ٤٣٠.

(٢) القاموس الفقهي : د. سعدي أبو حبيب : ٢٤٤.

(٣) سورة النحل : الآية ٩٠.

(٤) الميزان : ٣٣١/١٢.

(٥) الخصال: ٣٤٣.

(٦) يُنظر : القيادة العسكرية في الإسلام: العقيد الركن ميثم هادي، مجلة الموسوعة الإسلامية، تاريخ النشر ١٠/٢٦/ ٢٠١٣م . أساسيات في القيادة والإدارة: هايل عبد المولى: ٤٣.

٩- القدوة الحسنة:

القدوة: "ما يقتدى به"[١]، وقد أمر الباري تعالى رسوله الاكرم ان يقتدي بهدى الرسل من أولي العزم حيث قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾[٢] والقائد الإسلامي يُقدّم على غيره، ويُقتدى به؛ بسبب ما يمتلك من مؤهلات نفسية، وخصائص أخلاقية وبدنية، فالإسلام يراعي ضوابط كثيرة لابدَّ من توافرها في شخصية القائد قبل تنصيبه على الجند، وقد أشرنا إلى بعضها فيما سبق، وقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام): "من رفع بلا كفاية، وضع بلا جناية"[٣]، ولفظ (الكفاية) جاء مطلقاً، وعليه فهو شامل لكل ما يصدق عليه (كفاية)، فمن رفع إلى منصب القيادة وجب أن تكون فيه كفاية علمية واخلاقية ومعنوية وكثير من الصفات الأخرى، وإلّا وضع من دون ارتكاب أي جناية توجب عزله، من هنا وجب على القائد أن يحرص على تطوير مهارته وعلومه وسلوكياته ونحوها ليكون كفؤا لمنصبه من جهة، ومن جهة أخرى أسوة وقدوة حسنة لجنده، ولهذا قيل: "ينبغي أن يكون القائد الجندي المميز في الجيش، والذي يفوق بقية الجند بما يتمتع به من خصال حسنة، فالإيمان الصادق، والعمل الصالح والخلق الحسن، والكرم البارز، والعطف واللين والشجاعة المتميزة والإقدام والإيثار والنجدة، والصدق والوفاء والبذل والعطاء، وغير ذلك من الصفات الفاضلة التي يكون بها القائد قدوة للجميع، وتؤدي بهم إلى حماية البيضة وجهاد العدو"[٤].

وقال الشيخ شمس الدين: "ولما كان القائد هو المثل الأعلى للجندي وجب أن يكون هذا القائد مثلا يحتذى لجنوده في الصبر على المكاره، والتفاني في القيام بالواجب، وهما من ألزم الصفات العسكرية في الجنود والقادة على السواء ، ولا توجد هذه الصفات في عامة الناس، وهي ليست صفات تتحدر بالوراثة من جيل إلى جيل، بل لابدَّ فيها من التربية المنهجية الواعية"[٥].

---

(١) معجم الفاظ الفقه الجعفري : د. احمد فتح الله: ٦٩.

(٢) سورة الأنعام : الآية ٩٠.

(٣) موسوعة احاديث اهل البيت (عليهم السلام): دار إحياء التراث، ط١، بيروت- لبنان ، ١٤٢٣هـ : ٣٦٩/٩.

(٤) إعداد الجندي المسلم : ٦٠٠ - ٦٠١.

(٥) دراسات في نهج البلاغة : ٥٣.

وهكذا تقف كثير من الأهداف دون تحقق، فيما لو لم يكن القائد أسوة حسنة لجميع جنده، فالخصال الحسنة والأفعال الجيدة تعدُّ دروساً عمليةً لجميع المرؤوسين، وتعبّر عن صدق القائد، وإلّا فالتنظيرات كثيرة، وميدان العمل عادة ما يكون فارغا.

المطلب الثاني
واجبات القائد وحقوقه

أولا : واجبات القائد العامة

ذُكرت للقائد واجبات عامة كثيرة نذكر منها ما يأتي:

١- معرفة القائد شخصيته (نفسه):

تعد معرفة القائد نفسه من المبادئ الأساسية للقيادة، إذ إنَّ القائد الذي لا يعرف مواطن القوة والضعف في نفسه، ولا يعرف قدراته التي يتميز بها عن غيره، وكذلك ترويض نفسه من أجل بناء القدرات الصحيحة، لا يمكن أن يكون قائدا ناجحا(١).

ولهذا وجب على القائد معرفة نفسه جيداً والعمل المستمر على تطويرها ومحاسبتها بين الحين والآخر؛ لأنَّ تقدير النفس يدفع الاخرين إلى تقديره. ويجب أن يكون قادراً على التمييز بين نقاط القوة والضعف في شخصيته وعلى العمل على تقوية نقاط الضعف لديه وتحسينها وتطويرها. وعليه أن يعرف إمكانياته وحدوده بدقة لكي يصبح قائداً ناجحاً، وعليه السيطرة على نفسه بقدر الإمكان، لكي يحقق أقصى درجات النجاح والانتصار في أي عمل(٢).

ثم إنَّ القائد الذي يعرف نفسه وقدراته وإمكاناته، ويعرف مواطن الضعف والقوة في شخصيته أقدر على ترميم جوانب القصور والخلل في شخصيته وإصلاحها ، وهذا يساعده في تنمية القدرات القاصرة والمحافظة على القدرات الجيدة وتنميتها حتى يكون قائداً ناجحاً، ومن هنا يحتاج القائد إلى برنامج دقيق لمتابعة النفس ومعرفة مواطن الخلل، ولعلَّ أهم تلك البرامج هي مرافقة ثلة من المؤمنين الذين يرشدونه إلى مواضع الخلل في شخصيته فيما لو غفل عنها، فقد روى أحمد بن محمد، رفعه إلى أبي عبد

---

(١) يُنظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول (ﷺ) : عبد الله الرشيد : ١٦.

(٢) يُنظر: الإدارة العسكرية والقائد والقيادة : العميد الركن محمد بن علي الحميميدي :١٢٩

الله(عليه السلام) قال: (أحب إخواني إلي من أهدى إلي عيوبي)[1]، وهكذا يختصر القائد الطريق للتعرف على نفسه وإصلاح مواضع الفساد منها[2].

٢- معرفة القائد بجيشه :

من الواجب على القائد أن يكون أعرف الناس بجيشه، ليسهل عليه توزيع المهام عليهم من جهة، ومن جهة أخرى إصلاح موطن الضعف ودعم مواقع القوة واجراء الموازنة اللازمة بين تشكيلات الجيش، كما أنَّ معرفته بجيشه تتيح له إمكانية الاستفادة من السلاح بالشكل الصحيح، فيوزع على كل وحدة من وحدات الجيش ما يناسبها من السلاح ونوعه وكميته. وتعد معرفة القائد لجنوده مبدأ مهماً وأساسياً من مبادئ القيادة، فالقائد الذي يعرف جنوده يستطيع أن يستغل طاقاتهم، ويلم بميولهم واتجاهاتهم الفكرية ويعمل على رفاهيتهم والاهتمام بمشاكلهم والعمل على تحقيق طموحاتهم بحدود صلاحياته وإعطاء المرؤوسين المعلومات اللازمة لهم وبحدود حاجتهم لإنجاز مهامهم، ويأتي على راس ذلك الاهتمام بتدريبهم واكتشاف المواهب منهم والاستفادة منهم بالأعمال التي تحتاج إلى تلك المواهب والكفاءات ويضع الرجل المناسب منهم في المكان المناسب[3].

وأمر معرفة الجند لا يكون إلّا في حال كون القائد قريباً عليهم، كيّساً فطناً يلاحظ تصرفاتهم وأفعالهم؛ ليتسنى له معرفتهم جيداً؛ ولهذا قيل : " إنَّ من لا يعيش مع جنوده ليس مؤهلا لمعرفة نفسياتهم، فكذلك ليس كل من يعيش مع جنوده مؤهلا لهذه المعرفة الواعية، وكثيراً ما يخفي الناس أهواءهم وميولهم، وكثيراً ما يظهرون على خلاف حقيقتهم"[4].

---

(١) الكافي : الكليني :٦٣٩/٢.

(٢) ينظر: القيادة والجندية في السنة النبوية : طاهر حمد محمد النحال ، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين ، الجامعة الإسلامية، غزة ١٤٢٨هـ :٨٠.

(٣) يُنظر: الإدارة العسكرية والقائد والقيادة : العميد الركن محمد بن علي الحميميدي: ١٣٠. القيادة والجندية في السنة النبوية : طاهر حمد محمد النحال : ٨١.

(٤) قيادة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) السياسية والعسكرية: احمد راتب عرموش، دار النفائس ،ط١، عمان – الأردن، ١٤٠٩هـ:١٦٧.

٣- معرفة القائد بجيش العدو:

لا شكَّ أنَّ معرفة تحركات العدو، وحجمها، واتجاهها في وقت مبكر يعطي القائد فرصة أكبر، لوضع الخطط المناسبة لمواجهته، كما يمنع من العجلة والتشويش في اتخاذ القرارات الملائمة للمواجهة، كما أنَّ مراقبة التحركات العسكرية للعدو، والتعرف على مواقع القوة أو الضعف عنده ومعرفة عدّته وعُدّته من أهمِّ أسباب الانتصار عليه [١]. وهذا ما كان يصنعه رسول الله (ﷺ) إذ حدد عدوه قريش، اليهود، الروم، ثم درس أسلوب التعامل معهم، وكيفية مواجهة كل منهم بما يناسبه ويلائمه من القوة والعدد، وخطط المواجهة، والتقديرات اللزمة للحرب[٢].

٤- العمل الجماعي:

قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٣] ففي الآية امر من الله تعالى للعمل الجماعي في الدعوة الى الخير [٤].

العمل الجماعي لا شكَّ أنَّه أفضل من العمل الفردي الذي يكون محدوداً بحدود عقل القائد، والقائد ليس بمعصوم عن الخطأ؛ ولهذا قد يقع الجيش في مطبات يعسر عليه الخروج منها إن لم تكن فيها نهايته، ولهذا يجب على القائد التركيز على العمل الجماعي، كما أنَّه قد يسوّل الشيطان للقائد في لحظة ما أن يعتمد على قدراته الفردية في العمل؛ لسبب طيب، أو غير ذلك، لكن ما ينبغي أن يُدرك هنا أن التحرك الفردي مهما بلغ من الإبداع يبقى تحركا محدوداً وضعيفاً، وقد لا يؤتي ثماره، فأيّا كانت دوافع التفرد بالعمل والتنفيذ، فهي مذمومة، وإن بدا فيها النجاح أحيانا[٥]، من هنا وجب على القائد أن يكون قريبا من رجاله ويؤكد عليهم العمل الجماعي، ويستعين بهم ويدربهم على ذلك، ليكون القرار أبعد عن الخطأ واقرب إلى الصواب.

---

(١) يُنظر: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ): جعفر مرتضى العاملي:٦٥/١١. دراسات في ولاية الفقيه: المنتظري:٥٥٤/٢.

(٢) يُنظر: بحوث حول النظام العسكري : زماني : ٩٥-٩٦.

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .

(٤) يُنظر : مجمع البيان ، الطبرسي ، ٢/ ٣٥٨.

(٥) يُنظر: النظريات العسكرية بين الإعداد والتخطيط: عبد الهادي سيعد الاغا: ١٥٠-١٥١. الإدارة العسكرية والقائد والقيادة: العميد الركن محمد بن علي الحميديي: ١٣٠

٥- حسن المظهر:

من الأمور الواجب على القائد مراعاتها، حسن مظهره، من قيافة الملبس وأناقته، والاهتمام بنظافة البدن وحسن ترتيب الشعر ونحوه فقد ذكر في سيرة الرسول الأعظم(ﷺ) أنَّه كان "لا يفارقه في أسفاره قارورة الدهن والمكحلة والمقراض والمرآة والمسواك والمشط. وفي رواية: تكون معه الخيوط والإبرة والمخصف والسيور، فيخيط ثيابه، ويخصف نعله"[١]. ومن المعلوم أنَّ النبي (ﷺ) كانت أسفاره بعد النبوة جميعها للحروب والغزوات، ومع هذا كان كثير الاهتمام بمظهره الخارجي.

ينبغي أن يظهر القائد بشكل مميز سواء في ملبسه أو تصرفاته أو اخلاقه بحيث يكون القدوة الحسنة لمرؤوسيه ويجب أن يعبر مظهر القائد عن ثقته بنفسه ونشاطه وحيويته وفطنته، والقيافة العسكرية لاسيما للضباط والقادة من المسائل المهمة في المجال العسكري في الوقت الحاضر[٢]، إذ إنَّ مظهر القائد وحسن هندامه تعتبر مكملات لقوة شخصيته، وهذا خلال وقت السلم طبعاً[٣].

٦- كتمان الأسرار العسكرية :

ينبغي على القائد كتمان الأسرار العسكرية، من قبيل الخريطة والخطط وعدد الجند، الأفراد والأسلحة ومستودعاتها، والأخبار المتعلقة بها، وعليه أن يوصي الجنود بالمحافظة على ما يقع تحت أيديهم من أسرار عسكرية وألّا ينقلوها إلى الغير ـ مهما كانت بسيطة ـ ؛ لأنَّ العدو يرسل الجواسيس ويبث العيون في البلاد بغية الاستخبار؛ فعلى هذا كانت الرسائل التي تصدر عن إدارات المعسكرات غير مكشوفة بل ممهورة بمهر خاص، كما هو معتاد بقولنا: مكتوم، أو سرّي، أو سرّي جداً، كما تراعي السرّية في نقل الأخبار من مكان إلى مكان آخر، وهذا الأمر أي كتمان الأسرار، يرجع إلى زمن النبي (ﷺ) وأمير المؤمنين (عليه السلام)، لاسيما في أمور الجيش بل، إلى عهود قبلهما،

---

(١) بحار الانوار: المجلسي: ١٦/ ٢٤٩.

(٢) يُنظر: اساسيات في القيادة والإدارة: هايل عبد المولى :٤٢.

(٣) يُنظر: الإدارة العسكرية والقائد والقيادة : الحميمدي : ١٢٥.

ساحقة. كتب الإمام علي (عليه السلام) إلى أصحابه الذين كانوا يحرسون الثغور: " ألا وأنَّ لكم عندي أن لا أحتجز دونكم سراً إلا في الحرب " [١] [٢].

٧- الهدوء والكياسة:

القائد لابدَّ أن يكون هادئ الأعصاب منضبط الأفعال والتصرفات؛ ليستحكم أمر الجند، ولا يؤول أمرهم إلى الفوضى والتسرّع، إذ المعارك تحتاج إلى انضباط عال وهدوء تام، والقائد هو قدوة الجند؛ ولهذا قيل: "يجب أن يتميز القائد بقدرة على ضبط تصرفاته في أحلك الظروف والمواقف، وأن تكون حالته النفسية ثابتة لا تتبدل في حالتي النصر أو الهزيمة، فلا يجزع لمكروه أصابه أو أصاب جيشه، ويبتعد عن العظمة والطغيان في حال النصر"[٣].

والقائد الذي لا يستطيع السيطرة على نفسه وضبط تصرفاته، لا يمكن له أن يسيطر على جنده ويضبط سلوكهم وأفعالهم، ومن هنا وجب على القائد أن يبدأ بقيادة نفسه ومسك زمامها والتحكم بها من الانفلات، وأن يدربها على مزيد من الهدوء والصفاء والتوازن، حتى يشعر المحيطون به بانهم في مأمن من نزواته[٤].

ثانياً: واجبات القائد تجاه الجند:

وللقائد واجبات أخرى تجاه الجند وهي كالآتي :

١- استعراض الجند:

يجب على القائد أن يستعرض جنده قبل السير باتجاه العدو، فيخرج من كان مخذلاً أو مرجفاً أو عيناً للأعداء، وكل من يرى في وجوده ضرراً على جيشه، وقد أشار الباري تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾[٥]، قال السيد الطباطبائي(قدس سره)

---

(١) نهج البلاغة : الرضي ، ٣/ ٧٩.

٢) يُنظر: بحوث حول النظام العسكري: زماني: ٩٨.

(٣) اعداد الجندي المسلم: عبد الله العقلا : ٦٠٩.

(٤) يُنظر: القيادة العسكرية في الإسلام: مجلة الموسوعة الإسلامية ، تاريخ النشر ٢٦/١٠/ ٢٠١٣م .

(٥) سورة التوبة : الآية ٤٧.

في تفسير الآية: "كان الأصلح أن يؤذن لهم في التخلف ليصان الجمع من الخبال وفساد الرأي وتفرق الكلمة والمتعين أن يقعدوا فلا يفتنوا المؤمنين بإلقاء الخلاف بينهم والتفتين فيهم وفيهم ضعفاء الإيمان ومرضى القلوب وهم سماعون لهم يسرعون إلى المطاوعة لهم ولو لم يؤذن لهم فاظهروا الخلاف كانت الفتنة أشد والتفرق في كلمه الجماعة أوضح وأبين"(١). فهذه حال فئة من الناس عند خروجها للجهاد ، ولا تزيد الجيش إلّا توهيناً وتفريقاً، رغم أنَّ الجند في حاجة إلى من يقوي عزائمهم، ويشد من أزرهم وعلى كل حال فتفقد القائد للجيش حينا بعد حين، ليكون على علم بجنوده، يمنع من لا يصلح للحرب من رجال وأدوات أو كل ما من شأنه ان يأثر سلبا بالجيش(٢).

وقال الماوردي في واجبات قائد الجيش:"أَنْ يَتَفَقَّدَ خَيْلَهُمْ الَّتِي يُجَاهِدُونَ عَلَيْهَا وَظُهُورَهُمْ الَّتِي يَمْتَطُونَهَا، فَلَا يُدْخِلُ فِي خَيْلِ الْجِهَادِ ضَخْمًا كَبِيرًا وَلَا ضَرْعًا صَغِيرًا وَلَا حَطَمًا كَسِيرًا وَلَا أَعْجَفَ زَارِحًا هَزِيلًا، لِأَنَّهَا لَا تَقِي وَرُبَّمَا كَانَ ضَعْفُهَا وَهْنًا، وَيَتَفَقَّدُ ظُهُورَ الِامْتِطَاءِ وَالرُّكُوبِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى السَّيْرِ وَيَمْنَعُ مَنْ حَمَلَ زِيَادَةً عَلَى طَاقَتِهَا"(٣).

ومن فوائد استعراض الجيش تمييز من يجب عليه القتال ممن بلغ الحلم، عن غيرهم ممن لم يبلغ الحلم، فقد روى الواقدي عن بن أبي سبرة عن صالح بن محمد بن زائدة عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف عن أبي واقد الليثي قال: "رأيت رسول الله(ﷺ) يعرض الغلمان وهو يحفر الخندق فأجاز من أجاز وردَّ من ردَّ وكان الغلمان يعملون معه الذين لم يبلغوا ولم يجزهم ولكنه لما لحم الأمر أمر من لم يبلغ أن يرجع إلى أهله إلى الآطام مع الذراري"(٤).

٢- تعليم الجنود وتدريبهم:

التدريب على السلاح وكيفية استخدامه، والتدريب على الخشونة وتحمل الصعاب، يعدُّ من أهمِّ المسائل العسكرية؛ لما في الحرب من قسوة وشدة وصعوبة، فتدريب النفس

(١) الميزان : الطباطبائي: ٢٨٥/٩.

(٢) يُنظر: اعداد الجندي المسلم : عبد الله العقلا : ٦١٠-٦١١. وفقه السُنَّة: ٢ /٦٤٠.

(٣) الاحكام السلطانية والاحكام الدينية :علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي دار التعاون ، مصطفى البابي الحلبي، ط٢، القاهرة، ١٩٦٦م : ٣٥.

(٤) المغازي : ١/ ٤٥٣.

على الخشونة لتكون قادرة على مواجهة صعوبة الحرب وتحدياتها، وقد حث الإسلام على التدريب على مختلف أنواع الأسلحة والمراكب وإتقان العمل بها والمداومة عليها، ولقد كان النبي (ﷺ) يحث المسلمين على إجراء المسابقات للخيول وغيرها وكذلك التدريب على الرمي والطعن بالحراب والتمرس بأعمال القتال، حتى لقد سمح باتخاذ المسجد ميدانا للتدريب [١]، وقد روي عنه (ﷺ) أنَّه قال: "تناصلوا واحتفوا واخشوشنوا وتمعددوا [٢]، فقوله : تناصلوا فمعناه ترامـوا بالنصال وقوله: احتفوا، معناه امشوا حفاة، وقوله: اخشوشنوا، يعني ألبسوا الخشن من الثياب..." [٣]. ولهذا قيل: "يحتاج القيام بالأعمال القتالية بأصنافها إلى تعليم وتدريب، خصوصاً في هذا العصر الذي تكون الحرب فيه مسألة مهمة غامضة في سيرتها ونهايتها، كما بالنسبة إلى أنواع الأسلحة وكيفية استخدامها؛ من أجل ذلك وجب على القائد أن يعلم الجنود في بداية حياتهم العسكرية، ولمدة معينة، بعض الأمور العسكرية ومثل عبور الموانع واجتيازها، والرماية وكيفية التعامل مع الأسلحة الخفيفة بالإضافة إلى الالمام بالرموز في الحرب (الشفرة). وأمّا تعليم الفنون الحربية الخاصة وتنفيذها فيحتاج إلى سنة واحدة بل أكثر مثل الحروب النظامية وغير النظامية، وكيفية الاستفادة من المدافع والدبابات وغيرها مضافاً، إلى ذلك إنَّ الحروب البرية تختلف عن الحروب البحرية، وكليهما يفترقان عن الحروب الجوية"[٤].

وليس المراد بالتدريب صف الجنود لتعليمهم وتعويدهم المشية النظامية، لأنَّه لم يكن من مقتضيات الحياة العسكرية في ذلك الوقت، وإنَّما المقصود هو العناية بتقوية الجند جسمياً ليتحملوا الشدائد، وعقليا ليجيدوا التخطيط، وروحيا لتتحسن صلتهم بالله، وليعظم توكلهم عليه، ولنغرس في قلوبهم إنَّ النصر من عند الله، وإنَّ العدد والعتاد، والتدريب والاستعداد كلها وسائل فقط توصل إلى النصر بمشيئة الله عزَّ وجلّ، أي أنَّ

---

(١) يُنظر: العقيدة العسكرية الإسلامية : احمد حسن : ٦٥.

(٢) قوله : " تمعددوا " يعني تكلموا بلغة معد بن عدنان فإنها أفصح اللغات . المصدر : المهذب : القاضي ابن البراج: ١/٣٣٠.

(٣) الينابيع الفقهية : علي اصغر: ٩/ ٢٨٧.

(٤) بحوث حول النظام العسكري : زماني : ٩٦.

التدريب كما يحصل على الأمور المادية من سلاح وغيرها يجري للمعنويات أيضاً، كتقوية الروح ورفع المعنويات من خلال ربطها بالله تعالى والتذكير بما وعد[١].

٣- توضيح الهدف لأفراد الجيش :

كما ينبغي على القائد توضيح الأهداف لأفراد جيشه؛ اذ "يُعد وضوح الهدف من القتال في ذهن الجندي سبباً قوياً في رفع روحه المعنوية وإقدامه على القتال صابراً محتسباً"[٢].

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٣]، قال الشيخ الطوسي: "هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره الله تعالى ان يقول لهؤلاء الكفار (هذه سبيلي) يعني دينه الذي دعا إليه من توحيد الله وعدله وتوجيه العبادة إليه والعمل بشرعه (ادعو) الناس (إلى) توحيد (الله) والى طاعته ، واتباع سبيله على معرفة مني بذلك ، وحجة معي إليه، ومن تابعني على ذلك، فهو يدعو الناس إلى مثل ما أدعو إليه من التوحيد وخلع الأنداد والعمل بشرع الاسلام" [٤] فمن مفاد الآية المباركة يتضح أنّ النبي (ﷺ) كان يهتم كثيرا بتوضيح الهدف من إرساله لأتباعه ؛ ليكونوا على بيّنة من أمرهم ، وهكذا على القائد أن يُبيِّن هدف الحرب لجنوده، وتعريفهم الأسباب والدوافع ـ ليقترن جهاد الجند بالوعي والإيمان فيخلق لديهم الشجاعة والمقاومة، ويوصلهم إلى الانتصار، ولكن اذا لم يطلعوا على الهدف من الحرب، أصبحوا متراخين دون حافز وخصوصاً فيما لو كان الهدف سامياً[٥]، وهذا ما صنعه الرسول الأعظم(ﷺ) في غزوة خيبر، فقد روى سويد بن سعيد حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد قال: "سمعت رسول الله (ﷺ) يقول يوم خيبر لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يده فبات الناس يدوكون أيهم يعطى فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله (ﷺ) كلهم يرجوا أن يُعطاها، فقال رسول الله (ﷺ): أين علي بن أبي

---

(١) القيادة والجندية في الإسلام : الدكتور محمد سيد الوكيل، دار الوفاء، ط٤، مصر،١٤٣٠هـ: ١ /١٤٨.

(٢) القيادة العسكرية في عهد الرسول (ﷺ): عبد الله الرشيد : ١٩.

(٣) سورة يوسف : الآية ١٠٨.

(٤) التبيان : ٦/ ٢٠٥ .

(٥) يُنظر: بحوث حول النظام العسكري: زماني : ٩٨.

طالب، فقالوا: يا رسول الله هو يشتكي عينيه، فأمر به فدعي فبزق على عينيه ودعا له فبرأ مكانه حتى كأنَّه لم يكن به شيء، فدفع الراية إليه فقال: يا رسول الله علام نقاتلهم، فقال (ﷺ): على رسلك انفذ حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الله عزَّ وجلّ وإلى رسوله حتى يكونوا مثلنا وأخبرهم بما يجب عليهم فيه من الحق فوالله لأن يهدي الله بهداك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم"[١].

٤- ترتيب الجنود وتهيئتهم للقتال وتدريبهم على حل المشكلات:

يجب على القائد أن يقسّم جيشه إلى فرق، ويجعل لكل فرقة مسؤولا عنهم أمامه فيؤمّر الأمراء، وينقِّب النقباء، ويُعرِّف العرفاء، ليكون في ذلك تيسير لأمورهم، وتسهيل لاتصالهم به، واتصاله بهم، وبهذا يكون الجيش أكثر انضباطاً وأبعد من الفوضى، كما يجب عليه أن يعقد الألوية والرايات لفرق الجيش المختلفة، ويجعل لهم شعاراً يتنادون به أثناء القتال، ويُشرف على ترتيب الصفوف والكراديس، فيقدم ويؤخر على حسب ما يراه مناسباً لسير المعركة، ويتفقدها ليسد الخلل، وأن يدرب جنوده على ما يمكن أن يواجههم من عقبات أو صعوبات أثناء تنفيذ المهمة؛ لأنَّهم إذا أدركوا طبيعة المشكلة وعرفوا بصعوبات الموقف، وتدربوا على معالجتها لم يصعب عليهم التغلب عليها إذا واجهتهم في الميدان، وهذا يبقى مستمراً مع كل مهمة جديدة، إذ توضع فرضيات للإشكالات قبل التنفيذ، ويختار لها علاجاً مناسباً[٢].

وقال الماوردي في واجبات القائد: "أَنْ يُعَرِّفَ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ الْعُرَفَاءَ، وَيَنْقُلَ عَلَيْهِمَا النُّقَبَاءَ لِيَعْرِفَ مِنْ عُرَفَائِهِمْ وَنُقَبَائِهِمْ أَحْوَالَهُمْ وَيَقْرَبُونَ عَلَيْهِ إِذَا دَعَاهُمْ"[٣].

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي: احمد بن علي بن المثنى التميمي، تح: حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث ، ط١، دمشق، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م: ٥٢٢/١٣ – ٥٢٣.

(٢) يُنظر: إعداد الجندي المسلم: عبد الله العقلا : ٦٣٧. النظريات العسكرية بين الإعداد والتخطيط : عبد الهادي سعيد الاغا: ١٤٩.

(٣) الاحكام السلطانية: ٣٦.

٥- المواساة للجند والاهتمام بعوائلهم :

يقول الإمام علي (عليه السلام) لملك الاشتر (رحمه الله): "وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من ورائهم من خلوف أهليهم"(١).

يشير الإمام (عليه السلام) إلى أن المعيار في انتخاب القائد، لابدَّ أن يكون ممن تتوافر فيه صفة المواساة لجنده فقد حدد الإمام (عليه السلام) الصفات المثلى لهم، ومن أهمِّها(٢):

أولا: أن يكون القادة ممن يواسون الجند في افراحهم واتراحهم؛ فلا يتميزون عنهم، ولا يتوقعون من الجنود أن يكونوا خدماً لأنفسهم، بل من الضروري جداً أن يجعل القادة من أنفسهم خير عون لجنودهم، فيغدقون عليهم من غناهم وامكاناتهم.

ثانياً: أن يولي القادة كل الاهتمام بالجنود، ليس في حال المعركة فحسب، وإنَّما الاهتمام ينبغي أن يشمل عوائل الجنود فيما يتعلّق بما هو خارج عن إطار المعركة أيضا؛ ليصب الجنود جهدهم البدني والفكري في مواجهة العدو.

وقال البحراني: "أمره أن يكون آثر رؤوس جنده عنده من كان بالصفات المذكورة وهو الَّذي يواسي من تحت يده من الجند فيما يحصل له من المعونة، ويفضل عليهم ممّا في يده بما يسعهم ويسع من ورائهم من ضعفاء أهليهم وخلوفهم حتّى يكون بذلك همّهم واحداً فيكونوا بمنزلة رجل واحد في جهاد العدوّ"(٣).

٦- المحافظة على أرواح الجند :

من أهمِّ الواجبات التي يجب أن يضطلع بها القائد العسكرية هو المحافظة على أرواح جنوده، ويعدّ تحقيق ذلك من أسمى الأهداف، إذ من أهمِّ المبادئ القيادية التي قررها الفن العسكري: المحافظة على أرواح الجند، ويعد تحققه أسمى هدف؛ وذلك لأنَّ شرف الهدف بشرف موضوعه، فضلاً عن أنَّ موضوع الهدف هو روح الإنسان المؤمن

---

(١) نهج البلاغة: الشريف الرضي: ٩٢/٣.

(٢) الحكم الإسلامي في مدرسة الامام علي (عليه السلام): السيد المدرسي: ١٣٧.

(٣) شرح نهج البلاغة: كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، مركز النشر مكتب الاعلام الإسلامي، ط١، تبليغات إسلامي، الحوزة العلمية، قم- ايران: ٥ /١٦١.

المجاهد، لهذا وجب على القائد أن يُحافظ عليها بقدر المستطاع، وأن لا يتعجل بالقرارات والخطط الحربية، قبل دراسة الحرب من كل جوانبها، وإذا امكن الانتصار في الحرب أو منع إقامتها كان أفضل للحفاظ على أرواح الجند، ويعد مبدأ المحافظة على أرواح الجند سبقاً عسكرياً تميزت به قيادة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في معاركه، حين طبق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا المبدأ في غزواته. وكان هدفه من ذلك هو الحصول على النصر بدون – أو اقل– خسائر ممكنة في الأرواح والمعدات، وذلك بإظهار القوة لإرهاب الأعداء وإخافتهم من عاقبة التعدي على المسلمين دون تعريض أرواح الجند للتلف[1]، وقد أشار إلى ذلك علي بن ابي طالب (عليه السلام) أيضا في وصيته لمالك الاشتر (رحمه الله) إذ قال: "ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضى، فإن في الصلح دعة لجنودك"[2].

٧– تبادل العطف مع الجند:

يقول الإمام علي (عليه السلام) في وصيته لمالك الاشتر: "فإنَّ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك"[3]. يقول السيد المدرسي تعقيباً على تلك الكلمات النورانية التي قالها علي (عليه السلام)، التي ترسم حدود العلاقة بين الجندي وقيادته، ما نصَّه: "يشير (عليه السلام) إلى أهمية تبادل العواطف بين الجندي وبين قادته؛ إذ إنَّ الجندي يهمه أن يرى قائده كأبيه، وكأقرب الناس إليه وأرحمهم به، فتتضاعف ثقته به وتسليم قياده إليه. وهذه الصفة التي يفرضها الإمام على واليه في موقفه من القادة العسكريين تتفاوت تماماً مع ما هو متعارف من الصفات التي تضعها النظم العسكرية المعمول بها في غير المدرسة الإسلامية الأصيلة، إذ يتم التأكيد واشتراط الخشونة والانضباط العسكري القائم على الضرب والعقوبة والإهانة وافتراض نسيان الكرامة والإنسانية على الجندي فور انضمامه إلى معسكر ما، أو دورة عسكرية معيّنة"[4].

---

(١) القيادة العسكرية في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): عبد الله الرشيد: ٢٤.

(٢) نهج البلاغة : الشريف الرضي :١٠٦/٣.

(٣) المصدر نفسه : ٣ /٩٢.

(٤) الحكم الإسلامي في مدرسة الامام علي (عليه السلام): ١٣٩.

المطلب الثالث

حقوق القائد في المعركة أو (في الحرب)

على الرغم من أنَّ للقائد واجبات كثيرة فإنَّ له حقوقاً أيضاً؛ إذ لا يمكن لقائد الجيش أن يؤدي ما عليه من مهام، ما لم يُعطَ من الحقوق ما يعينه على أداء تلك الواجبات، وأهمّ تلك الحقوق ما يأتي:

١-حق الطاعة :

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[١]. قال الشيخ الطوسي في معنى الآية المباركة: " هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين يأمرهم أن يطيعوه ويطيعوا رسوله ويطيعوا أولي الأمر منهم، فالطاعة هي امتثال الأمر، فطاعة الله سبحانه هي امتثال أوامره والانتهاء عن نواهيه ، وطاعة الرسول كذلك امتثال أوامره وطاعة الرسول أيضا هي طاعة الله؛ لأنَّه تعالى أمر بطاعة رسوله، فمن أطاع الرسول، فقد أطاع الله كما قال:﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾[٢]"[٣].

وقد ذكر في تفسير (وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ) اقوالاً ثلاثة، أحدها تفسيرهم بـ: (أمراء السّرايا)[٤].

والطاعة من أهمِّ حقوق القائد، إذ لا يستطيع القائد أن ينتج ويقدم نفسه ومواهبه للصالح العام ما لم يكن متأكدا من طاعة رجاله إليه عند الشدائد، ولا تهدف الطاعة إلى قتل الشخصية أو إذابتها وانقيادها إلى القائد بشكل أعمى، بل أنَّها تعمل على تحديد الجهود وتوحيدها ليكون العمل مثمرا وباتجاه واحد؛ لأنَّ خلاف الطاعة هو الفوضى والتشتت، ومن ثمَّ لا شكَّ الانهيار، فالطاعة للقائد وإن كانت توجيه لأعمال الأفراد

---

(١) سورة النساء : الآية ٥٩.

(٢) سورة النساء: الآية ٨٠.

(٣) التبيان: ٣ / ٢٣٦.

(٤) يُنظر: تفسير القران المجيد: الشيخ المفيد : ١٥٦.

وجهودهم والحد من حريتهم ونزواتهم الشخصية، إلّا أنَّ ذلك يصب في سبيل هدف أسمى ومصلحة جماعية عليا. ويقرر الإسلام حق القائد، أي طاعة المرؤوسين له[١].

فالطاعة قوام العملية العسكرية ومن دونها يعني انهيار النظام العسكري برمته، وما يدلُّ على عظيم حق الطاعة للقيادة ما صنعه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في خيبر فقد روي عن أبي هريرة قال: قال عمر: إنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "لأدفعن اللواء غداً إلى رجل يحب الله ورسوله يفتح الله به، قال عمر: ما تمنيت الأمرة إلّا يومئذ، فلما كان الغد تطاولت لها، فقال: يا علي! قم اذهب فقاتل ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك، فلما قفى كره أن يلتفت فقال: يا رسول الله! علام أقاتلهم؟ قال: حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها حرمت دماؤهم وأموالهم إلّا بحقها"[٢]. والشاهد في الرواية، قولهم: (كره أن يلتفت) ، أي أنَّه حتى مجرد الالتفات لم يلتفت لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و(لا تلتفت) وهذا يكشف عن مدى دقة الإمام (عليه السلام) في تنفيذ الأوامر من جهة، ومن جهة أخرى عن عظيم حق الطاعة للقائد.

٢-النصرة والتأييد:

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾[٣]، ونصر الله يعني نصر دينه [٤] فيكون من حق القائد الذي يقود المسلمين بأوامر الله سبحانه، ويسير بهم بحكمه، ويأخذ بأيديهم إلى الخير، ويهديهم إلى الرشد والصواب، فإذا كان فعله ذلك وجب نصره وتأييده، وبذل أقصى الجهد في مؤازرته؛ لأنَّ في تأييده ومؤازرته تأييداً للحق، ومؤازرة للخير، وتلك هي مهمة المسلمين وغايتهم في هذه الحياة[٥].

---

(١) يُنظر: القيادة العسكرية في الإسلام: العقيد الركن ميثم هادي، مجلة الموسوعة الإسلامية، تاريخ النشر ٢٠١٣/١٠/٢٦م.

(٢) كنز العمال: المتقي الهندي: ١٣ / ١١٦.

(٣) سورة محمد : الآية ٧.

(٤) يُنظر: مجمع البيان، الطبرسي ، ٩/ ١٨٧.

(٥) يُنظر: القيادة والجندية في الاسلام: محمد الوكيل: ١٧٥/١.

٣- حق النصح :

كما يثبت للقائد حق النصح أيضا ، قال تعالى : ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[١] وقد كان هذا الرجل ناصحا لقائده ونبيه موسى (عليه السلام)[٢] ، ومن السنة ما رواه البيهقي في سننه، قال: أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الفقيه أنبأ حاجب بن أحمد الطوسي ثنا عبد الرحيم بن منيب ثنا جرير بن عبد الحميد أنبأ سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "إنَّ الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، رضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولى الله أمركم"[٣].

والقائد العسكري الذي يولى أمر الجند يثبت له حق النصيحة على جنوده بموجب الشريعة الإسلامية، فهو في خضم المعركة أو التحضير لها قد تفوته بعض الأمور المهمة اللازمة الأخذ بها، فإذا نصحه جنوده يعني ذلك أنَّه يرى بعيون جميع جنوده ومعاونيه ومن ثَمّ يقترب من القيادة المثالية التي تلبي حاجات الجنود[٤]، وقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان حقوقه كقائد للجيش قوله: "وأمّا حقي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنّصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطَّاعة حين آمركم"[٥].

٤-تخصيص عطاء له من بيت المال:

يمتاز القائد العسكري بموقعية مهمة في الجيش، قد تتسبب في خسارة المعركة وهزيمة الجيش، فيما لو وقع القائد ضحية للحاجة المادية فيسهل إغراؤه حينها؛ ولهذا كان من أهمِّ الحقوق التي لابدَّ من مراعاتها هي الحق المالي للقائد، في تخصيص عطاء له من بيت المال يكفي لسد احتياجاته العائلية والشخصية فلا يطمع بما في يد الغير، وهذا حق من الحقوق التي يجب أخذها في عين الاعتبار للقائد وفي هذا يقول الإمام علي

---

(١) سورة القصص : الآية ٢٠.

(٢) يُنظر : التبيان : الطوسي ، ٨/ ١٣٩.

(٣) السنن الكبرى : ٨ / ١٦٣.

(٤) يُنظر: القيادة والجندية في السنة النبوية : طاهر النحال:٩٠.

(٥) نهج البلاغة : الشريف الرضي ٨٤/١.

(عليه السلام) في عهده لمالك الاشتر (رحمه الله): "ثم لا قوام للجنود إلّا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم، ويكون من وراء حاجتهم"[1].

وكلام الإمام (عليه السلام) شامل لكل طبقات الجيش من القادة والجند ولا شكَّ أنَّ القائد له الأولوية في العطاء؛ لما له من موقعية مهمة قد تكون هدفا للأعداء من هذا الجانب.

(١) نهج البلاغة : الشريف الرضي ٨٤/١.

المبحث الثالث

الجندي واجباته وحقوقه

الجندي في اللغة: "بضم الجيم وسكون النون، العسكر...الأنصار والأعوان، أجناد وجنود والواحد: جندي"[١]، وتتميز الجندية في الإسلام بملامح لا توجد في غيرها، ولا يشاركها فيها أي جيش من الجيوش مهما كانت قدراته وخصائصه، فالجندي الإسلامي لا يعتمد على قوة السلاح، بقدر ما يعتمد على قوة الله تعالى وثقته بنصره، كما أنَّ مبتغاه من الحرب إحدى الحسنيين، اما إعلاء كلمة الله تعالى، أو جنة عرضها السموات والأرض، وكلاهما يدفعانه بقوة نحو الحرب، كما أنَّ نتيجة الحرب رابحة مهما كانت ، أي سواء انتصرت أو خسرت ظاهراً، وهذا بخلاف المنطلقات التي تنطلق منها القوى الكافرة التي لا تؤمن بوعد الله تعالى ووعيده.

ولم تغفل الشريعة مراعاة هذه الفئة المهمة من المجتمع الإسلامي، فجعلت لهم واجباتٍ وحقوقاً، وسينتظم المبحث على المطالب الآتية:

المطلب الاول

الواجبات الإسلامية للجندي

وتنقسم الواجبات إلى قسمين :

القسم الأول: واجبات عامة وهي كالآتي :

١- السمع والطاعة للقيادة:

من أوجب الواجبات على الجندي في المنظومة العسكرية الإسلامية هي الطاعة للقيادة، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾[٢]، ففي الآية أمر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله وهو القائد الأعظم[٣] وكل من نصبه الرسول الأكرم(ﷺ) – أو خليفته الشرعي– قائدا وجب طاعته أيضا بدلالة الآية المباركة ،

(١) معجم لغة الفقهاء: محمد قلعجي : ١٦٧.

(٢) سورة محمد : الآية ٣٣.

(٣) يُنظر : الميزان : الطباطبائي ، ٥/ ٨٣.

وروى البخاري عن أبي هريرة أنَّه سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: نحن الآخرون السابقون وبهذا الاسناد: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني"(١)، وطاعة القيادة من الضرورات التي يتفق عليها جميع عقلاء العالم؛ إذ لولا طاعة الجند لا يمكن للنظام العسكري أن يستقيم، ولحلّت الفوضى وانفرط عقد الجيش، وآل الأمر ـ في أي معركة ـ إلى الهزيمة قطعاً. وعلى هذا الحال لا يمكن لأي قيادة ان تدخل في أي معركة وان كانت بسيطة ، ما لم تضمن طاعة الجند في تنفيذ الأوامر .

وروى المفيد عن سيف بن عمر، عن محمد بن كريب، عن أبيه، عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "اسمعوا وأطيعوا لمن ولاه الله الأمر، فإنه نظام الإسلام"(٢).

وقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله لجيشه: "ألا وإنّ لكم عندي أن لا أحتجز دونكم سرّاً إلاّ في حرب، ولا أطوي دونكم أمراً إلاّ في حكم، ولا أوّخّر لكم حقّاً عن محلّه، ولا أقف به دون مقطعه، وأن تكونوا عندي في الحقّ سواء. فإذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة، وأن لا تنكصوا عن دعوة ولا تفرّطوا في صلاح وأن تخوضوا الغمرات إلى الحقّ"(٣).

وفي كتابه (عليه السلام) إلى أهل مصر حين ولّى عليهم مالك الاشتر (رحمه الله) قال فيه:"...أما بعد فقد بعثت إليكم عبدا من عباد الله لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع. أشد على الفجار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث أخو مذحج، فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحق فإنه سيف من سيوف الله لا كليل الظبة ولا نابي الضريبة"(٤).

والطاعة للقائد ليست مطلقة وإنَّما فيما لم يكن القائد مخالفاً لأوامر الشريعة الغرَّاء، لقول امير المؤمنين (عليه السلام): " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"(٥).

---

(١) صحيح البخاري : ٤/ ٨.

(٢) الامالي : ١٤.

(٣) نهج البلاغة : الشريف الرضي: ٣ /٧٩.

(٤) المصدر نفسه : ٣/ ٦٣.

(٥) المصدر نفسه: ٤/٤١.

٢- الولاء للقيادة :

قال تعالى : ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[١]. "أي: لا ينبغي للمؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء لنفوسهم، وأن يستعينوا بهم، ويلتجئوا إليهم، ويظهروا المحبة لهم" [٢].

وقال تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾[٣]. قال الطبرسي في تفسير الآية: "أي: يلزم كل واحد منهم موالاة بعض ونصرته، وهم يد واحدة على من سواهم"[٤]، والولاء من المبادئ الأساسية التي أسس لها القرآن الكريم في عموم المجتمع الإسلامي، ولا شكَّ أنَّ المجتمع العسكري أولى وأهّم من ناحية توجيه الأمر إليه، بضرورة الموالاة للقيادة أولاً، ولعضه البعض ثانياً، و "الولاء هو الحب والتناصر والتحالف، وهو بهذا المعنى من أوجب واجبات الجنود لقيادتهم ومبادئهم؛ لأنَّ الجندية الصحيحة لا تتحقق إلّا بالحب المتبادل بين الجنود والقيادة، والقيادة المخلصة لا توجد إلّا بالتناصر والتحالف بينها وبين جنودها. ومن المعلوم في الإسلام إنَّ المسلم لا يمنح ولاءه إلّا لأخيه المسلم جندياً كان أم قائداً، ولا يجوز له مطلقاً أن يوالي غير المسلمين مهما كانت صلتهم به، باء كانوا أم اخوانا أو أزواجا أم عشيرة"[٥].

بل أعظم من ذلك، كان المؤمنون من أصحاب رسول (ﷺ) يقتلون آباءهم وإخوانهم وعشيرتهم نصرة لله ورسوله ودلالة على عمق الموالاة، للقيادة العظمى المتمثلة برسول الله محمد (ﷺ)، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): "ولقد كنا مع رسول الله (ﷺ) نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا. ما يزيدنا ذلك إلّا إيماناً وتسليماً ومضياً على اللقم وصبراً على مضض الألم وجداً في جهاد العدو"[٦].

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٢٨.

(٢) التبيان : الطوسي : ٢ /٢٧٣.

(٣) سورة التوبة : الآية ٧١.

(٤) تفسير جوامع الجامع : ٢/ ٨٠.

(٥) القيادة والجندية في الإسلام : محمد الوكيل ، ٢/٧٧.

(٦) نهج البلاغة : الشريف الرضي: ١ / ١٠٥.

٣- الثقة بالقائد وتفويض الأمور إليه:

القائد العسكري في الإسلام لا يأتي صدفة أو اعتباطاً أو محاباةً، وإنَّما وفقا لمؤهلات واستعدادات نفسية وبدنية كثيرة ـ مرّ الكلام عنها ـ تُوجب على الجند أن يثقوا بقيادتهم وأن يفوضوا الأمور إليها، "فتفويض الأمر إلى القائد الذي هو ولي أمر الجيش، والثقة به من الأمور المؤدية إلى الأخذ بالرأي السديد والقول الصائب؛ لما تميز به من صفات أهّلته لقيادة الجيش، فإن ظهر للجند أمر خفي أشاروا به عليه، كما أنَّ في تفويض الأمر للقائد سببا لاجتناب الاختلاف في الرأي الذي قد يحدث تفرقاً لجمعهم، وتمزيقاً لوحدتهم، فالقائد المرجع الرئيس للجند في كل أمر يشكل عليهم، فيجب عليهم أن يفوضوا إليه جميع الأمور التنظيمية والمالية والفنية، ويتجنبوا كل ما قد يثير في صفوفهم الفرقة" (١).

ومما أشار إليه القرآن في هذا، قوله تعالى: ﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ (٢)، يقول السيد الطباطبائي: "القوة ما يتقوى به على المطلوب وهي ههنا الجند الذي يتقوى به على دفع العدو وقتاله، والبأس الشدة في العمل والمراد به النجدة والشجاعة ، والآية تتضمن جواب الملأ لها يسمعونها أولاً ما يطيب له نفسها ويسكن به قلقها ثم يرجعون إليها الأمر يقولون: طيبي نفساً ولا تحزني فإن لنا من القوة والشدة ما لا نهاب به عدواً وإن كان هو سليمان ثم الأمر إليك مري بما شئت فنحن مطيعوك"(٣)، ففي الآية الكريمة دلالة على الثقة المطلقة للجند بقيادة هذا المرأة الحكيمة، ولذلك فوّضوا إليها مسألة اتخاذ القرار العسكرية من عدمه، كما أبدوا استعدادهم للطاعة وتنفيذ الأمر فيما لو قررت خوض المعركة.

٤- احترام القيادة :

يجب على الجند احترام القائد، ومراعاة الأدب في التعامل معه، إذ إنَّ احترامه يوجب الحفاظ على الهيبة العسكرية للقيادة، مما يحافظ على استقرار النظام العسكري، وبخلاف ذلك تنهار المؤسسة العسكرية وتحل الفوضى؛ لأنَّ أساس المنظومة العسكرية

---

(١) إعداد الجندي المسلم : ٦٥١ -٦٥٢.

(٢) سورة النمل : الآية ٣٣.

(٣) الميزان: ٣٦١/١٥.

تقوم على احترام القيادة ومن ثم إطاعة أوامرها، وقد أشار الباري تعالى إلى ذلك في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ ﴾[1]. قال السيد الطباطبائي في تفسيره للآية: "وذلك بأن تكون أصواتهم عند مخاطبته وتكليمه (ﷺ) أرفع من صوته وأجهر؛ لأنَّ في ذلك كما قيل أحد شيئين: إمّا نوع استخفاف به وهو الكفر، وإما إساءة الأدب بالنسبة إلى مقامه وهو خلاف التعظيم والتوقير المأمور به. وقوله: (تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ) فإنَّ من التعظيم عند التخاطب أن يكون صوت المتكلم أخفض من صوت مخاطبه فمطلق الجهر بالخطاب فاقد لمعنى التعظيم فخطاب العظماء بالجهر فيه كخطاب عامة الناس لا يخلو من إساءة الأدب والوقاحة" [2]، وهكذا فإنَّ للقائد احترامه الخاص، لاسيما القيادة العسكرية؛ لأنَّ في احترامها احترام لقراراتها العسكرية، وعلى ذلك يبتني عامل النصر.

٥- الرجوع إلى القيادة وتجنّب التصرّف الفردي:

يجب على الجند أن لا يقدّموا رِجلاً ولا يؤخّروا أخرى حتى يرجعون في ذلك إلى القيادة العسكرية، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [3] والاستئذان طلب الأذن من الغير، وفي الآية أشارة الى أن المؤمنون حقا برسول الله (ﷺ) هم أولئك الذين لا يتصرفون من تلقاء أنفسهم لا سيما في أمور الحرب الا بعد الرجوع الى القيادة وطلب الأذن منها [4] ، وفي هذا الشأن ورد عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) كتاب شديد اللهجة وجّهه إلى أحدِ خُلّص أصحابه، وهو كميل بن زياد النخعي[5]، يؤنّبه فيه

---

(١) سورة الحجرات : الآية ٢.

(٢) الميزان : الطباطبائي: ٣٠٨/١٨.

(٣) سورة النور : الآية ٦٢.

٤) يُنظر : التبيان ، الطوسي ، ٤٦٤/٧.

(٥) كميل : (هو المنسوب اليه الدعاء المشهور وقتله الحجّاج وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) قد اخبره بأنّه سيقتله وهو من أعاظم خواصّه (عليه السلام)، قال شيخنا البهائي في أربعينه وغيره والعجب من الوجيزة أنَّه قال فيه م أو ح فتأمّل، قال جدي وفي النهج ما يدلّ على أنَّه كان من ولاته على بعض نواحي العراق) . المصدر: تعليقة على منهج المقال: محمد باقر الوحيد البهبهاني: ٢٨٨.

على التصرّف الفردي الاجتهادي من دون الرجوع إلى القيادة العسكرية العليا المتمثلة بشخصه (عليه السلام)، فقال له فيه: "أما بعد فإن تضييع المرء ما ولي وتكلفه ما كفي لعجز حاضر ورأي متبر، وإن تعاطيك الغارة على أهل قرقيسيا وتعطيلك مسالحك التي ولياك ليس بها من يمنعها ولا يرد الجيش عنها لرأي شعاع ، فقد صرت جسراً لمن أراد الغارة من أعدائك على أوليائك، غير شديد المنكب، ولا مهيب الجانب، ولا ساد ثغرة، ولا كاسر شوكة، ولا مغن عن أهل مصره، ولا مجز عن أميره"(١).

وقد مدح الإمام (عليه السلام) مالك الاشتر (رحمه الله) وبيَّن في كتابه لأهل مصر أنَّ من أهمِّ خصائص مالك رجوعه للقيادة في كل أمر يروم فعله، يقول الإمام (عليه السلام): "...فإن أمركم أن تنفروا فانفروا، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا، فإنَّه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخر ولا يقدم إلّا عن أمري، وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم وشدة شكيمته على عدوكم"(٢).

٦- التضحية من اجل القائد:

القائد له محورية مهمة في الجيش، فهو الذي بيده زمام قيادة العسكر، وإذا استشهد القائد أو تعرض للجروح لا شكَّ أنَّ ذلك سيسبب كسراً للجيش، واضطراب بين اروقته، من هنا وجب على الجنود جميعا الحفاظ على سلامة القائد مهما كلف الأمر، وفي هذا يقول الإمام علي (عليه السلام): "وإنما أنا قطب الرحى تدور علي وأنا بمكاني، فإذا فارقته استحار مدارها واضطرب ثفالها"(٣)، فوجود القائد ضروري لحفظ التوازنات "بناءً على هذا فإنَّ المقاتل الإسلامي يبادر لتنفيذ أوامر قائده، والمحافظة على سلامة هذا القائد، وافتدائه بنفسه اذا تتطلب الأوامر ذلك"(٤).

ومن الشواهد القرآنية على ذلك ، قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ (٥) ففي الرواية " عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام)

(١) نهج البلاغة : الشريف الرضي: ٣/ ١١٧.
(٢) المصدر نفسه :٣/ ٦٣-٦٤.
(٣) نهج البلاغة : الشريف الرضي :١/ ٢٣٢.
(٤) بحوث حول النظام العسكري : زماني :٨٥.
(٥) سورة البقرة : الآية ٢٠٧.

قال: أما قوله: "ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد "فإنها أنزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام) حين بذل نفسه لله ولرسوله ليلة اضطجع على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما طلبته كفار قريش"[1] وفي التاريخ شواهد كثيرة على تضحيات الجنود في سبيل نجاة القائد، وقد كانت عاشوراء حافلة بقصص الأبطال الاشاوس من أصحاب أبي عبد الله (عليه السلام) وكيف كانوا يتسابقون في التقدم للتضحية والشهادة دون قائدهم، ففي معركة الطفّ اجتمع عنوانان في شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) وهما: الإمام المعصوم، والقائد العسكري.

فقد روى أبو مخنف الأزدي قال: "حدثني عبد الله بن عاصم عن الضحاك بن عبد الله المشرقي قال: فقام إليه مسلم بن عوسجة الأسدي فقال: أنحن نخلي عنك ولما نعذر إلى الله في أداء حقك. أمَا والله لا أفارقك حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك، قال: وقال سعد بن عبد الله الحنفي: والله لا نخليك حتى يعلم الله إنَّا قد حفظنا غيبة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيك، والله لو علمت إنّي اقتل ثم أحيا ثم أُحرق حياً ثم أذر، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنَّما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً. قال: وقال زهير بن القين: والله لوددت إني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا الف قتلة وإنَّ الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك، قال: وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً في وجه واحد فقالوا: والله لا نفارقك ولكن أنفسنا لك الفداء نقيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا فإذا نحن قتلنا كنا وفينا وقضينا ما علينا"[2].

٧- حفظ الأسرار والخطط العسكرية:

الأسرار والخطط الحربية تعدُّ مفتاح النجاح في الحروب؛ ولهذا فإنَّ إفشاءها قد يُذهب بالنصر ويعود بالهزيمة، ومن هنا وجب على الجندي بأن يحفظ أسرار الجيش الذي هو أحد أفراده، والدولة التي يعيش في كنفها، فإذا عرف العدو عدد القوات العسكرية

(١) تفسير العياشي : العياشي ، ١/ ١٠١.

(٢) مقتل الحسين (عليه السلام) : ١١٠.

وعدّتها، استفاد من ذلك كثيراً، وهذا البحث يتعلق بالاستطلاع وبث العيون، والرصد عنها، ولكن من أجل الأهمية نقول: لابدَّ أن يعلم كل من المقاتلين الإسلاميين أنَّ حفظ الأسرار العسكرية واجب، وافشاءها حرام، حتى ولو لم تكن أهمية قصوى وإذا كان التشديد على حفظ السر في سائر الأيام فإنَّه آكد وأكثر حاجة زمن الحرب والمجابهة، فلربما يفشي أحد الجنود سراً بقصد، أو بغير قصد فيصل ذلك إلى الأعداء فيكون سبباً في هلاك جيش كامل، وسقوط دولة قائمة(١).

٨- الانضباط والالتزام:

قال تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢) .

يقول الشيخ مكارم الشيرازي: " فإنَّ الآيات موضع البحث تناولت كيفية تعامل المسلمين مع قائدهم النبي (ﷺ)، وقد أكدت التزام الوقار أمامه، وطاعته وعدم ترك الجماعة إلّا بإذنه. وتحدثت الآيات السابقة عن ضرورة طاعة الله ورسوله (ﷺ)، ومن علائم طاعته عدم تركه أو القيام بعمل ما دون إذن منه، لهذا تحدثت الآيات – موضع البحث – حول هذا الموضوع. فتقول أولاً: إنَّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، والمراد من (أمر جامع) كل عمل يقتضي إجتماع الناس فيه ويتطلب تعاونهم، سواء كان عملاً استشارياً، أو مسألة حول الجهاد ومقاتلة العدو، أو صلاة جمعة في الظروف الاستثنائية وأمثالها"(٣).

إنَّ أساس النظام العسكري يقوم على الانضباط والالتزام – الناشئين من الطاعة – الجاد في تنفيذ الأوامر، إذ إنَّ جميع التحركات والتصرفات التي تخلّ بحركة الجيش أو تسبّب إرباكاً له يكون الجندي فيها محاسباً ومسؤولاً أمام الله تعالى، ولهذا وجب أن تكون حركاته ضمن الموازين والأطر الشرعية التي لا تخلّ بالنظام العسكري.

---

(١) يُنظر : النظريات العسكرية بين الاعداد والتخطيط : سعيد الاغا ، ص١٧١. بحوث حول النظام العسكري : زماني:٨٦.

(٢) سورة النور : الآية ٦٢.

(٣) الأمثل : مكارم الشيرازي : ١٧٨/١١.

يركز الإسلام على تكوين الضمير الديني للمسلم فهو الذي يدفعه لان يراعي الله سبحانه في كل تصرفاته وأفعاله، ينجزها على أكمل وجه معتمداً على قوة ذاتية داخل نفسه خوفاً من الله الرقيب المطلع الذي لا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض، لا خوفاً من السلطات الدنيوية القائمة على الرعب والخوف، وهذا هو أعلى مراتب الانضباط العسكري وهو الانضباط الذاتي(١).

وأمَّا "الالتزام الذي نقصده هو ما يعرف اليوم في الجيوش الحديثة باسم (الضبط والربط) بمعنى أنَّ الجنود يجب أن يكونوا واقفين عند حدود الأوامر والنواهي، فلا يعصون ولا يتمردون، ولا يخالفون أمراً تصدره القيادة ... لقد ضبط الإسلام سلوك الجنود، وعلمهم كيف يلتزمون بأوامر القيادة، فلم يعد تصرفهم عشوائياً صادراً عن مجرد الهوى والرغبة، بل أصبح كل شيء في حياتهم تحت تصرف القيادة، وعلى وفق أوامرها"(٢).

القسم الثاني : واجبات خاصة في أرض المعركة

أجمل الباري تعالى كثيراً من تلك الواجبات في قوله عز من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٣).

١ –الثبات:

يقول العلامة الطباطبائي: "وقوله: (فَٱثۡبُتُواْ) أمر بمطلق الثبوت أمام العدو، وعدم الفرار منه فلا يتكرر بالأمر ثانياً بالصبر كما تقدمت الإشارة إليه"(٤).

الثبات في المعركة هو أول الواجبات التي ينبغي على الجندي المسلم الالتزام بها، وقد شدّد القرآن الكريم في حرمة الفرار من المعركة، في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ

(١) يُنظر: العقيدة العسكرية الإسلامية : محمد حسين :١٦٢.

(٢) القيادة والجندية في الإسلام : ٢ /٩١.

(٣) سورة الانفال : الآيتان ٤٥–٤٦.

(٤) الميزان : الطباطبائي: ٩٤/٩.

مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1] ، " (لَقِيتُمُ) من مادة (اللقاء) بمعنى الاجتماع والمواجهة، وتأتي في أكثر أحيان بمعنى المواجهة في ميدان الحرب. و(زَحْفًا) في الأصل بمعنى الحركة إلى أمر ما بحيث تسحب الأقدام على الأرض كحركة الطفل قبل قدرته على المشي، أو الإبل المرهقة التي تخط أقدامها على الأرض أثناء سيرها، ويطلق على الجيش الجرار الذي يشاهد من بعيد وكأنَّه يحفر الأرض أثناء مسيره. واستخدام كلمة (زَحْفًا) –في الآية آنفا– تشير إلى أنَّه بالرغم من أنَّ عدوكم قوي وكثير، وأنتم قليلون، فلا ينبغي لكم الفرار من ساحة الحرب، وكما كان عدوكم كثيراً في ميدان بدر فثبتم وانتصرتم. فالفرار من الحرب يعد في الإسلام من كبائر الذنوب"[2].

وقد ذكر الشيخ الصدوق في باب الكبائر عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قوله: "الكبائر تسعة: فأولها الشرك بالله العظيم، وقتل النفس التي حرَّم الله، واليمين الغموس، وأكل مال اليتيم، والسحر، وعقوق الوالدين، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، وإنكار حقنا"[3].

وقد حدد الفقهاء شروطا للثبات وعدم الفرار من الزحف، قال العلامة الحلي في باب كيفية الجهاد ما نصَّه: "مسألة: إذا التقت الفئتان وجب الثبات وحرِّم الفرار لقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾[4] وقال:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ ﴾[5]، وقد عدَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الفرار من الزحف من الكبايرإذا عرفت هذا فإنما يجب الثبات بأمرين. أحدهما: أن لا يزيد الكفار على الضعف من المسلمين فإذا زادوا لم يجب الثبات لقوله تعالى:﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ ﴾[6]، وهذا خبر في الصورة وأمر في المعنى لأنَّه لو

(١) سورة الانفال : الآيتان ١٥–١٦.
(٢) الأمثل: مكارم الشيرازي: ٥/ ٣٨٢.
(٣) الهداية : ٢٩٧
(٤) سورة الانفال : الآية ١٥.
(٥) نفس السورة : الآية ٤٥.
(٦) سورة الانفال : الآية ٦٦.

لو كان خبراً حقيقياً لم يكن رد من عليه الواحدة بالعشر إلى غلبة الاثنين تحقيقا ومتى لم يزيدوا على الضعف وجب الثبات للآية[١] .

٢-الاطمئنان بذكر الله:

لا شك أنَّ ذكر الله تعالى يوجب الاطمئنان القلبي، قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [٢]، وأنَّ ساحة المعركة لما فيها من هول واضطراب وتصدّع للفؤاد وتطاير للألباب، تكون الحاجة إلى ذكر الله تعالى أكبر وأكثر، ولهذا كان التأكيد من الباري تعالى ـ بعد وجوب الثبات ـ على الذكر الكثير، قال تعالى:﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [٣] .

"ولا ريب أنَّ المراد من ذكر الله سبحانه هنا ليس هو الذكر اللفظي فحسب، بل حضور القلب، وذكر علمه تعالى وقدرته غير المحدودة ورحمته الواسعة، فهذا التوجه إلى الله جل جلاله يقوي من عزيمة الجنود المجاهدين، ويشعر الجندي بأنَّ عنده سنداً قوياً لا تستطيع أية قدرة في الوجود أن تتغلب عليه يدعمه في ساحة القتال. وإذا قُتِل فسينال السعادة الكبرى ويبلغ الشهادة العظمى، وجوار رحمة الله، فذكر الله يبعث على الاطمئنان والقوة والقدرة والثبات في نفسه. بالإضافة إلى ذلك، فذكر الله وحبه يخرجان حب الزوجة والمال، والأولاد من قلبه، فإن التوجه إلى الله يزيل من القلب كل ما يضعفه ويزلزله"[٤].

ولهذا كان أئمة الهدى (صلوات الله عليهم) المثل الأعلى في كثرة ذكر الله تعالى والارتباط به في ميادين القتال، فالحرص على أداء الصلاة، لاسيما في أوقات الحرب، التي عادة ما يكون العبد فيها مشغولاً عن الصلاة فضلاً عن الاهتمام بأولِ وقتها، فإذا تطايرت الرؤوس، وجُدعت الأنوف، وخَرُس الفم ونطق السيف بالدم، وبلغت القلوب الحناجر، لا يبقى مجالاً للتفكير في الصلاة، إلّا أنَّ ذلك كله لم يثنِ أمير المؤمنين(عليه السلام) عن التوجّه إلى ربه وترقّب وقت الصلاة في أولِ وقتها، فقد روي أنَّه (عليه السلام): "كان يوما

---

(١) منتهى المطلب : ٣ /٩٠٧.

(٢) سورة الرعد : الآية ٢٨.

(٣) سورة الانفال : الآية ٤٥.

(٤) الأمثل : مكارم الشيرازي :٥ / ٤٥٠.

في حرب صفين مشتغلاً بالحرب والقتال وكان مع ذلك بين الصفين يراقب الشمس فقال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين ما هذا الفعل؟ فقال: انظر إلى الزوال حتى نصلي. فقال له ابن عباس: هل هذا وقت صلاة؟ إن عندنا لشغلاً بالقتال [عن الصلاة]. فقال له علي(عليه السلام): فعلى ما نقاتلهم؟ إنما نقاتلهم على الصلاة"[1]. لا شكَّ أنَّ حرص الإمام(عليه السلام) على أداء الفريضة في أول وقتها ناشئ من كثرة ذكره لربه تعالى، فلم تشغله الحرب وضرواتها وقساوتها عن ذكره لله (جلَّ جلاله).

وكذلك كان موقف الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء مشابهاً لموقف أبيه، إذ أعلام الحق لائحة، وسبله واضحة، لا تتغير ولا تتبدل، فقد روى الطبري في تاريخه أنَّ: "عبد الله الصائدي قال للحسين: يا أبا عبد الله نفسي لك الفداء إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك إن شاء الله وأحب أن ألقى ربى وقد صليت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها قال فرفع الحسين رأسه ثم قال: ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين نعم هذا أول وقتها"[2].

٣-الطاعة لله ولرسوله:

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[3]. يقول العلامة الطباطبائي: "وقوله (وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ) ظاهر السياق أنَّ المراد بها إطاعة ما صدر من ناحيته تعالى وناحية رسوله من التكاليف والدساتير المتعلقة بالجهاد والدفاع عن حومة الدين وبيضة الإسلام مما تشتمل عليه آيات الجهاد والسُنَّة النبوية كالابتداء بإتمام الحُجَّة وعدم التعرض للنساء والذراري والكف عن تبييت العدو وغير ذلك من أحكام الجهاد"[4].

والطاعة هي الخضوع لأوامر الله تعالى والتسليم لها، واجتناب نواهيه، والطاعة بهذا المعنى أقرب إلى طريق النصر؛ لأن الله عزَّ وجلّ لا يتخلى عن أوليائه، ولا يسلمهم

---

(١) كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين: الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي ، تح: حسين الدركاهي، ط١ ، ١٤١١هـ :١٢٢.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير الطبري ، تح: نخبة من العلماء الاجلاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان: ٤ / ٣٣٤.

(٣) سورة الانفال : الآية ٤٦.

(٤) الميزان : الطباطبائي: ٩/٩٥.

لأعدائه. كما أنَّ طاعة القائد تعني التطبيق لخططه المدروسة، كونه عالما بالحرب، وأخبر الناس بها، فكلما كانت الطاعة إليه أكبر، والتسليم إلى قراراته أكثر، كلما كان الانتصار أقرب، ثمَّ أنَّ في طاعته طاعة لله تعالى، وفي خذلانه خذلان لنصر الحق، ولهذا كلما تأخر النصر على المسلمين في معركة من المعارك يأمر القائد جنوده بالتوبة والاستغفار فعندئذ ينزل عليهم نصر الله(١).

٤-عدم التنازع:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٢)، "ولا تنازعوا فتفشلوا؛ لأنَّ النزاع والفرقة أمام الأعداء يؤدي إلى الضعف وخور العزيمة، ونتيجة هذا الضعف والفتور هي ذهاب هيبة المسلمين وقوتهم وعظمتهم وتذهب ريحكم". و(الريح) في اللغة، هي الهواء. فالنزاع يولد الضعف والوهن. وأما ذهاب الريح، فهو إشارة لطيفة إلى زوال القوة والعظمة، وعدم سير الأمور كما يرام، وعدم تحقق المقصود؛ لأنَّ حركة الريح فيما يرام توصل السفن إلى مقاصدها، ولما كانت الريح في ذلك العصر أهمّ قوة لتحريك السفن فقد كانت ذات أهمية قصوى يؤمئذ. وحركة الريح في الرايات والبيارق تدل على ارتفاع الراية التي هي رمز القدرة والحكومة، والتعبير آنف الذكر كناية لطيفة عن هذا المعنى"(٣).

النزاع بين المؤمنين مما يوجب الفسق(٤) والتنازع شؤم يصطلي بناره كل من وقع فيه، والاختلاف مهلكة للجيش، وأكثر ما تصاب به الجيوش من الهزائم يكون بسبب التنازع والاختلاف بينهم، والتنازع يورث الوهن وضياع القوة، فينكشف الجيش أمام عدوه، فتذهب هيبته من نفسه، فيجترئ عليه العدو فيهاجمه في مقره، ويباغته في عقر داره النزاع والاختلاف مذموم فيما بين المؤمنين في كل زمان ومكان، إلّا أنَّه في المعركة أشد؛

---

(١) يُنظر: القيادة والجندية في الإسلام: محمد الوكيل :٢/٢٥٤.

(٢) سورة الانفال : الآية ٤٦.

(٣) الأمثل : مكارم الشيرازي :٥/٤٥١.

(٤) يُنظر: المصدر نفسه: ١٦/ ٥٣٩.

لما فيه من ضرر بالغ على عموم الجيش، بل هو مهلكة لهم جميعاً، كما أنَّ انكسار الجيش وهزيمته، فيه تفويت لعظيم أهداف الجهاد[١].

٥-الصبر:

قال تعالى : ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٢]، " أي الزموا الصبر على ما يصيبكم من مكاره القتال مما يهددكم به العدو، وعلى الإكثار من ذكر الله، وعلى طاعة الله ورسوله من غير أن يهزهزكم الحوادث أو يزجركم ثقل الطاعة أو تغويكم لذة المعصية أو يضلكم عجب النفس وخيلاؤها. وقد أكد الأمر بالصبر بقوله: (إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ)؛ لأنَّ الصبر أقوى عون على الشدائد وأشد ركن تجاه التلون في العزم وسرعة التحول في الإرادة، وهو الذي يخلى بين الإنسان وبين التفكير الصحيح المطمئن حيث يهجم عليه الخواطر المشوشة والأفكار الموهنة لإرادته عند الأهوال والمصائب من كل جانب فالله سبحانه مع الصابرين"[٣].

ومن الأحاديث في فضل الصبر في المعارك ما رواه البخاري "عن سالم أبى النضر مولى عمر بن عبيد الله وكان كاتباً له قال: كتب إليه عبد الله أبى أوفى (رضي الله عنهما) فقرأته ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بعض أيامه التي لقى فيها انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس قال: أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أنَّ الجنة تحت ظلال السيوف"[٤].

وفي حديث آخر رواه الطبراني عن أبي هريرة عن أبي أيوب خالد بن زيد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "من لقي العدو فصبر حتى يقتل أو يغلب لم يفتن في قبره"[٥].

الحاجة إلى الصبر ماسّة وضرورية جداً؛ لما تحمله المعارك من صعوبة ومشقّة بالغة، ولما تحمله من الم ومواجهة لمختلف التحديات، فما لم يتسلّح الجندي المسلم بسلاح الصبر، فالهزيمة حاصلة لا محالة. "ولما كانت الحرب تسبب الكثير والكثير من

---

(١) يُنظر: القيادة والجندية في الإسلام : محمد الوكيل :٢/٢٥٤- ٢٥٥.

(٢) سورة الانفال : الآية ٤٦.

(٣) الميزان : الطباطبائي:٩/٩٥.

(٤) صحيح البخاري : ٤/٩.

(٥) المعجم الأوسط: ٤/٢٥٢.

المشاق، فذلك ما هو معلوم فهي تدمر وتفتك وتخرب ما استطاعت التخريب، وتفسد ما استطاعت الإفساد وتسفك من الدماء ما يطوله سلاحها بغير أدنى اعتبار للمسالمين المنتحين جانباً، فالجميع سواء في جحيم القتال كل تلك الأحوال التخريبية تحدث في النفوس الخوف والاضطراب والخشية من المصير المجهول، وهذا يفرض على المجاهد مهما نزل بأرض وطنه من كوارث قتالية من الصبر الإيماني عدته وسلاحه وإن يُرجع ما قد يصيبه إلى قدر الله وحده، وان الله لن يضيع عمله أبدا"[1].

٦-الحذر والاستعداد:

قال تعالى :﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[2] .

يقول الشيخ مكارم الشيرازي: "... (وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ)... وتشير الآية إلى أنَّ أداء الصلاة بهذا الأسلوب من أجل أن يبقى المسلمون في مأمن من أي هجوم مباغت قد يقوم به العدو عليهم؛ لأنَّه يتحين الفرص دائماً لتنفيذ هذا الهجوم، ويتمنى لو تخلى المسلمون وغفلوا عن أسلحتهم وأمتعتهم ليشن عليهم حملته الغادرة:(وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً) ولمَّا كان حمل السلاح والوسائل الدفاعية الأخرى صعباً أثناء أداء الصلاة في بعض الأحيان مثل أن يكون بعض المسلمين يعانون من ضعف بدني أو مرضي أو جراحات تحملوها من ساحة القتال، فيشق عليهم بذلك حمل السلاح أو وسائل الدفاع الأخرى، لذلك تأمر الآية في الختام قائلة: (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ)"[3].

---

(١) العسكرية الإسلامية منذ فجر الإسلام : محمد حجازي ، ص٦٧.

(٢) سورة النساء : الآية ١٠٢.

(٣) الأمثل : ج٣، ص٤٢٥ . ٤٢٦.

والآية تبيِّن بوضوح ووجوب أخذ الحيطة والحذر، ووجوب الاستعداد لأي طارئ ممكن أن يحدث، ومن يفعل لك فهو خير الناس، فقد روى ابن ماجه في سننه قال: "حدثنا محمد بن الصباح. ثنا عبد العزيز بن أبي حازم. أخبرني أبي عن بعجة بن عبد الله بن بدر الجهني، عن أبي هريرة، أن النبي (ﷺ) قال: "خير معايش الناس لهم، رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله. ويطير على متنه. كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه إليها. يبتغى الموت أو القتل، مظانه"(١).

"واذا تدبرنا في الحديث الشريف نلاحظ أن كلمة (ممسك) في عبارة رجل ممسك بعنان فرسه يعني أعلى درجة في الاستعداد من مجرد ركوب الفرس وتنطوي على معنى الاستعداد الكامل للانطلاق بمجرد الإشارة وان كلمة (طار) في عبارة كلما سمع هيعة طار إليها ذات مدلول يختلف كثيراً عن كلمة اندفع أو اتجه أو تقدم أو أسرع، وتعبر عن أسرع بشكل من أشكال التحرك على الإطلاق وتعتبر أكثر ألفاظ المعركة دلالة على السرعة، ثم كلمة (خير الناس) التي تنطوي على تكريم المجاهد الذي يقف في أعلى درجات اليقظة والاستعداد، ومنشأ التكريم هنا هو مقدار العناء والجهد البدني والعصبي الذي يتعرض له المقاتل في فترة استعداده القصوى، والأمر الذي يستحق معه التكريم وتلك هي عدالة الإسلام"(٢).

(١) سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت – لبنان: ٢ /١٣١٦.
(٢) العقيدة العسكرية الإسلامية : ٩١– ٩٢.

المطلب الثاني
حقوق الجند

الجندي هو محور المعارك، وعليه تدور رحى الحرب، ولهذا وضع الإسلام له حقوقاً كثيرةً منها:

١-الرفق بهم والحفاظ عليهم:

الرفق: "هو لين الجانب، والرأفة، وترك العنف والغلظة في الأفعال والأقوال على الخلق في جميع الأحوال، سواء صدر عنهم بالنسبة إليه خلاف الآداب أو لم يصدر"(١).

الروايات في الرفق وفضله والحثُّ عليه كثيرة جداً، أذكر بعض ما أورده الكليني(رحمه الله) "عن ابن محبوب، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر(عليه السلام) قال: إنَّ الله عز وجل رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف"(٢).

وفي رواية أخرى عن "علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إنَّ الرفق لم يوضع على شيء إلّا زانه، ولا نزع من شيء إلّا شانه"(٣).

الرفق من الأخلاق الإسلامية الفاضلة التي حثت عليها الشريعة الإسلامية، والرفق بالجنود ليس تفضّلا من القيادة عليهم، بل هو حقٌّ من حقوقهم الواجب توفيرها لهم، فعلى القيادة أن تكون رفيقة بالجنود ليّنة في تعاملها معهم، فلا ترهقهم، ولا تحملهم من الأعمال ما لا يطيقون إلّا أن تكون ضرورة تقتضيها المعركة، أو يتطوعوا هم بالقيام بذلك دون تكليف. وعلى القيادة أن تختار لهم المنازل السهلة، وتتجنب المسالك الوعرة وأن تسير بهم في الطرق المزللة، ولا تسلك بهم فجاجاً مهلكةً، وأن تعطيهم فرصة العودة إلى أهليهم بين الحين والحين، ولا تجمهرهم في أرض العدو زمناً يضر بهم وبعائلاتهم(٤).

---

(١) بحار الانوار : المجلسي : ٧٢/ ٥٥.

(٢) الكافي : الكليني: ٢ /١١٩ .

(٣) المصدر نفسه: ١١٩/٢.

(٤) يُنظر: القيادة والجندية في الإسلام: ١٧٧/٢.

وقال الماوردي في حقوق الجند ما نصّه: "الرِّفْقُ بِهِمْ فِي السَّيْرِ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَضْعَفُهُمْ وَتُحْفَظُ بِهِ قُوَّةُ أَقْوَاهُمْ، وَلَا يَجِدَّ السَّيْرَ فَيَهْلَكْ الضَّعِيفُ وَيَسْتَفْرِغْ جَلَدَ الْقَوِيِّ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): (هَذَا الدِّينُ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أرضا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى وَشَرُّ السَّيْرِ الْحَقْحَقَةُ)[1]. وَرُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ (ﷺ) أَنَّهُ قَالَ: (الْمُضْعَفُ أَمِيرُ الرُّفْقَةِ)[2]، يُرِيدُ أَنَّ مَنْ ضَعُفَتْ دَابَّتُهُ كَانَ عَلَى الْقَوْمِ أَنْ يَسِيرُوا بِسَيْرِهِ"[3].

٢-احترام آراءهم:

الجندي الذي يشعر بالاحترام والتقدير من قِبل القيادة، لا شكَّ أنَّ ذلك سيدفعه إلى تقديم المزيد من العطاء، سواء كان ذلك العطاء جسدياً في أرض المعركة أو غيرها، أو كان العطاء فكريا كالاجتهاد في تقديم الرأي الصائب، لاسيما بعد شعوره بأنَّ رأيه سيكون محل اهتمام واحترام وتقدير، ولهذا "لم يكن الإمام علي (عليه السلام) يسمح لأحد بإبداء رأيه فحسب، بل كان يطلب منهم ذلك معتبراً إياه جزءاً من العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وواجباً من واجبات الرعيّة تجاه الراعي"[4].

وكان (عليه السلام) يحرص كثيراً على أن يبدي الجنود آراءهم ويظهروا ما أضمرته أفئدتهم، وانطوى عليه مكنون أسرارهم، يقول (عليه السلام): "ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة. ولا تخالطوني بالمصانعة ، ولا تظنوا بي استثقالا في حق قيل لي ولا التماس إعظام لنفسي ، فإنَّه من استثقل الحقَّ أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه ، فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي إلّا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني ، فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره ، يملك منا ما لا نملك من أنفسنا، وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى، وأعطانا البصيرة بعد العمى"[5].

---

(١) مسند احمد: احمد بن حنبل : ٢/ ١٩٩.

(٢) عون المعبود في شرح سنن أبي داوود: العلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، شرح : ابن قيم الجوزية دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ : ٣٠٣/٧.

(٣) الاحكام السلطانية والولايات الدينية : ص٣٥.

(٤) اخلاقيات الامام علي (عليه السلام) أمير المؤمنين: السيد هادي المدرسي: ٢٣٦.

(٥) نهج البلاغة : الشريف الرضي : ٢٠٢/٢

فالقائد الناجح يحترم آراء جنده ويأخذ بالصواب منها، بل ويشركهم في قراراتهم، فالإسلام وهو يكوّن دولته لم يُرد من أتباعه أن يكونوا صوراً متحركة يميلون حيث يشار إليهم، ويوافقون إذا طُلب منهم، ويمتنعون حين لا يكون المسؤول موافقا، وبعبارة أخرى ان لا يقرنوا رضاهم وامتناعهم برضى القائد وامتناعه، إلّا إذا وافق القائد الحق، ولكنه يريد منهم أن يكون كل شخص منهم حارساً أميناً على نظام الدولة، يرعاه من الطغاة ويحميه من الانتهازيين، ويدفع عنه من يحاول تحويل مسيرته عن خطها المستقيم وقد كان لنا في رسول الله (ﷺ) القائد الأول القدوة الحسنة، إذ كان يشاور أصحابه في معظم القرارات العسكرية. إنَّ مشاورة القائد لجنوده في أمور القتال والحرب لهي دليل على احترامه لآرائهم وفكرهم، فالإسلام منح حقَّ النقد والنصح لكل مسلم، وقد تبع النبي (ﷺ) رأي جنوده في معركة أُحد رغم علمه بخطأ رأيهم، إلّا أنَّه لم يصادر حقهم في إبداء الرأي واحترم استشارتهم[1].

٣-تأمين حوائجهم والقيام على مصالحهم:

يقول الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في وصيته لمالك الاشتر (رحمه الله): "ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا – ولَا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ – ولَا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وإِنْ قَلَّ – فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إلى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ وحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ – ولَا تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمُ اتِّكَالًا عَلَى جَسِيمِهَا – فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ – ولِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لَا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ . ولْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ – وأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ – بِمَا يَسَعُهُمْ ويَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ – حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ – فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ – وإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ وظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ وإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ ولَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلَاةِ الأُمُورِ – وقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ – وتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ – فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ ووَاصِلْ فِي حُسْنِ

(١) يُنظر: القيادة والجندية في الإسلام: محمد الوكيل: ١٩٣/٢، القيادة والجندية في السنة النبوية : طاهر النحال: ١٢٢.

الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ – وتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلَاءِ مِنْهُمْ – فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ – وتُحَرِّضُ النَّاكِلَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ "(١).

الجندي هو ذلك الإنسان الذي يضحي بكل ما يملك من أجل الآخرين، ولهذا وجب على القيادة وكذا المجتمع، أن يراعي حاجة الجنود ويقوم على تأمين حوائجهم وحوائج عائلاتهم، ليكون همّهم الجهاد في سبيل الله تعالى وإعلاء كلمته وحماية المجتمع الإسلامي من التعدي على أرضهم وديارهم، وتأمين حاجة الجند أقل ما يمكن أن يقدّم إليهم في قِبل جسيم تضحياتهم وعظيم عناءهم ثم إن "الناس مع من يعتني بهم، ويقوم على مصالحهم، ويسهر على راحتهم، ويقضي حوائجهم، ويقف إلى جانبهم، والجنود هم جزء من هؤلاء البشر الذين يُسرون بالمساندة، ويسعدون بالمؤازرة، ويصبحون عبيداً لأهل الفضل والمعروف ... ومن هنا لابدَّ للقيادة من القيام على مصالح هؤلاء الجند، والوقوف إلى جانبهم وقت الأزمات، والعمل قدر المستطاع لقضاء حوائجهم، عندها يشعر الجندي برباط لا ينفصم وبوثاق لا ينقطع وبصلة لا تنتهي"(٢).

فمن واجبات القيادة في الإسلام القيام على مصالح الجنود، ومراعاة حقوقهم، لتحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة، كما أنَّ ذلك يعطي حافزاً ودافعاً للجند للقيام بالمهام الموكلة إليهم بشكل أفضل، ومن حقِّ الجنود المقرر شرعاً المطالبة بها إذا أهملت القيادة أو قصرت في تقديمها أو القيام لتحقيقها(٣).

---

(١) نهج البلاغة : الشريف الرضي: ٣/٩١-٩٢.

(٢) النظريات العسكرية بين الاعداد والتخطيط: الاغا: ١٧٦-١٧٧.

(٣) يُنظر: القيادة والجندية في الإسلام : ٢/٢١٤.

الفصل الثالث

الأساليب والتعاليم والآداب العسكرية

المبحث الأول : الأساليب العسكرية

المطلب الأول : أسلوب الخدعة

المطلب الثاني : أسلوب الحرب النفسية

المبحث الثاني : تعاليم الحرب

المطلب الأول : التعاليم التي تختص بالقادة

المطلب الثاني التعاليم التي تختص بالجند

المبحث الثالث : الآداب العسكرية

المطلب الأول : آداب التعامل مع العدو خلال الحرب

المطلب الثاني : آداب ما بعد الحرب

الفصل الثالث

الاساليب والتعاليم والآداب العسكرية

المبحث الأول

الأساليب العسكرية

الحرب تحتاج إلى أساليب كثيرة، وخطط واستراتيجيات متنوعة، وكلما كانت تلك الأساليب والخطط محكمة ورصينة، وكلما كان تطبيقها بشكل دقيق ومدروس، كان النصر قريباً، وبخلاف ذلك فالنصر بعيداً جداً، وهكذا كانت جميع القيادات العسكرية تلجأ إلى وضع خطط للمعارك، كما تحاول أن تبتكر أساليب جديدة؛ لتحقق النصر على العدو، والقيادة العسكرية الإسلامية المتمثلة برسول الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام علي (عليه السلام) كانت سبّاقة في ذلك وهذا ما سأعرض له في مطالب هذا المبحث كالآتي:

المطلب الأول

أسلوب الخدعة

أولاً: تعريف الأسلوب :

الأسلوب في الحرب يعني: " التكتيكات أو الاستراتيجيات التي تستخدم في الأعمال العدائية ضد عدوّ ما، في أوقات النزاع" [1].

ثانيا: تعريف الخدعة:

ذكرت للخدعة عدة تعريفات ، منها :

١-هي فن التمويه والاستتار عن الحقيقة، والقيام بأعمال تضليلية لصرف العدو [2].

٢-هي علم وفن تخطيط مجموعة من الإجراءات المنسقة، وتنفيذها لإخفاء الحقائق، وإقناع العدو وحلفائه بمفهوم غير حقيقي عن نوايا استخدام القوة وإمكاناتها الحقيقة،

---

(١) أساليب (ووسائل الحرب) القاموس العملي:
https://ar.guide-humanitarian-law.org/content/article/5/slyb-wwsyl-lhrb/

(٢) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية: الدكتور محمد خير هيكل، دار البيارق دار ابن حزم : ١٢٩٢.

وتقوده إلى اتخاذ القرارات الخاطئة، التي تؤدي إلى تهيئة الظروف المناسبة، لإعداد القوات المسلحة واستخدامها، لتحقيق أهداف الدولة(١).

ومن خلال التعريفات نلاحظ أنَّ الخدعة تعني إظهار تحرّكات أو أفكار غير حقيقية وإيهام الطرف الآخر على أنَّها حقيقية؛ لتكون ردة فعله على تلك التحركات خاطئة، فيتسنى للطرف الخادع، أن ينتهز الفرصة ويُنزل بالطرف المخدوع ضربات موجعة.

ثالثا : مشروعية الخدعة في الحرب

- **مشروعية الخدعة في القرآن:**

قبل التطرق الى مشروعية الخدعة في القرآن أو السنة لا بد من التنبيه الى مسألة مهمة ، وهي أن للخدعة مفهوم سلبي ينطوي عليه ظلال الكلمة ولهذا يصعب التعبير عن الباري تعالى بأنه (خدّاع) أو ما شابه ذلك اللفظ ، اذ الاخلاق والعبودية لله تعالى تقتضي مراعاة الأدب معه جل جلاله ، ولهذا سأستخدم كلمة التكتيك او التدبير ؛ لكونها أنسب من عبارة الخداع .

أ- قال تعالى : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾(٢)، أي: واذكر يا رسول الله كيف أنَّ الله اراكهم قليلاً، ليربط على قلوبكم وتطمئن نفوسكم ولو أراكهم كثيراً وعلم المؤمنين بذلك لأصابهم الفزع والخوف وربما اختلفوا في أمر الخروج والقتال، ولكن الله نجاكم بإراءتهم قليلاً عن الفشل والتنازع(٣). ووجه الدلالة في ذلك أنَّ الله سبحانه قد أرى كلا من الطرفين الطرف الآخر قليلاً في عينه ليغري بعضهم ببعض ولما بدأت المعركة والتحم الطرفان بقي المؤمنون يرون أعداد المشركين قليلة فكان ذلك

(١) الخدع العسكرية للمسلمين في صدر الإسلام : جمال أحمد سليمان ابو ريدة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة : ١٦.

(٢) سورة الانفال : الآية ٤٣.

(٣) يُنظر : الميزان: الطباطبائي : ٩/ ٩٣.

حافزاً لهم على القتال بينما صار المشركون يرون أعداد المسلمين كثيرة، فدبّ الرعب في قلوبهم وفشلوا وانهزموا، ، فدلَّ ذلك على جواز خداع العدو ومشروعيته[١].

ب- قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[٢]، وفي الآيتين إشارة إلى حرمة الفرار من الزحف وأنَّ الفار من المعركة جزاؤه جنهم وبئس المصير؛ إلّا أنَّها استثنت صورتين من مسألة الفرار، ظاهرهما فرار، إلّا أنَّهما في الحقيقة جهاد وقتال، إذ يقوم المقاتلون بتكتيك قتالي إزاء الأعداء، فيفرون من أمامهم ليستدرجوهم، ثم يغافلوهم في توجيه ضربة قوية[٣]، وهذا من فن الخداع في الحرب، قال الشوكاني: "التحرف: الزوال عن جهة الاستواء، والمراد به هنا التحرف من جانب إلى جانب في المعركة طلباً لمكائد الحرب وخدعاً للعدو، وكمن يوهم أنه منهزم ليتبعه العدو فيكر عليه ويتمكن منه ، ونحو ذلك من مكائد الحرب فإن الحرب خدعة"[٤].

ج- قال تعالى : ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ﴾[٥]، "ومعنى الآية ظاهر وهذه حيلة احتالها يوسف (عليه السلام) ليأخذ بها أخاه إليه"[٦]، أي أنَّ يوسف (عليه السلام) بعد أن صرف الطعام لهم كما وعدهم احتال عليهم وخدعهم ليبقي أخاه عنده، وفي هذا دلالة على مشروعية الحيل في الجملة، ويدخل فيها حيل الحرب دخولاً أولياً[٧].

---

(١) يُنظر: تكتيك العمليات العسكرية في ضوء السنة النبوية: أبو عجينة :٢٤٢.

(٢) سورة الانفال: الآيتان ١٥- ١٦.

(٣) يُنظر: الأمثل : مكارم الشيرازي : ٥/ ٣٨١.

(٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، عالم الكتب، بيروت – لبنان: ٢/ ٢٩٤.

(٥) سورة يوسف : الآية ٧٠.

(٦) الميزان : الطباطبائي: ١١/ ٢٢٢.

(٧) يُنظر: تكتيك العمليات العسكرية في ضوء السُنَّة النبوية: أبو عجينة :٢٤٣.

- **مشروعية الخدعة في السُنَّة:**

اتفق فقهاء المذاهب كافة على جواز المخادعة في الحرب، وقد نقل الإجماع ـ من طرق الإمامية ـ الشيخ حسن النجفي إذ قال: "تجوز الخدعة في الحرب كما صرح به الفاضل في جملة من كتبه، بل في التذكرة والمنتهى دعوى الإجماع، قال: تجوز المخادعة في الحرب وأن يخدع المبارز قرينه ليتوصل بذلك إلى قتله إجماعا"(١).

أمَّا من طرق العامة، فقد نقل النووي في شرحه على صحيح مسلم إجماع فقهائهم على جواز الخدعة في الحرب، إذ قال: "واتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب وكيف أمكن الخداع إلّا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحل"(٢).

واستندوا في جواز الخدعة في الحرب على الحديث المروي عن الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم): "الحرب خدعة"، الوارد بطرق متعددة سواء عند الخاصة والعامة، الذي أجمعوا على صحته، أمَّا عند الإمامية فعن محمد بن الحسن الصفَّار عن الحسن بن موسى الخشَّاب عن غياث بن كلوب عن إسحاق بن عمار عن جعفر عن أبيه (عليهما السلام) أن علياً (عليه السلام) كان يقول: "لأن تخطفني الطير أحبُّ إلي من أن أقول على رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ما لم يقل، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: في يوم الخندق. الحرب خدعة يقول: تكلموا بما أردتم"(٣).

وكذلك عن عبد الله بن جعفر عن السندي بن محمد، عن أبي البختري عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي (عليهم السلام) أنه قال: "الحرب خدعة إذا حدثتكم عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فوالله لأن أخر من السماء أو تخطفني الطير أحبُّ إلي من أن أكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإذا حدثتكم عني فإنما الحرب خدعة"(٤).

وأيضا ورد عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، قال: " قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يصلح الكذب إلّا في

---

(١) جواهر الكلام: ٢١/ ٧٩.

(٢) شرح صحيح مسلم : النووي، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، ١٤٠٧هـ: ٤٥/١٢.

(٣) تهذيب الاحكام : الطوسي :٦/ ١٦٣.

(٤) وسائل الشيعة : الحر العاملي : ١٥/ ١٣٤.

ثلاثة مواطن: كذب الرجل لامرأته، وكذب الرجل يمشي بين الرجلين ليصلح بينهما، وكذب الإمام عدوه فإنما الحرب خدعة "[1].

أمَّا من طرق العامة فقد ذكر البخاري في باب (الحرب خدعة) ما نصَّه: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: "هلك كسرى ثم لا يكون كسرى بعده وقيصر ليهلكن ثم لا يكون قيصر بعده ولتقسمن كنوزهما في سبيل الله وسمى الحرب خدعة"[2].

وقال مسلم أيضا حدثنا علي بن حجر السعدي وعمرو الناقد وزهير بن حرب (واللفظ لعلى وزهير) قال: على أخبرنا وقال الآخران حدثنا سفيان قال سمع عمرو جابراً يقول: "قال رسول الله (ﷺ) الحرب خدعة وحدثنا محمد بن عبد الرحمن بن سهم أخبرنا عبد الله بن المبارك أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله(ﷺ) الحرب خدعة"[3].

رابعاً: معنى حديث (الحرب خدعة):

ذكر العلامة المجلسي معانٍ عدة لهذا الحديث، منها المذكور في النهاية "يروى بفتح الخاء وضمها مع سكون الدال وبضمها مع فتح الدال، فالأول معناه أنَّ الحرب ينقضي أمرها بخدعة واحدة من الخداع أي أنَّ المقاتل إذا خدع مرة واحدة لم تكن لها إقالة وهو أفصح الروايات وأصحها، ومعنى الثاني هو الاسم من الخداع، ومعنى الثالث أنَّ الحرب تخدع الرجال وتمنيهم ولا تفي لهم كما يقال: فلان رجل لعبة وضحكة للذي يكثر اللعب والضحك والأظهر من الروايات الواردة هي فيها المعنى الثاني، ويدل على جواز الخدعة فيها"[4].

---

(١) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: ميرزا حسين النوري الطبرسي، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٨هـ : ٩٤/٩.

(٢) صحيح البخاري: ٤ / ٢٤.

(٣) صحيح مسلم : ٥/ ١٤٣.

(٤) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: ١٦/١٣-١٧.

وقال الشوكاني: "معنى الحرب خدعة أي الحرب الجيِّدة لصاحبها الكاملة في مقصودها إنَّما هي المخادعة لا المواجهة، وذلك لخطر المواجهة، ولحصول الظفر مع المخادعة بغير خطر"(١).

خامساً: نماذج من خدع النبي والإمام علي (عليهما السلام) في الحروب:

وردت في سيرة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام علي (عليه السلام) نماذج عدة من خدعهم للعدو فقد ورد في أخبار غزوة الخندق أنَّ نعيم بن مسعود بن عامر أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإنَّ الحرب خدعة ..."(٢).

وقد كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اذا أراد أن يغزو قوماً أظهر أنَّه يريد خلافهم فيتّجه باتجاهات مغايرة وبعد ذلك يعدل عن الطريق ليفاجئ القوم الذين يريد غزوهم، فقد ذكر الواقدي في غزوة بني لحيان قال: حدثني معمر عن الزهري عن ابن كعب بن مالك وحدثني يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم وغيرهما قد حدثني وقد زاد أحدهما على صاحبه قالوا: "وجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على عاصم بن ثابت وأصحابه وجداً شديداً فخرج في مائتي رجل ومعهم عشرون فرساً في أصحابه فنزل بمضرب القبة من ناحية الجرف فعسكر في أول نهاره وهو يظهر أنَّه يريد الشام ثم راح مبرداً فمر على غرابات ثم على بين حتى خرج على صخيرات الثمام فلقي الطريق هناك. ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غران حيث كان مصابهم فترحم عليهم وقال: هنيئاً لكم الشهادة! فسمعت به لحيان فهربوا في رؤوس الجبال فلم يقدروا على أحد"(٣).

وقد وردت أيضاً عن الإمام علي (عليه السلام) بعض الخدع التي قام بها في حروبه التي خاضها، فقد روى الشيخ الكليني عن علي بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة قال: حدثني شيخ من ولد عدي بن حاتم، عن أبيه ، عن جده عدي وكان مع

---

(١) نيل الاوطار : الشوكاني : ٨/ ٥٨.

(٢) تاريخ الطبري : الطبري : ٢/ ٢٤٢- ٢٤٣.

(٣) المغازي : ١ /٥٣٥.

أمير المؤمنين (عليه السلام) في حروبه أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال في يوم التقى هو ومعاوية بصفين ورفع بها صوته ليسمع أصحابه: "والله لاقتلن معاوية وأصحابه ثم يقول في آخر قوله: إن شاء الله – يخفض بها صوته – وكنت قريباً منه فقلت: يا أمير المؤمنين إنك حلفت على ما فعلت ثم استثنيت فما أردت بذلك؟ فقال لي: إنَّ الحرب خدعة وأنا عند المؤمنين غير كذوب فأردت أن أحرض أصحابي عليهم كيلا يفشلوا وكي يطمعوا فيهم فأفقههم ينتفع بها بعد اليوم إن شاء الله واعلم أنَّ الله جل ثناؤه قال لموسى (عليه السلام) حيث أرسله إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[1] وقد علم أنَّه لا يتذكر ولا يخشى ولكن ليكون ذلك أحرص لموسى عليه السلام على الذهاب"[2].

وقال السرخسي في كلامه عن علي بن أبي طالب (عليه السلام): "وكان من الخدعة أن يقول لأصحابه قولاً ليرى من سمعه أنَّ فيه ظفراً أو أنَّ فيه أمراً يقوى أصحابه، وليس الأمر كذلك حقيقةً، ولكن يتكلم على وجه لا يكون كاذباً فيه ظاهراً. على ما روى أن عليا رضي الله عنه في حروبه كان ينظر إلى الأرض ثم يرفع رأسه إلى السماء يقول: ما كذبت ولا كذبت. يرى من حضره أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أخبره بما ابتلى به، وأمره في ذلك بما أمر به أصحابه"[3].

---

(١) سورة طه: الآية ٤٤.

(٢) الكافي : ٧ /٤٦٠.

(٣) شرح السير الكبير : ١/١٢٠.

المطلب الثاني

أسلوب الحرب النفسية

الحرب النفسية هي أحد الأساليب المهمة التي تتبعها الجيوش العسكرية؛ للتغلّب على خصومها، سواء في الزمان السابق أو الحالي، وسأعرض بإيجاز إلى أهمّ الأمور التي بُحثت في الحرب النفسية وهي كالآتي:

أولا ـ تعريف الحرب النفسية :

عُرّفت الحرب النفسية بتعاريف كثيرة منها :

١- "وضع الأمور والشؤون السياسية والعسكرية والاقتصادية والعقائدية التي خطط لها موضع التنفيذ الفعلي بهدف التأثير على الآراء والمواقف ووجهات النظر والسلوكيات في هدف معين"(١).

٢- هي عبارة عن "قيام بلد أو جماعة من الدول بدعاية أو وسائل إعلام أخرى ضد مناطق معادية أو محايدة أو صديقة بهدف التأثير على وجهات نظرها وآرائها ومشاعرها ومواقفها على نحو يدعم أهداف الدولة المهاجمة وحلفائها"(٢).

٣- أو هي "استخدام مخطط من جانب الدولة في وقت الحرب أو في وقت الطوارئ لإجراءات دعائية بقصد التأثير على آراء وعواطف ومواقف وسلوك جماعات أجنبية عدائية، أو محايدة، أو صديقة بطريقة تعين على تحقيق سياسة الدولة وأهدافها"(٣).

٤- أو "الاستخدام المدبر لفعاليات معينة معدة للتأثير على آراء وعواطف وسلوك مجموعة من البشر وقت الحرب أو الطوارئ، ويستهدف منها إضعاف معنوياتهم، وتغيير منهج تفكيرهم بشكل يحقق مصالح العدو في القضايا التي يجري الصراع من أجلها. وهي تشمل بمعناها الواسع استخدام علم النفس لخدمة الحرب بأساليب

---

(١) الدعاية والحرب النفسية: د. نضال فلاح الضلاعين وآخرون ،دار الاعصار، ط١، عمان- الأردن ، ١٤٣٦هـ:١٢٦.

(٢) المصدر نفسه: ١٢٦.

(٣) الحرب النفسية منذ بداية الدعوة الإسلامية حتى نهاية العصر الاموي: د. حسن عدّاي، دار النوادر، ط١، بيروت- لبنان ،١٤٣١هـ:١٦.

الدعاية، والاشاعة، والمقاطعة الاقتصادية، والمناورة السياسية، مع ما يكملها من الاعمال العسكرية الرادعة"[١].

ومن خلال ما عرض من التعريفات نجد أنَّ الحرب النفسية هي مجموعة من الأساليب المادية أو المعنوية التي تهدف إلى تحطيم الروح المعنوية والحالة النفسية عند الطرف الآخر مما يسبب الانتصار عليه بأقل التكاليف، بل ربما يعلن الطرف المقابل هزيمته واستسلامه من دون خوض المعركة أصلا. ويطلق على هذه الحرب عدة أسماء منها: "حرب تحطيم المعنويات"، و "حرب الاعصاب"، و "حرب العقول"، و "حرب الأفكار". وكل هذه الأسماء تطلق على أخطر الحروب التي عرفها الإنسان على مدى تاريخه على الأرض وهي "الحرب النفسية"، التي يطلق عليها أيضاً "فن تحطيم العدو دون حرب وإنزال الهزيمة به دون قتال"[٢].

ثانياً ـ أهمية الحرب النفسية:

تتضح لنا أهمية الحرب النفسية من الآية الكريمة : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[٣]، " أمر الله سبحانه المسلمين بإعداد القوة واستكمال العدة للأعداء، والمراد بالقوة كل ما يتقوى به على العدو رمحاً كان، أو صاروخاً، أو أي شيء"[٤]، فالتوجيه الإلهي في إعداد القوة هو توجيه للأخذ بالأسباب المادية والأسباب المعنوية معاً، أي: كل ما يمكن أن يصدق عليه مصطلح (القوة) كالسياسة، والاقتصاد، والتكنلوجيا، والتطور الصناعي، وكل ما يمكن أن يكون سبباً لهزيمة العدو نفسياً أو مادياً، والحرب النفسية هي جانب القوة المعنوية إذ تتمثل القوة المادية بالرجال والسلاح وبالنواحي الاقتصادية والجغرافية والسكانية، وتتمثل القوة المعنوية بالإرادة سواء كانت الإرادة الوطنية أو الإرادة القتالية، فالإرادة التي تبني وليست المادة، وعليه فإنَّ الحرب النفسية هي استخدام القوة المعنوية أو الاستخدام المعنوي للقوة المادية.

---

(١) الحرب النفسية منذ بداية الدعوة الإسلامية حتى نهاية العصر الاموي: د. حسن عدّاي: ١٧.

(٢) الحرب النفسية والطابور الخامس : رمزي المنياوي، دار الكتاب العربي، ط١، القاهرة ،٢٠١٠م : ٥.

(٣) سورة الانفال : الآية ٦٠.

(٤) التفسير الكاشف : محمد جواد مغنية ، ج٣، ص ٤٩٩.

في الوقت الذي تعتبر به الدول الحديثة أنَّ القوة المعنوية تساوي (٥٠%) من مجموع قوة الدولة فإنَّ نابليون كان يعتبر أنَّ القوة المعنوية تساوي ثلاثة أرباع مجموع القوة أي (٧٥%) من مجموع القوة المستخدمة في المجهود الحربي، كما أنَّها حرب لا هوادة فيها فهي مشتعلة على الدوام؛ إذ لا تقتصر على وقت الحرب فقط، بل تستمر حتى في حال السلم أيضاً، فالحروب بالمدافع وحرب بلا مدافع ويستخدم كل من النوعين لتحقيق وتنفيذ خطة واستراتيجية معينة، والحرب ذات المدافع هي الحرب التقليدية هي حرب الحديد والنار، والحرب بلا مدافع تشمل الحرب السياسية، والحرب الاقتصادية وحرب الأمن السيبراني(١) والحرب النفسية(٢).

وتعد سلاحاً من أهمِّ أسلحة الحرب الرئيسية التي لا غنى عنها، أي أنَّ الحرب النفسية والشائعات من أعظم الأساليب الإعلامية خطرا وأقواها تأثيراً ولذا عُدَّت الحرب النفسية من أسلحة الحرب الرئيسية، حتى ليقال عنها: " أنَّها السلاح الرابع إلى جانب الجيش والبحرية والطيران"(٣).

ثالثا ـ القرآن الكريم والحرب النفسية

نبّه القرآن الكريم على خطورة تلك الحرب وأهميتها ومدى تأثيرها على النفوس وقد أنزل الله تعالى في كتابه الكريم على رسوله محمد (ﷺ) وسجل في آياته وسوره بياناً لأقوى مواجهة بين المسلمين من طرف، وبين أعدائهم من المنافقين ومن يقف وراءهم من المشركين واليهود من طرف آخر، وصلت إلى ما نسميه اليوم بالحرب النفسية، استخدم كل طرف فيها أقوى وأفتك الوسائل، فمن سلاح الشائعات والأرجاف التي استخدمها المنافقون، إلى أسلحة التشكيك والكيد والتضليل، وغيرها كثير، وقد كانت الحرب النفسية قائمة على قدم وساق سواء في الحروب العسكرية التي كان يخوضها النبي (ﷺ) أو

---

(١) الامن السيبراني هو: "امن الشبكات، والأنظمة المعلوماتية، والبيانات، والمعلومات، والأجهزة المتصلة بالأنترنت"، المصدر: السيبرانية هاجس العصر: د. منى الأشقر الجبوري، المركز العربي للبحوث القانونية والقضائية: ٢٥.

(٢) يُنظر: المرجع في الحرب النفسية: العقيد مصطفى الدباغ، دار الفارس ، ط١، عمان– الأردن ، ١٩٩٨م: ٤٧. الحرب النفسية والطابور الخامس: المنياوي: ٥.

(٣) أبحاث ملتقى العسكرية الإسلامية : المحور السادس، الحرب النفسية في ضوء القران الكريم : النقيب فهد بن عايد العايد : ١٤.

حتى في حال السلم مع المنافقين واليهود، فواجههم القرآن بالفضح والتعرية، وغيرها من أساليب الحرب النفسية، كما صورته سورة التوبة، وغيرها من سور القرآن الكريم، فتعلم المسلمون كيفية التعامل مع أعدائهم(١).

وقد استعرض القرآن الكريم صوراً كثيرة من الحرب النفسية والإعلامية التي خاضها الكفار والمنافقون ضد الدعوة الإسلامية مذ أول انطلاقها حتى آخر يوم من حياة الرسول الأكرم محمد (ﷺ)، وقد تعددت طرق وأساليب هذه الحرب، فكان منها:

١-أسلوب السخرية والاستهزاء :

وقد سجل القرآن آيات عديدة تتحدث عن أسلوب السخرية والاستهزاء، الذي كان يجابه به الأنبياء والمرسلين من أقوامهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾(٢). وقوله عزَّ وجلّ: ﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾(٣). وقوله جلَّ وعلا: ﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾(٤).

يقول العلامة الطباطبائي: "إنَّ هذا الاستهزاء دأب وسنة جارية للمجرمين وليسوا بمؤمنين ولو جاءتهم آية آية وفي الثانية أنَّ هناك آيات سماوية وأرضية كافية لمن وفق للإيمان"(٥) .

ومن مجموع الآيات القرآنية يتضح جلياً، أنَّ أعداء الرسالات الإلهية حيث كانوا يفتقرون إلى الدليل والبرهان، ومجابهة الحُجَّة بالحُجَّة، فكانوا يعمدون إلى أسلوب الاستهزاء والسخرية لمواجهة الأنبياء، وأنَّ ذلك الاستهزاء وتلك السخرية لاعتبارات عدة: فتارة، يريدون بالسخرية إسقاط شخصية النبي (ﷺ) كي لا يؤثر في أوساط الفئة الواعية، وأخرى يحاولون بالاستهزاء تغطية ضعفهم وعجزهم أمام المنطق القوي والحجج الدامغة لرسل الله عزَّ وجلّ، وتارة يأخذهم الاستغراب لدعوات الأنبياء الثورية ضد طريقة حياتهم الموبوءة وتقاليدهم البالية، ولما كانوا مكيفين لها ومسترخين بين أجوائها، فيدفعهم

---

(١) أبحاث ملتقى العسكرية الإسلامية في ضوء القران: النقيب فهد بن عايد العايد: ٣ .

(٢) سورة الانعام : الآية ١٠.

(٣) سورة الحجر : الآية ١١.

(٤) سورة الزخرف : الآية ٧.

(٥) الميزان : الطباطبائي: ١٣٤/١٢.

جهلهم وتعصبهم الأعمى لما هو سائد؛ لأن يستهزؤوا، وأخرى محاولة تخدير وجدانهم السارح في المتاهات كي لا يصحوا على حين غرة فيعتنق الحقَّ وينهض بأعباء مسؤوليته ، وقد يكون الاستهزاء بسبب خطل مقياسهم ومعيارهم للقدوة والقائد فما تعارفوا عليه في مواصفات الزعيم أو القائد، من كونه شيخاً لقبيلة أو أن يكون من الطبقة الثرية المرفهة، أي : إنَّ قيمة الإنسان عندهم وما يستحقه من عطاءات وامتيازات تُعطى له نظرا إلى: لباسه الأنيق، مركبه الفاره، بيته الفخم، وحياته المحفوفة بالزخارف، وإذا نهض بدعوة الحقِّ إنسان فقير لا يمتلك من حطام الدنيا شيئاً، فسيكون موضع سخريتهم! – وأخيراً، فقبولهم لدعوة الأنبياء (عليهم السلام)– حسب تصورهم – يستلزم تقويضاً لكل شهواتهم الدنيوية، وتحميلهم وظائف جديدة لا يطيقونها، فليجأون للاستهزاء لتبرير إعراضهم وإنكارهم وإراحة ضمائرهم، ويعدّ أسلوب الحرب النفسية المتمثل في الاستهزاء والسخرية من أخطر الأسلحة التي أجمعت الأمم على استخدامها في مواجهة الرسالات الإلهية [1]. والآيات والروايات التي تحدثت عن هذا الاسلوب كثيرةً جداً، الا أنَّنا أعرضنا عن ذكرها واكتفينا بما ذكرناه؛ طلبا للإيجاز وحتى لا يخرج البحث عن مساره .

٢–حرب الاتهامات:

تطرّق القرآن الكريم في مواضع كثيرة لبيان أساليب متنوعة من الحرب النفسية التي كانت تستخدم ضد الأنبياء ، بعد العجز عن مقابلتهم بالحجج والبراهين ومن تلك الأساليب هو أسلوب الاتهامات (عليهم السلام)، ولعلَّ أبرز أنواع التهم كانوا يحاولون لصقها بالأنبياء هي ثلاثة :

أ– **الجنون** : تهمة الجنون، فقد اتهم النبي نوح (عليه السلام) بذلك، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾[2]، وكذلك اتهم موسى (عليه السلام) بالجنون قال تعالى حكاية عن لسان فرعون: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾[3]، وكذلك اتهم

(١) يُنظر : الأمثل : مكارم الشيرازي: ٣٣/٨.

(٢) سورة القمر: الآية ٩.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٢٧.

رسول الله(ﷺ) بذلك، قال تعالى:﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾(١).

بل صرَّح القرآن الكريم بأنَّه ما من نبي أُرسل إلى قومه إلّا اتهموه بالجنون، قال عزَّ من قائل: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾(٢)، وفي تفسير هذه الآية المباركة، قال الشيخ مكارم الشيرازي: "فالآيات محل البحث ومن أجل تسلية النبي والمؤمنين تقول: كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلّا قالوا ساحر أو مجنون. كانوا يتهمون الرسل السابقين بأنَّهم سحرة لأنَّهم لم يجدوا جواباً منطقياً لمعاجزهم الباهرة، وكانوا يخاطبون رسولهم بأنه (مَجْنُونٌ)؛ لأنَّه لم يكن على غرارهم ومتلوناً بلون المحيط ولم يستسلم للأمور المادية. فبناءً على ذلك لا تحزن ولا تكترث وواصل المسير بالصبر والاستقامة؛ لأنَّ مثل هذه الكلمات قيلت في أمثالك يا رسول الله من رجال الحق وأهله. ثم يضيف القرآن هل أنَّ هذه الأقوام الكافرة تواصت فيما بينها على توجيه هذه التهمة إلى جميع الأنبياء: (أَتَوَاصَوْا بِهِ)؟! وكان عملهم هذا إلى درجة من الانسجام، وكأنهم اجتمعوا في مجلس – في ما وراء التاريخ – وتشاوروا وتواصوا على أن يتهموا الأنبياء عامة بالسحر والجنون ليخففوا من وطأة نفوذهم في نفوس الناس! ولعلَّ كلا منهم كان يريد أن يمضي من هذه الدنيا ويوصي أبناءه وأحبابه بذلك! ويعقِّب القرآن على ذلك قائلاً: (بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ). وهذه هي إفرازات روح الطغيان إذ يتوسلون بكل كذب واتهام لإخراج أهل الحق من الساحة ، وحيث أن الأنبياء يأتون الناس بالمعجزات فإن خير ما يلصقونه بهم من التهم أن يسموهم بالسحر أو الجنون، فبناءً على ذلك يكون عامل (وحدة عملهم) هذا هي الروحية الخبيثة والطاغية الواحدة لهم"(٣).

ب- **السحر** : وكذلك الاتهام بالسحر فكل الأنبياء اتهموا بذلك، وهذا صريح قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ (٤).

---

(١) سورة القلم : الآية ٥١.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٢، ٥٣.

(٣) الأمثل: مكارم الشيرازي: ١٧/ ١٢٨.

(٤) سورة الذاريات: الآية ٥٢، ٥٣.

فقد ذكر في قصة تحيّر الوليد بن المغيرة عندما سمع الرسول الأعظم (ﷺ) يقرأ سورة غافر ثم انطلاقه إلى مجلس بني مخزوم، فقال: "والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إنَّ له لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّه ليعلو وما يعلى عليه، فقالت قريش: صبأ الوليد ولو صبأ لتصبأت قريش كلها. فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه، ثم دخل عليه محزوناً فقال: مالك يا ابن الأخ؟ فقال: إنك قد صبوت لتصيب من طعام محمد وأصحابه وهذه قريش تجمع لك مالاً ليكون ذلك عوضاً مما تقدر أن تأخذ من أصحاب محمد، فقال: والله ما يشبعون فكيف أقدر أن آخذ منهم مالاً، ولكني تفكرت في أمره كثيرا فلم أجد شيئاً يليق به إلّا أنه ساحر"(١).

ج- **الشعر** : وكذلك اتهم الرسول الأكرم (ﷺ) بالشعر وقد سجَّل القرآن في آياته الكريمة ذلك الاتهام، قال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾(٢)، وقوله جلَّ وعلا: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾(٣)، وقوله عز وجلَّ: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾(٤)، وقوله عزَّ من قائل أيضاً: ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾(٥). وقوله جلَّ ثناؤه: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾(٦).

وقال العلامة الطباطبائي: "فقوله: (وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ) نفى أن يكون علمه الشعر ولازمه أن يكون، بحيث لا يحسن قول الشعر لا أن يحسنه ويمتنع من قوله لنهي من الله متوجه إليه، ولا أنَّ النازل من القرآن ليس بشعر وإن أمكنه (ﷺ) أن يقوله وبه يظهر أنَّ قوله: (وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ) في مقام الامتنان عليه بأنَّه نزَّهه عن أن يقول شعراً فالجملة في مقام دفع الدخل والمحصل أنَّ عدم تعليمنا إياه الشعر ليس يوجب نقصاً فيه ولا أنَّه تعجيز له، بل لرفع درجته وتنزيه ساحته عما يتعاوره العارف بصناعة الشعر فيقع في

---

(١) تفسير الرازي : فخر الدين الرازي: ٢٠١/٣٠.

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٥.

(٣) سورة الطور : الآية ٣٠.

(٤) سورة الحاقة : الآية ٤١.

(٥) سورة الصافات : الآية ٣٦.

(٦) سورة يس : الآية ٦٩.

معرض تزيين المعاني بالتخيلات الشعرية الكاذبة التي كلما أمعن فيها كان الكلام أوقع في النفس، وتنظيم الكلام بأوزان موسيقية ليكون أوقع في السمع، فلا ينبغي له (ﷺ) أن يقول الشعر وهو رسول من الله وآية رسالته ومتن دعوته القرآن المعجز في بيانه الذي هو ذكر وقرآن مبين"[١].

٣-حرب الشائعات والافتراءات:

الشائعات والافتراءات من أساليب الحرب النفسية التي استخدمتها قريش في مكة، والمنافقون في المدينة ضد الرسول الأكرم (ﷺ)، وقد تناول القرآن الكريم في آيات كثيرة، جملة من تلك الافتراءات والاشاعات، وردَّ عليها، ومن تلك الآيات:

قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[٢]، وقوله عزَّ وجلّ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾[٣]، وقوله جلَّ وعلا: ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾[٤]، وقوله عزَّ من قائل: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾[٥]، وقوله تعالى أيضاً: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[٦]، قال العلامة الطباطبائي: "أم منقطعة، والمعنى: بل يقولون افترى القرآن على الله وليس من عنده فرده بقوله: (بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ) الخ. وقوله: (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ) قيل: يعنى قريشاً فإنهم لم يأتهم نبي قبله (ﷺ) بخلاف غيرهم من قبائل العرب فإنهم أتاهم بعض الأنبياء كخالد بن سنان العبسي وحنظلة على ما في الروايات"[٧].

---

(١) الميزان: الطباطبائي: ١٧/ ١٠٨.

(٢) سورة يونس : الآية ٣٨.

(٣) سورة هود : الآية ٣٥.

(٤) سورة الأنبياء : الآية ٥.

(٥) سورة الفرقان : الآية ٤.

(٦) سورة السجدة : الآية ٣.

(٧) الميزان : الطباطبائي: ١٦/٢٤٤.

وهكذا نلحظ في آيات كثيرة ـ ذكرنا بعضا منها ـ أنَّ هناك جملة من الافتراءات التي حاول الكفار والمنافقون إشاعاتها بين الناس؛ كي لا يؤمنوا بالرسالة الإسلامية، من خلال ادّعائهم الباطل بل أنَّ القرآن هو مفترى من الرسول الأكرم (ﷺ) وأنَّه ليس من الله تعالى، كما أشاعوا بأن القرآن كان من تعليم بشر لرسول الله (ﷺ)، وقد ردَّ القرآن على تلك الفرية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[1]، يقول الشيخ مكارم الشيرازي: "فالقرآن أجابهم بقوة وأبطل كل ما كانوا يفترون، بقوله: لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين، فإن كان مقصودهم في تهمتهم وافترائهم أنَّ معلم النبي (ﷺ) لألفاظ القرآن هو شخص أجنبي لا يفقه من العربية وبلاغتها شيئاً فهذا في منتهى السفه، إذ كيف يمكن لفاقد ملكة البيان العربي أن يعلم هذه البلاغة والفصاحة التي عجز أمامها أصحاب اللغة أنفسهم، حتى أنَّ القرآن تحداهم بإتيان سورة من مثله فما استطاعوا، ناهيك عن عدد الآيات؟! وإن كانوا يقصدون أنَّ المحتوى القرآني هو من معلم أجنبي وبنظرة تأملية فاحصة نجد في محتوى القرآن أنَّه يمتلك المنطق الفلسفي العميق في إثبات عقائده، وكذا الحال بالنسبة لتعاليمه الأخلاقية في تربية روح الإنسان وقوانينه الاجتماعية المتكاملة، وأنَّ كل ما في القرآن هو فرق طاقة المستوى الفكري البشري حقاً، ويبدو لنا أن مطلقي الافتراءات المذكورة هم أنفسهم لا يعتقدون بما يقولون، ولكنها شيطنة ووسوسة يدخلونها في نفوس البسطاء من الناس ليس إلّا، والحقيقة أنَّ المشركين لم يجدوا من بينهم من ينسبون إليه القرآن، ولهذا حاولوا اختلاق شخص مجهول لا يعرف الناس عنه شيئاً ونسبوا إليه القرآن، عسى بفعلهم هذا أن يتمكنوا من استغفال أكبر قدر ممكن من البسطاء"[2].

كما شهدت المرحلة المدنية حرباً نفسية شديدة شعواء، كان أبطالها المنافقين، وقد فضح القرآن الكريم بعض أساليبهم وممارساتهم، وهددهم بالحرب، قال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ

(١) سورة النحل الآية ١٠٣.

(٢) الأمثل: مكارم الشيرازي: ٨/ ٣٣٢-٣٣٣.

ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1].

يقول السيد الطباطبائي في تفسير الآية: "الانتهاء عن الشيء الامتناع والكف عنه، والارجاف إشاعة الباطل للاغتمام به والقاء الاضطراب بسببه، والإغراء بالفعل التحريض عليه، والمعنى: أقسم لئن لم يكف المنافقون والذين في قلوبهم مرض عن الافساد والذين يشيعون الأخبار الكاذبة في المدينة لألقاء الاضطراب بين المسلمين لنحرضك عليهم ثم يجاورونك في المدينة بسبب نفيهم عنها إلّا زماناً قليلاً وهو ما بين صدور الأمر وفعلية اجرائه"[2].

وقال الشيخ مغنية: "والمرجفون هم الذين يلفّقون الأكاذيب، وينشرون الأباطيل، ويعرفون اليوم بالذين يثيرون الحرب النفسية، والإغراء بالشيء التحريض عليه، والمراد هنا بنغرينك بهم: نأمرك بقتلهم، وثقفوا: وجدوا، وخلوا: مضوا" [3].

ولا شكَّ أنَّ المنافقين لم يرفعوا سيفاً بوجه الإسلام، وإنَّما كانت حروبهم نفسية، يحاولون من خلالها قدر المستطاع أن يردّوا المؤمنين عن دينهم ويثيروا في نفوسهم الشكَّ والريبة وقد تحدَّثت آيات قرآنية كثيرة عن أهمية الحرب مع المنافقين، وخطورتها، وضررها على الإسلام والمسلمين، فحرب النفاق النفسية، قد أوْلتها الآيات القرآنية أهميةً بالغةً؛ وذلك بسبب النتائج الخطيرة التي تترتب على مثل هكذا حروب، وقد كان المنافقون يهدفون من حروبهم النفسية على المسلمين ما يأتي[4]:

أ- تشكيك المؤمنين بدينهم: عن طريق التشكيك برسالة النبي الأكرم (ﷺ)، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾[5].

ب- بثّ اليأس من النصر في نفوس الجيش الإسلامي، وزعزعة الثقة في قوته من كافة الجوانب.

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٦٠.

(٢) الميزان: الطباطبائي: ١٦/٣٤٠

(٣) التفسير الكاشف: ٦/٢٣٩.

(٤) يُنظر: الحرب النفسية في ضوء القرآن الكريم: فهد العايد : ٣٣ وما بعدها .

(٥) سورة الأحزاب : الآية ١٢.

ج- بث الفرقة والشقاق بين صفوف المجتمع الإسلامي؛ لإضعافه وإحداث ثغرات في جبهته الداخلية، قال تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾(١).

د- العمل على إحداث فجوة عميقة وشرخ كبير في العلاقة الحسنة فيما بين القيادة الإسلامية وبين الجماهير، والعمل على زعزعة الثقة المتبادلة بمحاولة إشعار القيادة بعدم وجود الولاء الكامل لها عند الجماهير، وإنَّ من الجماهير والاتباع من يعمل للقضاء على هذه القيادة. وكذلك السعي لإقناع لجماهير بضعف تمثيل هذه القيادة وبعدم شرعيتها، وذلك بعدم تمثيلها للجماهير التمثيل الصحيح الذي يراعي مصالحها ويلبي احتياجاتها. يدلُّ على ما قام به المنافقون من محاولة اغتيال فاشلة للقيادة العليا ـ المتمثلة بشخص النبي (ﷺ) ـ في غزوة تبوك، قال تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾(٢).

هـ- العمل على إيقاف نشر الدعوة والزحف الإسلامي، بمحاولة القضاء على ذروة سنام الإسلام وهو الجهاد أو تحجيمه، وذلك من خلال التواصي بعدم الخروج للجهاد، وترك الاعداد له، قال تعالى: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾(٣) فهؤلاء المنافقون لم يكتفوا بتخلفهم وإظهار فرحهم بهذا التخلف وكذا كراهيتهم للجهاد، بل دعوا غيرهم إلى عدم الخروج، بحجَّة عدم توفر الظرف المناسب للغزو.

كما كان لليهود والنصارى من أهل الكتاب نصيب من الحرب النفسية ضد الإسلام، كمحاولتهم لبس الحق بالباطل لإضلال المسلمين، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ

(١) سورة التوبة : الآية ٤٧.

(٢) سورة التوبة : الآية ٧٤.

(٣) سورة التوبة: الآية ٨١.

تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1]. يقول السيد الطباطبائي: "اللبس بفتح اللام إلقاء الشبهة والتمويه أي تظهرون الحق في صورة الباطل. وفي قوله وأنتم تعلمون دلالة أو تلويح على أنَّ المراد باللبس والكتمان ما هو في المعارف الدينية غير ما يشاهد من الآيات كالآيات التي حرفوها أو كتموها أو فسروها بغير ما يراد منها"[2].

ومن ممارساتهم في حربهم النفسية ـ لزلزلة إيمان المؤمنين برسول الله (ﷺ) ـ الإيمان أوّل النهار والكفر في آخره، قال تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[3]، إذ: "تكشف هذه الآية عن خطة هدَّامة أخرى من خطط اليهود، وتقول إنَّ هؤلاء لكي يزلزلوا بنية الإيمان الإسلامي توسلوا بكل وسيلة ممكنة. من ذلك أنَّ طائفة من أهل الكتاب اتفقوا أن يؤمنوا بما أُنزل على المسلمين في أوّل النهار ويرتدوا عنه في آخره آمنوا بالذي أُنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره. لعلَّ المقصود من أول النهار وآخره قصر المدة بين إيمانهم وارتدادهم، سواء أكان ذلك في أول النهار حقاً أم في أي وقت آخر. إنَّما قصر هذه المدة يوحي إلى الآخرين أن يظنوا أنَّ هؤلاء كانوا يرون الإسلام شيئاً عظيماً قبل الدخول فيه، ولكنهم بعد أن أسلموا وجدوه شيئا آخر قد خيب آمالهم، فارتدوا عنه. لاشكَّ أنَّ مثل هذه المؤامرة كانت ستؤثر في نفوس ضعفاء الإيمان، خاصة وأنَّ أولئك اليهود كانوا من الأحبار العلماء، وكان الجميع يعرفون عنهم أنَّهم عالمون بالكتب السماوية وبعلائم خاتم الأنبياء. فإيمانهم ثم كفرهم كان قادراً على أن يزلزل إيمان المسلمين الجديد"[4] .

رابعا ـ الحرب النفسية وصورها في المعارك الإسلامية

اعتمد النبي الأكرم (ﷺ) أسلوب الحرب النفسية في حروبه كثيراً، إذ " قاد النبي (ﷺ) بنفسه سبعاً وعشرين أو ثمان وعشرين غزوة ، وكان ما قاتل فيه من المغازي تسع غزوات، بينما فرَّ المشركون في تسع عشرة غزوة، بدون قتال، وكانت سراياه التي

(١) سورة آل عمران : الآية ٧١.

(٢) الميزان: الطباطبائي: ٣/٢٥٦.

(٣) سورة آل عمران : الآية ٧٢.

(٤) الأمثل: مكارم الشيرازي : ٢/٥٥٥.

بعث بها سبعاً وأربعين سرية"[1]، والسيرة النبوية حافلة بالشواهد الكثيرة على استخدام النبي(ﷺ) لهذا الأسلوب من الحرب، لاسيما وأنَّه ينسجم مع منهج الرحمة النبوية، في تجنب إراقة الدماء قدر الإمكان في المعارك.

وقد ركّز الرسول الأعظم (ﷺ) على مسألة تحطيم الروح المعنوية للعدو وهزيمته النفسية من خلال إرهابه وتخويفه، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[2]، أي: "وأعدوا لهؤلاء الذين كفروا بربهم الذين بينكم وبينهم عهد، إذا خفتم خيانتهم وغدرهم أيها المؤمنون بالله ورسوله (مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ)، يقول: ما أطقتم أن تعدوه لهم من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم من السلاح والخيل. (تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)، يقول: تخيفون بإعدادكم ذلك عدو الله وعدوكم من المشركين"[3].

وقد هيّئ النبي (ﷺ) كل ما يمكن أن يدخل الرعب في قلوب الأعداء من الناحية المعنوية، وكان من ذلك ما يلي:

١- الخضاب بالسواد :

الخضاب بالسواد نوع من أنواع الحرب النفسية التي تسهم في رفع الروح المعنوية عند المجاهد من جهة عندما ينظر الى ملامح وجهه وقد بدت أكثر نضارة وميل الى التشبّه بالشباب مما يضفي قوة الى النفس ، ومن جهة أخرى يُسهم ذلك العمل بتحطيم الروح المعنوية عند العدو عندما يرى الجيش المقابل يبدو شابا قويا ، وقد وردت فيه أحاديث كثيرة تدلّ على ضرورته كنوع من الحرب النفسية فقد روى الصدوق (رحمه الله) عن محمد بن علي بن ماجيلويه عن محمد بن أبي القاسم عن أحمد ابن أبي عبد الله عن منصور بن العباس عن سعيد بن جناح عن سليمان بن جعفر الجعفري عن أبي

(١) الحرب النفسية من منظور إسلامي : د. احمد نوفل: ١١٤.

(٢) سورة الانفال : الآية ٦٠.

(٣) جامع البيان : الطبري : ١٠ / ٣٩.

الحسن(عليه السلام) قال: "الخضاب بالسواد زينة للنساء مكبتة للعدو"[1]، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: "الخضاب بالسواد أنس للنساء ومهانة للعدو، وقال (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، قال: من الخضاب بالسواد، وروى ابن بابويه أنَّ رجلاً دخل على رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد صفَّر لحيته فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ما أحسن هذا ثم دخل عليه بعد ذلك وقد اقتنى بالحنا فتبسم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: هذا أحسن من ذلك ثم دخل عليه بعد ذلك وقد خضيب بالسواد فضحك إليه فقال: هذا أحسن من ذلك وذاك"[2].

وروى أحمد بن محمد، عن سعيد بن جناح، عن أبي خالد الزيدي، عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: "دخل قوم على الحسين بن علي صلوات الله عليهما فرأوه مختضبا بالسواد فسألوه عن ذلك فمد يده إلى لحيته ثم قال: أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في غزاة غزاها أن يختضبوا بالسواد ليقووا به على المشركين"[3] .

وهكذا نرى أنَّ الإسلام قد أوْلى لون شعر المقاتلين من كبار السن اهتماماً ليستعملوا الخضاب، فيراهم العدو في عمر الشباب فيصاب بالرعب منهم، ويكشف هذا الأمر عن مدى سعة مفهوم القوة وأنَّ الإسلام لم يدع حتى تلك الجزئيات البسيطة التي تزيد في قوة المسلمين، أو التي تعمل على تحطيم معنويات العدو وتسبب في هزيمته[4].

٢-الشعارات والهتافات:

مارس المسلمون الأوائل عدة شعارات وهتافات أثناء حروبهم مع أعدائهم، وقد قصدوا بها التعارف فيما بينهم أثناء الالتحام بالأعداء، أو أثناء القتال في ظلام الليل، كما قصدوا بها إثارة انفعالات الشجاعة والحماسة في نفوس الأعداء، فقد جاء في الكافي عن: معاوية بن عمار عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: "شعارنا (يا محمد يا محمد)، وشعارنا يوم بدر (يا نصر الله اقترب اقترب)، وشعار المسلمين يوم أُحد (يا نصر الله اقترب)، ويوم

(١) ثواب الاعمال وعقاب الاعمال: أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (الصدوق) ، تح: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، مطبعة أمير، ط٢، قم ، ١٣٦٨ش: ٢١.

(٢) من لا يحضره الفقيه: الصدوق :١/١٢٢-١٢٣.

(٣) الكافي: الكليني: ٦/٤٨١.

(٤) يُنظر: الأمثل: مكارم الشيرازي:٥/٤٧٢.

بني النضير (يا روح القدس أرح)، ويوم بني قينقاع (يا ربنا لا يغلبنك) ، ويوم الطائف (يا رضوان)، وشعار يوم حنين (يا بني عبد الله، يا بني عبد الله)، ويوم الأحزاب (حم لا يبصرون) ، ويوم بني قريظة (يا سلام أسلمهم)، ويوم المريسيع وهو يوم بني المصطلق (ألا إلى الله الأمر)، ويوم الحديبية (ألا لعنة الله على الظالمين)، ويوم خيبر يوم القموص (يا علي آتهم من عل)، ويوم الفتح (نحن عباد الله حقاً حقاً)، ويوم تبوك (يا أحد يا صمد)، ويوم بني الملوح (أمت أمت)، ويوم صفين (يا نصر الله)، وشعار الحسين(عليه السلام) (يا محمد)، وشعارنا(يا محمد)"[1].

٣-التهديد بعلي بن ابي طالب (عليه السلام):

اشتهر الإمام امير المؤمنين (عليه السلام) بشجاعته وبسالته حتى: "أنسى ذكر من كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحروب مشهورة، تضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الذي ما فرّ قطَّ ولا ارتاع، ولا بارز أحداً إلّا قتله، ولا ضرب ضربة فاحتاج إلى ثانية، وفي الحديث: كانت ضرباته وتراً"[2]، ولهذا كان الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يهدد المشركين وغيرهم بعلي (عليه السلام) لعلمه بأنَّ اسم علي (عليه السلام) يثير الرعب في نفوس الأعداء؛ مما يعجّل في استسلامهم وخضوعهم، فقد ورد في الحديث عن محمد بن منصور عن عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا أبو الجواب أحوص بن جواب الضبي قال: حدثنا يونس بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع: عن أبي ذر قال: "قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لتنتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلا كنفسي يمضي فيهم أمري فيقتل المقاتلة ويسبي الذرية. قال أبو ذر: فما راعني إلّا كف عمر في حجزتي من خلفي فقال: من تراه يعني؟ فقلت: ما إياك يعني ولا صاحبك! قال: من يعني؟ قلت: خاصف النعل! وكان علي يخصف نعلاً (لرسول الله) فقال: إنَّه ليرقعه؟"[3]، وكذا الحال مع وفد ثقيف، فقد ورد عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: حدثنا معمر، عن ابن طاوس، - عن أبيه -، عن المطلب بن عبد الله

---

(١) الكافي : الكليني: ٤٧/٥.

(٢) كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء : الشيخ جعفر كاشف الغطاء: ١٠٩/١.

(٣) فضائل الصحابة: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تح: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة ، ط١، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م: ٥٧١/٢.

بن حنطب، قال: "قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لوفد ثقيف حين جاؤه: والله لتسلمن، أو لأبعثنَّ إليكم رجلاً مني، – أو قال: مثل نفسي– فليضربنَّ أعناقكم، وليستبينَّ ذراريكم، وليأخذنَّ أموالكم، قال عمر: فوالله ما اشتهيت الإمارة إلّا يومئذٍ، جعلت أنصب صدري له رجاء أن يقول: هذا، فالتفت إلى علي (عليه السلام) فأخذ بيده ثم قال: هو هذا، هو هذا، مرتين"[١].وكذا حصل مع وفد أهل الطائف[٢]، ومع وفد هوازن[٣]، ومع وفد أهل اليمن[٤].

ومن تكرار تلك المواقف مع الوفود وغيرهم، تتضح سياسة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في استخدام اسم علي (عليه السلام) في حربه النفسية مع الدّ خصومه، وكذلك يتضح من خضوعهم المباشر وتنازلهم واستسلامهم، مدى رعبهم وهزيمتهم النفسية من شخصية الإمام (عليه السلام) العسكرية.

٤–مباغتة العدو :

إنَّ مباغتة العدو من الأمور التي تسبب انهيار العدو وهزيمته النفسية، وقد اعتمد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا الأسلوب في مواطن كثيرة منها في فتح مكة، فقد نزل الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) مر الظهران في جيش قوامه عشرة آلاف من المسلمين، وقد عميت الأخبار عن قريش، فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ولا يدرون ما هو فاعل فخرج في تلك الليلة أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتحسسون الأخبار هل يجدون خبراً أو يسمعون به، حتى إذا وصل مكة وأحاط بها، أمر المسلمين أن يوقدوا النار، فأوقدوا عشرة آلاف نار، وبوغت أهل مكة بذلك، وأُسقط بأيديهم، وزلزلوا زلزالاً شديداً، فخضعت قريش لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وطلبت منه التفاوض، وهكذا سيطر المسلمون على قريش واستولوا على مكة المكرمة وطهروها من الأوثان والأصنام التي كانت فيها، من دون أن تراق في ذلك محجمة دم[٥].

---

(١) عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب إمام الابرار: يحيى بن الحسن المعروف بابن البطريق، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم – إيران ، ١٤٠٧هـ: ١٩٧.

(٢) بحار الانوار : المجلسي: ١٨٠/٢١.

(٣) المصدر نفسه : ٣٠٥/٣٨.

(٤) المصدر نفسه : ٦٨/٤١.

(٥) يُنظر : تاريخ الطبري : الطبري : ٢/ ٣٢٨.

٥-كتمان الأسرار التي توهن من عزيمة جيش المسلمين:

في مقابل إشاعة الاخبار الكاذبة في صفوف جيش العدو، كان النبي (ﷺ) شديد الحرص على كتمان الأخبار العسكرية التي من شأنها أن تُضعف من روحية الجيش الإسلامي؛ وذلك لأنَّ الهزيمة النفسية كفيلة بإنهاء المعركة مهما كان العدو ضعيفاً، ولهذا قيل إنَّ "من أهمِّ ما يحرص عليه القائد الحكيم أن تكون الروح المعنوية في جنده قوية عالية، وأن يدرأ عن أنفسهم الوهن والخوف؛ لأنَّ الغلب لا يرجع إلى القوة فحسب، وإنَّما يرجع قبل كل شيء إلى الثبات وقوة العزيمة، إنَّ عدوك يخشى من عزمك وتصميمك على مقاومته أكثر من تسليحك بأفتك الأسلحة؛ لأنَّ هذه لا تجدي نفعاً، مع عدم العزم والتصميم على المقاومة" [(١)]، ومن الشواهد التاريخية على كتمان النبي(ﷺ) للأخبار التي لها أثر على نفسية الجيش الإسلامي ما ورد في أخبار غزوة أُحد إذ إنَّ "العباس بن عبد المطلب كتب كتاباً وختمه واستأجر رجلاً من بني غفار واشترط عليه أن يسير ثلاثاً إلى رسول الله (ﷺ) يخبره أن قريشاً قد أجمعت المسير إليك فما كنت صانعاً إذا حلوا بك فاصنعه. وقد توجهوا إليك وهم ثلاثة آلاف وقادوا مائتي فرس وفيهم سبعمائة دارع وثلاثة آلاف بعير وأوعبوا من السلاح، فقدم الغفاري فلم يجد رسول الله(ﷺ) بالمدينة ووجده بقباء فخرج حتى يجد رسول الله (ﷺ) على باب مسجد قباء يركب حماره فدفع إليه الكتاب فقرأه عليه أبي بن كعب واستكتم أبياً"[(٢)]، يقول السيد جعفر مرتضى العاملي في تعقيبه على هذه الحادثة ما نصَّه: "قد رأينا: أنَّ النبي (ﷺ) يأمر أُبياً بكتمان خبر مسير قريش، ويستفيد من عنصر السريَّة، كي لا يفسح المجال أمام الحرب النفسية، التي لابدَّ أن يمارسها اليهود والمنافقون ضد المسلمين؛ وليفوت الفرصة عليهم، ويحبط مؤامراتهم المحتملة؛ لأنَّهم في الحقيقة – العدو الواقعي– هم العدو الأخطر، والمطلع على مواطن الضعف والقوة لدى المسلمين"[(٣)].

---

(١) التفسير الكاشف: مغنية : ٢ /١٦٣.

(٢) المغازي : الواقدي : ١/٢٠٤.

(٣) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه واله) : ٧ / ٦١.

وفي ختام هذا المطلب نشير إلى أنَّ الكلام عن الحرب النفسية في القرآن الكريم والسُنَّة النبوية المطهرة كثير جداً، بل أنَّ القرآن بحد ذاته كان حرباً نفسية على أعداءه، حتى أُسقط في أيديهم مقاومة إعجازه ومقارعة بيانه، والمتتبع لما كتبه الباحثون الإسلاميون في هذا المجال يجد الشواهد الكثيرة على ذلك، وقد اقتصرنا على ذكر القليل خشية التطويل، وكذلك مراعاة للسياق العلمي والفني المطلوب في الرسائل الجامعية.

المبحث الثاني
تعاليم الحرب

لا شكَّ أنَّ الحرب لها أصول وقواعد، ولها استراتيجيات وتكتيكات خاصة بها، وكلما كان الإنسان أكثر إتقانا لتعاليم الحرب وفنونها وقواعدها كان أقرب إلى النصر، وبخلاف ذلك يكون الفشل حليفه، والهزيمة سهمه، والانكسار ديدنه، ومن هنا كان القرآن الكريم وترجمانه من عترة آل الرسول (صلوات الله عليهم) يعنون كثيراً بتوضيح تلك التعاليم الحربية للمؤمنين؛ لينتصروا بها على عدوهم، وسيكون هذا المبحث وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول
فيما يخص قادة الحرب

وردت عدة تعاليم تختص بقادة الحرب وما يجب عليهم مراعاته من أفعال وسلوكيات، ومنها ما يأتي:

١- **التحشيد والتعبئة:**

إنَّ عامل الانتصار والهزيمة في الحرب يتعلق جزء كبير منه في نفسية المقاتلين ومدى استعدادهم الروحي لخوض المعارك، ولهذا فهم بحاجة إلى من يثير فيهم القوة الغضبية، ويلهب فيهم الحماسة، ويشحذ فيهم الهمم، ويرغّبهم في الحرب، عن طريق الخطابات الثورية والجهادية ونحوها، وهذه من المهام التي تقع على عاتق القيادة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ ﴾[١]، إذ "إنَّ الجنود والمقاتلين مهما كانوا عليه من استعداد ينبغي قبل بدء الحرب أن ترفع معنوياتهم وتشحذ هممهم، وهذا الأمر معروف في جميع النظم العسكرية في العالم، إذ يقوم قادة الجيوش وأمراؤهم قبل التحرك نحو سوح القتال أو عند ساحة القتال، فيلقون خطباً تثيرهم وتقوي من معنوياتهم وتحذرهم من الهزيمة والجبن"[٢]، ومن الذكر الحكيم أيضاً، قوله عزَّ وجلّ: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمًا

---

(١) سورة الانفال : الآية ٦٥.

(٢) الأمثل : مكارم الشيرازي: ٥/٤٨٤-٤٨٥.

نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ﴾[1]، ففي الآية المباركة تحريض واضح واستنهاض وتهييج لهمم المؤمنين على قتال المشركين ببيان ما أجرموا به في جنب الله وخانوا به الحق والحقيقة، وعد خطاياهم وطغيانهم من نكث الإيمان والهم بإخراج الرسول والبدء بالقتال أول مرة[2]. كما أنَّ الترغيب والترهيب من المسائل المهمة في عملية التحشيد والتعبئة العسكرية، وفي هذا يقول الإمام علي (عليه السلام) وهو يستنهض الناس للقتال: " أمَّا بعد فإنَّ الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة. فمن تركه رغبةً عنه ألبسه الله ثوب الذل وشملة البلاء. وديث[3] بالصغار والقماءة[4] وضرب على قلبه بالأسداد[5] وأديل[6] الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف ومنع النصف . ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسراً وإعلاناً، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم إلّا ذلوا"[7]، فقد رغّب بالجهاد وبيّن فضله وحث عليه وبيّن فضل المجاهد وعاقبة أمره ، كما أنَّه بيّن عواقب ترك الجهاد والتخلف عنه، وما لذلك من تداعيات خطيرة على المجتمع، أهونها أن يرتدي لباس الذل والهوان ما دام حياً.

٢- التأكيد على مراقبة تحركات العدو:

من القضايا المهمة في حالة الحرب مراقبة العدو ورصد تحركاته، ومراقبة نشاطاته، سواء على صعيد توزيع الجيش، وحجم تجهيزاته وعدده الحربية، وما يعدّه من خطط واستراتيجيات للمواجهة، إذ إنَّ ذلك يعطي للقائد خيارات كثيرة للتعامل مع العدو،

---

(١) سورة التوبة : الآية ١٣.

(٢) يُنظر: الميزان: الطباطبائي: ٩/ ١٥٩.

(٣) ديث : من ديثه أي : ذلله.

(٤) بالصغار والقماءة "في النهج والقماء بدون الهاء وديث على بناء المجهول من باب التفعيل ذلل ، وبعير مديث أي مذلل بالرياضة و "الصغار" بالفتح : الذل والهوان و "الصاغر": الراضي بالهوان والذل و"قمأ الرجل" كجمع وكرم قماء وقماءة بالفتح فيهما أي صغر وذل..

(٥) الأسداد: جمع سد، وقال الفيروزآبادي : "ضربت عليه الأرض بالسداد" سدت عليه الطريق وعميت عليه مذاهبه.

(٦) الإدالة: النصر يقال : أدال الله له أي نصره وأعطاه الدولة والغلبة، وأدال منه وعليه أي جعله مغلوبا لخصمه . المصدر : مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول : العلامة المجلسي: ٣٢٤/١٨.

(٧) نهج البلاغة: الشريف الرضي: ٦٧/١-٦٨.

من خلال كشفه لمواطن القوة والضعف في جيش العدو، وكذلك ليكون في مأمن من مكائد العدو وحيله[١]، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لقادة جيشه: "واعلما أنَّ مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم وإذا أنتما خرجتما من بلادكما ودنوتما من بلاد عدوكما فلا تسأما من توجيه الطائع ومن نفض الشعاب والشجر والخمر في كل جانب كيلا يعتريكما عدو أو يكون لهم كمين"[٢]، وقال (عليه السلام) أيضاً: "واجعلوا لكم رقباء في صياصي[٣] * الجبال ومناكب[٤] * الهضاب لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن . وأعلموا أن مقدمة القوم عيونهم ، وعيون القدمة طلائعهم"[٥]، كما أنَّ عيون الجيش الجيش لابدَّ أن تكون من شجعانهم، وأن يكون معهم من السلاح ما يباشرون به القتال فيما لو تعرضوا لطارئ، وهذا ما يشير إليه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لعبد الله بن بديل، إذ قال(عليه السلام): "وانظر جندك فأقم بهم بالمكان الذي أنت به، وإياك ومواقعة أحد من خيل العدو حتى تقدم عليك وأذك العيون نحوهم وليكن مع عيونك من السلاح ما يباشرون به القتال، ولتكن عيونك الشجعان من جندك، فإنَّ الجبان لا يأتيك بصحة الأمر"[٦].

٣- النفر ثباتا او جميعا:

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴾[٧]، إذ تأمر الآية الكريمة بالاستفادة من الأساليب والتكتيكات المختلفة للمواجهة، فقد يتطلب الأمر أن تنزل فرق الجيش على شكل موجوعات متفرقة وتارة يتطلب الأمر نزول الجيش عصبة واحدة[٨]، والأمر وإن كان موجّه للمؤمنين عامة، إلّا أنَّه مما لا شك فيه أنَّه

(١) يُنظر : الجهاد والحرب في نهج البلاغة : خليل رزق ، دار الولاء ، ط١، ١٤٢٢هـ: ٦٧.

(٢) بحار الانوار: المجلسي: ٤١١/٣٢.

(٣) الصياصي : الحصون والقلاع وكل ما امتنع بها. وصياصي الجبال: أطرافها العالية، ينظر: تحف العقول: ابن شعبة الحراني: .

(٤) مناكب الأنهار : نواحيها وجوانبها، ينظر: تحف العقول: ابن شعبة الحراني: .

(٥) نهج البلاغة: الشريف الر ضي: ١٣/٣.

(٦) المعيار والموازنة : أبو جعفر الاسكافي: ١٣١.

(٧) سورة النساء: الآية ٧١.

(٨) يُنظر: الأمثل : مكارم الشيرازي: ٣٢٠/٣

خطاب موجّه للقيادة يستبطن الأمر للقائد بدراسة الموقف، وما يتطلبه من أصدر أوامر تتمثل بتحريك قطعات الجيش على شكل مجموعات متفرقة، أو على شكل جيش موحد مترابط.

٤- القتال من وجه واحد او اثنين:

يُستفاد من سيرة آل محمد (صوات الله عليهم) في أفعالهم وأقوالهم بأنَّ على القائد في ساحة الحرب أن يعمل على حصر المواجهة مع العدو من وجه واحد أو اثنين، وهذا ما جرى في (معركة أُحد) إذ جعل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) خمسون رجلاً من الرماة تحت امرة عبد الله بن جبير ليحموا ظهور المسلمين[١]، ولكي ينشغل المسلمون بالقتال من وجه واحد، وكذلك ورد في وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لقادة جيشه، قوله: "ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين"[٢]، وفلسفة ذلك أن يحفظ بعضهم ظهر بعض أولاً، وكذلك تستلزم هذه الطريقة الحفاظ على جمع الجيش وعدم تشتّته وتفرّقه، مما يؤدي إلى ضعفه ثانياً، إذ إنَّ توزيع القوة يعرضها للخطر وتوحيدها مما يوجب النصر[٣]. وقد ورد أيضا في أخبار معركة الطف ان الحسين (عليه السلام) قد " أتى بقصب وحطب إلى مكان من ورائهم منخفض كأنه ساقية فحفروه في ساعة من الليل فجعلوه كالخندق ثم ألقوا فيه ذلك الحطب والقصب وقالوا إذا عدوا علينا فقاتلونا ألقينا فيه النار كيلا نؤتى من ورائنا وقاتلونا القوم من وجه واحد ففعلوا وكان لهم نافعا "[٤].

٥- تسليم الراية للشجعان:

من الواجبات على القادة تسليم الراية لشجعان القوم خلال الحرب؛ وذلك أنَّ صاحب الراية يتقدم الجيش ضارباً نحو العدو، فيتطلب ذلك الجرأة ورباطة الجأش، كما أنَّ حامل الراية محط أنظار العدو ومركز اهتمامهم؛ إذ في سقوط الراية أو انهزامها ينكسر الجيش، وقد كان حامل رايات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في كل زحف هو: علي بن أبي

---

(١) يُنظر: المغازي: الواقدي ١/ ٢١٩-٢٢٠.

(٢) نهج البلاغة: الشريف الرضي : ٣/ ١٢.

(٣) يُنظر: شرح نهج البلاغة : البحراني: ٣٧٩/٤. وينظر: في ظلال نهج البلاغة: مغنية: ٤٠٩/٣.

(٤) تاريخ الطبري: الطبري: ٣٢٠/٤.

طالب[١]؛ لِمَا عُرِف من شجاعته وبطولته، وقد ورد عنه (عليه السلام) في وصيته لقادة جيشه، ما نصه: "ورأيتكم فلا تميلوها ولا تخلوها، ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم والمانعين الذمار منكم"[٢]، إذ إنَّ: "الراية بالنسبة للجيش في نظام التعبئة والتوزيع الذي كان سائداً حينذاك علامة هامة على ثبات الجيش إذ لم يكن ثمة نظام للإشارة والاتصالات يزود القيادة وباقي قطعات الجيش بمعلومات آنية عن حالة الجيش وسير المعركة؛ فكانت رؤية المقاتلين للراية مرفوعة خافقة علامة عندهم على استمرار القيادة في إدارة المعركة وعلى تماسك الوحدات المقاتلة واتصالها بالقيادة على صمود الجيش أو تقدمه. ولذا يلاحظ إنَّ سقوط الراية كان يعني، في كثير من الحالات، انهيار المقاومة وبداية الهزيمة"[٣]، فالراية هي النظام الذي يجمع شتات المحاربين وهي المحور الذي تدور عليه رحى المعارك[٤]، ولهذه الأسباب كانت القيادة تعتني كثيراً بالاختيار المناسب لحامل الراية في ميدان الحرب.

٦- حفظ الجيش من التشتت والتفرقة:

لا بدَّ أن تكون حركة الجيش بشكل منتظم؛ لئلا يخترقهم ما يخشى منه، ويُستفاد ذلك من قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[٥]، "يوزعون: من مادة (وزع) على وزن (جمع) ومعناه الحبس والإيقاف، وهذا التعبير متى أطلق على الجند أو الجيش فيعني إيقاف أول الجيش ليلحق به آخره، لكي يحفظ من التشتت والتفرق"[٦].

كما أنَّ هناك أموراً أخرى يجب على قائد الجيش مراعاتها أثناء المسير إلى ساحات القتال، وهي كالتالي[٧]:

---

(١) يُنظر : الارشاد : المفيد: ٧٩/١.

(٢) نهج البلاغة : الشريف الرضي: ٣/٢.

(٣) السلم وقضايا الحرب عند الامام علي: محمد مهدي شمس الدين:٩٣. بتصرف.

(٤) يُنظر: في ظلال نهج البلاغة: مغنية: ٢٢٩/٢.

(٥) سورة النمل: الآية ١٧.

(٦) الأمثل: مكارم الشيرازي: ٣٩/١٢.

(٧) يُنظر: بحوث حول النظام العسكري: زماني: ١٦٦.

أ- أن يطلع مسؤولو المحافظات والمدن سراً وعلناً ليسهلوا مرور قطعاته العسكرية، برفع الموانع والمعوقات التي تحول دون الجيش وسرعة تقدمه، مما يحافظ على انسيابية حركة الجيش، وإنَّ التأييد الشعبي وإظهاره للجيش مما يسهم في رفع الروح المعنوية والقتالية للجند وخلاف ذلك يوجب وهن الجيش، ولهذا كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى من مره به الجيش من جباة الخراج وعمال البلاد ، ما نصه: " أمَّا بعد فإني قد سيرت جنوداً هي مارة بكم إن شاء الله،... وكفوا أيدي سفهائكم عن مضادتهم والتعرض لهم فيما استثنيناه منهم"[1].

ب- أن ينتخب القائد أقصر الطرق وأسهلها ممرا لجيشه إلى ساحة القتال، وذلك إنَّ الجيوش سابقاً كانت تسير راجلة إلى سوح المعارك، وهذا ما كان يضعف الجيش ويوهن قواه، ولهذا كلما كان الطريق مختصراً زاد معه الحفاظ على قوة الجيش، وكذلك يحتاج الجيش عند نزوله في المكان المناسب إلى مناورات وتدريب ومعرفة المواضع وتثبيتها.

ج- أن تكون حركة الجيش سرية وغامضة حتى لا يعلم أحد بالوجهة التي يتوجه إليها الجيش، وذلك يُسهم في تعمية الأخبار على طلائع جيش العدو. وأفضل المسير ما كان ليلاً، قال تعالى: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾[2]. "الأسراء: السير بالليل فيكون قوله: (لَيْلًا) تأكيداً له وتصريحاً به"[3]، ولقد سار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليلاً في أكثر من غزوة؛ لتأمين الجانب السري لحركة جيشه، وليأمن مباغتة أعدائه ويتغلب عليهم، بل ليبقي عنصر المباغتة بيده، فيبدأهم هو ويلقي الرعب في قلوبهم ولا يدع لهم فرصة الاستعانة بحلفائهم[4] . ويبدو من خلال ما تقدم أنَّ مسألة المسير ليلاً ليست قاعدة ثابتة، وإنَّما مسألة عسكرية خاضعة لرؤية القيادة، وتقديراتها للظروف المحيطة بها، فهي مسألة عسكرية تدبيرية.

---

(١) نهج البلاغة: الشريف الرضي: ٣/ ١١٦-١١٧.

(٢) سورة الدخان: الآية ٢٣.

(٣) الميزان: الطباطبائي: ١٨/ ١٤٠.

(٤) يُنظر: الاستراتيجية العسكرية في ضوء القران الكريم : د. حامد محمد حامد: ٢٧.

د- أن يعيّن القائد استراحات ليلية ونهارية لجيشه، وبذلك يحافظ على قوة الجيش من الإنهاك، ومواجهة العدو بعد أن يكون قد أخذ قسطاً من الراحة، وهذا ما أشار إليه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لمعقل بن قيس الرياحي عند مسيره إلى الشام، إذ أوصاه قائلاً: "وسر البردين، وغور بالناس، ورفه بالسير، ولا تسر أول الليل فإن الله جعله سكناً وقدَّره مقاماً لا ظعناً، فأرح فيه بدنك وروح ظهرك، فإذا وقفت حين ينبطح السحر أو حين ينفجر الفجر فسر على بركة الله"(١)، يقول البحراني في شرح كلام الإمام (عليه السلام): "أمره أن يسير طرفي النهار لبردهما ويغوّر في وسطه لما يستلزمه القايلة من شدّة الحرّ والمتاعب فيه، وأن يرفّه في السير ليلحق الضعيف القويّ ولا يظهر التعب على الناس لحاجتهم إلى فضل القوّة والاستجمام، وأن لا يسير في أوّل الليل؛ لأنَّ الله جعله سكناً ومناماً يستراح فيه من المتاعب ويسكن إليه بعد النفرة من أن يجعله محلّ الظعن، وأمره أن يريح فيه بدنه ويروّح ظهره: أي خيله، وأطلق عليه لفظ الظعن مجازاً إطلاقا لاسم المظروف على الظرف، وأن يجعل سيره بعد وقوفه في ليله حين ينبطح السحر أو حين ينفجر الفجر لأنَّها مظنّة طيب السير"(٢).

هـ- على القائد أن ينسق بين الوحدات العسكرية في حلِّها وترحالها، حتى تكون عصبة واحدة في حركتها فلا تتقدم فئة على أخرى، وأن يحفظهم عن التعرض للأجانب حين الاستجمام والنزول، يقول الإمام علي (عليه السلام): "وإياكم والتفرّق، فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً"(٣).

و- حفظ العسكر ليلاً من خلال نشر الحراس على الأطراف وتوزيعهم بشكل يؤمّن العسكر من كل الجوانب، ليأمنوا من مباغتة العدو وهجومهم في وقت غفلة العسكر، يقول الإمام علي (عليه السلام): " وإذا غشيكم الليل فنزلتم فحفوا عسكركم بالرماح والترسة واجعلوا رماتكم يلوون ترستكم كيلا تصاب لكم غرة ولا تلقى لكم غفلة" (٤).

---

(١) نهج البلاغة : الشريف الرضي: ١٣/٣.

(٢) شرح نهج البلاغة : مغنية: ٤/ ٣٨١.

(٣) نهج البلاغة: الشريف الرضي: ١٣/٣.

(٤) تحف العقول: ابن شعبة الحراني: ١٩٢.

المطلب الثاني
فيما يختص بالجند

وردت تعاليم كثيرة تختص بالجند أهمها الآتي :

١- الحذر والاستعداد الدائم:

قال تعالى :﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ﴾[١]، والآية نازلة في بيان أداء صلاة الخوف، إذ تشير الآية المباركة إلى أنَّ الصلاة بهذه الطريقة من أجل أن يبقى المسلون في مأمن من أي هجوم مباغت قد يقوم به العدو عليهم[٢]، كما أنَّها تكشف عن الأجواء العامة التي كان يعيشها المسلمون في المعارك، فالأعداء يحيطون بهم من كل جانب، ويتربصون بهم الدوائر، ويتحيّنون الفرصة للهجوم عليهم، والوقيعة بهم فيما لو غفلوا عن أسلحتهم، ومن هنا حذَّرت الآية الكريمة من الغفلة عن السلاح وأمرت بالاحتفاظ به أثناء أداء الصلاة؛ لتفويت الفرصة على العدو، كما انَّ من الصفات الأساسية التي يجب أن يتحلى بها أفراد الجيش هي الاستعداد والجهوزية الدائمة للمواجهة ليأمن من مباغتة عدوه ومهاجمته له في أي لحظة[٣]، فقد ورد في وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لجيشه، قوله: "وإذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفة، ولا تذوقوا النوم إلّا غراراً أو مضمضة[٤]"[٥]، أي: "أن لا يستغرقوا في النوم كما يفعله القار المطمئن"[٦]، فالحرب لا أمان فيها ولا اطمئنان.

---

(١) سورة النساء : الآية ١٠٢.

(٢) يُنظر : الأمثل : مكارم الشيرازي: ٣/ ٤٢٤.

(٣) يُنظر : الجهاد والحرب في نهج البلاغة : خليل رزق: ٧٢.

(٤) غراراً أو مضمضةً: الغرار بالكسر: النوم القليل. وتمضمض النعاس في عينيه : دب، تحف العقول: ابن شعبة الحراني : ١٩٢.

(٥) نهج البلاغة : الشريف الرضي: ٣/١٣.

(٦) شرح نهج البلاغة : البحراني: ٤/٣٧٨.

٢- عدم البدء بالقتال:

الإسلام دين السلام والرحمة، لا دين الحرب وسفك الدماء، ولذا يوصي اتباعه بتجنب الحرب وإراقة الدماء ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وقد قرر الباري تعالى ذلك بقوله: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[١]، فالجنوح هو الميل والمعنى: وإن مالوا إلى الصلح والمسالمة فمل إليها وتوكل على الله تعالى[٢]، فالأصل للسلام لا للقتال، ومن هنا ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في تعاليمه لجيشه، قوله: "لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم فإنكم بحمد الله على حجَّة، وتركككم إياهم حتى يبدأوكم حجَّة أخرى لكم عليهم"[٣]، ولا شكَّ أنَّ الحُجَّة الأولى هو كونهم على الحقِّ، ومع الحقِّ الذي يدور مدار الإمام (عليه السلام)، لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "علي مع الحقِّ والحقُّ معه لا يفترقان حتى يردا علي الحوض"[٤]، والحُجَّة الأخرى كونهم معتدى عليهم، فقد كفل القرآن حق الرد لمن لمن اعتُدي عليه، في قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ﴾[٥]، إذ إنَّ البادئ بالعدوان هو معتد بلا ريب، والراد عليه يقابله بمثل فعله فلا إثم عليه وأمَّا تسمية ردِّه بالاعتداء أيضاً فليس المراد بالاعتداء الاعتداء على حقيقته بل المراد به جزاء الاعتداء والمقابلة بالمثل[٦].

كما نهى الإمام علي (عليه السلام) الدعوة إلى المبارزة في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام)، إذ قال: "لا تدعون إلى مبارزة وإن دعيت إليها فأجب فإنَّ الداعي باغٍ والباغي مصروع"[٧].

---

(١) سورة الانفال: الآية ٦١.

(٢) يُنظر: الميزان : الطباطبائي: ١١٧/٩.

(٣) نهج البلاغة : الشريف الرضي: ١٤/٣.

(٤) الامالي : الصدوق: ١٥٠.

(٥) سورة البقرة : الآية ١٩٤.

(٦) يُنظر: التفسير الكاشف : مغنية: ١/ ٣٠١.

(٧) نهج البلاغة: الشريف الرضي: ٤/ ٥٢.

٣- القتال بنظام الصف:

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[١]، "والمقصود هنا أن يكون وقوف وثبات المجاهدين أمام العدو قوياً راسخاً تتجسد فيه وحدة القلوب والأرواح والعزائم الحديدية والتصميم القوي، بصورة تعكس أنَّهم صف متراص ليس فيه تصدع أو تخلخل"[٢]، والقتال بنظام الصف من مبتكرات الرسول الأعظم (عليه السلام) في معركة بدر بعد أن كان المشركون يعتمدون نظام الكرِّ والفرِّ في المعارك، وقد أثبت هذا الأسلوب نجاحه في الحرب[٣]، وعامل التنظيم اليوم من أهمِّ العوامل التي تعتمد عليها الجيوش لتحقيق الانتصار في المعارك.

٤- الضرب فوق الاعناق:

قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[٤]، "فالظاهر أن يكون يكون المراد بفوق الأعناق الرؤوس وبكل بنان جميع الأطراف من اليدين والرجلين أو أصابع الأيدي لئلا يطيقوا حمل السلاح بها والقبض عليه. ومن الجائز أن يكون الخطاب بقوله: (فَٱضْرِبُوا۟) الخ للملائكة كما هو المتسابق إلى الذهن، والمراد بضرب فوق الأعناق وكل بنان ظاهر معناه، أو الكناية عن إذلالهم وإبطال قوة الامساك من أيديهم بالارعاب، وأن يكون الخطاب للمؤمنين والمراد به تشجيعهم على عدوهم بتثبيت أقدامهم والربط على قلوبهم، وحثهم وإغراؤهم بالمشركين"[٥]. ففي الآية تعاليم واضحة للمقاتلين في كيفية استهداف الأماكن المهمة التي تقضي على العدو أو تشلّ حركته بطريقة سريعة.

---

(١) سورة الصف : الآية ٤.

(٢) الأمثل : مكارم الشيرازي: ٢٨٢/١٨.

(٣) يُنظر : الرسول القائد : محمود شيت خطاب :٨٥.

(٤) سورة الانفال : الآية ١٢.

(٥) الميزان: الطباطبائي : ٢٢/٩.

وثمة تعاليم أخرى للجند وجب عليهم مراعاتها وهي كالآتي [١] :

١-على المقاتل الإسلامي أن يختبر أسلحته قبل القتال، لكي يعرف كيفية استخدامها، ويطمئن إلى مدى فاعليتها، إذ ربما أصبحت غير صالحة للاستعمال لسبب ما. وإدامة السلاح وتفقده بين الحين والآخر من ضرورات العمل العسكري في يومنا الحاضر، يقول امير المؤمنين (عليه السلام): "وقلقلوا السيوف في أغمادها قبل سلها"[٢]، ففي الكلام إشارة إلى ضرورة اختبار السلاح قبل القتال، كما يجب على المقاتل أن يتقن استخدام المعدات الحربية ويحسن التعامل معها، وبذلك يكون قادراً على إعطاء السلاح حقه في ساحة الحرب، يقول علي (عليه السلام): "أعطوا السيوف حقوقها"[٣].

٢-ينبغي أن يسود الهدوء المقاتلين قبل بدء المعركة؛ لأنَّه يُذهب بالخوف ويطرد الكسل، ويعطي حالة من الاطمئنان، قال علي (عليه السلام) لجنده: "وأميتوا الأصوات فإنه أطرد للفشل"[٤]، وقال (عليه السلام) في وصف خصومه "وقد أرعدوا وأبرقوا، ومع هذين الأمرين الفشل. ولسنا نرعد حتى نوقع. ولا نسيل حتى نمطر"[٥]، "اذ كثرة اللغط والصياح علامة لخوف الصائح، وذلك مستلزم لطمع العدو فيه وجرأته عليه"[٦]، كما أنَّ الضجة تعكس القلق النفسي وعدم الوضوح الفكري الذين يحاول من يعاني منهما أن يعوض عن حالته بالمظاهر الكلامية، وبعبارة أخرى فإنَّ حالة الضجة وارتفاع الأصوات تعكس مدى الاضطراب والارتباك والخوف، أمَّا السكون في المواقف الخطيرة فإنَّه يعكس الحالة النفسية المطمئنة والمستعدة لمواجهة الاخطار، كما أنَّ الارعاد والابراق مظهران من مظاهر الضعف النفسي والخوف الذي يعالجه الخائف بالضجة الزائفة الفارغة[٧].

---

(١) يُنظر: بحوث حول النظام العسكري : زماني: ١٧٢.

(٢) نهج البلاغة: الشريف الرضي: ١١٤/١.

(٣) المصدر نفسه: ١٦/٣.

(٤) المرجع نفسه: ٣/٢.

(٥) نهج البلاغة : الشريف الرضي: ٤٢/١- ٤٣.

(٦) شرح نهج البلاغة: البحراني: ١٢٢/٣.

(٧) يُنظر: السلم وقضايا الحرب عند الامام علي: شمس الدين:٩١.

٣-على المقاتلين أن يطردوا شبح الخوف في المعركة حيث يضحي المقاتل بنفسه في سبيل الله وهو يدخل في متاجرة يبيع نفسه فيها لإعلاء كلمة الله، كما كان المسلمون في معاركهم كبنيان مرصوص، حتى وصلوا إلى أهدافهم النبيلة، قال علي بن أبي طالب (عليه السلام) يوم الجمل لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية: "تزول الجبال ولا تزل، عض على ناجذك، أعر الله جمجمتك، تد في الأرض قدمك، أرم ببصرك أقصى القوم. وغض بصرك واعلم أن النصر من عند الله سبحانه"(١)، وفي هذا النص تعاليم مهمة يجب التوقف عندها، وهي(٢):

أ- (تزول الجبال ولا تزل) عبارة تتضمن النهي عن الزوال مطلقا؛ لأنَّ النهي عنه على تقدير زوال الجبال يفيد المبالغة في النهي عن الزوال. كما انَّ في الكلام "تعريض على استقامته وثباته في الحرب وعدم تزلزله واضطرابه فيها فانّ الثّبات والقرار في كلّ امر من الأمور، يوجب النّيل بالهدف والوصول إلى المقصد ولاسيّما في الحروب"(٣).

ب- العض على النواجذ: "الناجذ السن بين الناب والضرس، هو أقصى الأضراس، وقيل الأضراس كلَّها نواجذ...، والعضّ على النواجذ يستلزم أمرين: أحدهما ربط الجأش عن الفشل والخوف، والإنسان يشاهد ذلك في حال البرد والخوف الموجبين للرعدة فإنّه إذا عضّ على أضراسه تسكن رعدته ويتمالك بدنه، الثاني أنَّ الضرب مع ذلك في الرأس لا يؤثّر كثير ضرر كما قاله (عليه السلام) في مواضع أخر وعضوّ للنواجذ فإنّه أنبى للسيوف عن الهام، وكان ذلك لما فيه من جمع القوّة والتصلَّب" (٤).

ج- أن يعير الجندي المؤمن جمجمته لله تعالى وهي استعارة لطيفة وتشبيه لجمجمته بالآلة التي تستعار للانتفاع بها ثم ترد، وهذا تفضل منه تعالى أن يجعل ما يعطي الإنسان في سبيله في دار الدنيا عارية مردودة إليه في النشأة الأخرى.

---

(١) نهج البلاغة، الشريف الرضي: ١ /٤٣، ٤٤.

(٢) يُنظر : شرح نهج البلاغة : البحراني: ١/ ٢٨٦.

(٣) مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة : محمد تقي الخرساني: ١٢١/٤.

(٤) شرح نهج البلاغة : البحراني: ١/ ٢٨٧.

د- تد في الأرض قدمك: أي أن يلزم قدمه الأرض ويجعلها كالوتد وذلك يستلزم أمرين: أحدهما ربط الجأش واستصحاب العزم على القتال، والثاني أنَّ ذلك مظنة الشجاعة والصبر على المكاره فيكون من موجبات انفعال العدو وانقهاره، كما أنَّ العبارة تدلُّ على وجوب الثبات في أرض المعركة وعدم الانسحاب منها، ولا يعني الثبات عدم تغيير المواقع وعدم الكرِّ والفرِّ الذي تتطلبه المعارك أحياناً، بل تدلُّ على الصمود والثبات في القتال وعدم الفرار من الحرب.

هـ- أن يرمي ببصره أقصى القوم وذلك ليعلم على ماذا يقدم ولينظر مخاتل المخاتل ومقاتل المقاتل. ويمكن أن تكون النكتة في ذلك أنَّ النظر أقصى القوم يعطي طاقة وهمّة للمقاتل للوصول إلى آخر القوم، بخلاف ما لو كان جاهلاً بتلك الجموع فتفتر همّته ويُفتّ في طاقته بعد نزال واحد أو اثنين. كما أنَّه لا تناقض بين قوله: "ارم ببصرك" وقوله: "غض بصرك" – كما سيأتي –، "وذلك لأنَّه في الأولى أمره أن يفتح عينه ويرفع طرفه، ويحدق إلى أقاصي القوم ببصره، فعل الشجاع المقدام غير المكترث ولا المبالي؛ لأنَّ الجبان تضعف نفسه ويخفق قلبه فيقصر، بصره ولا يرتفع طرفه، ولا يمتد عنقه، ويكون ناكس الرأس، غضيض الطرف. وفي الثانية أمره أن يغض بصره عن بريق سيوفهم ولمعان دروعهم، لئلا يبرق بصره، ويدهش ويستشعر خوفاً. وتقرير الكلام و "احمل" وحذف ذلك للعلم به، فكأنه قال: إذا عزمت على الحملة وصممت، فغض حينئذ بصرك واحمل، وكن كالعشواء التي تخبط ما أمامها ولا تبالي"[1].

و- أن يغضّ بصره بعد مدّة وذلك لكونه علامة السكينة والثبات وعدم الطيش؛ ولأنّ مدّ النظر إلى بريق السيوف مظنّة الرهبة، وربما خيف على البصر أيضاً، والنظر المحمود في الحرب أن يلحظ شزرا فعل الحنق المترصّد للفرصة كما قال (عليه السلام) في غير هذا الموضع ولاحظوا الشزر. وقد بيّن أمير المؤمنين (عليه السلام) في تعليم آخر فلسفة غض البصر، بقوله: "وغضوا الأبصار فإنَّه أربط للجأش وأسكن للقلب"[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة: المعتزلي: ١/٢٤١- ٢٤٢.

(٢) نهج البلاغة : الشريف الرضي: ١ /٤٥.

ز- النصر من عند الله: وفيه تأكيد عقائدي بضرورة التوكل على الله تعالى وأن تطبيق تلك التعاليم ليس هو العلَّة التامة في تحقق النصر والغلبة، وإنَّما هي أسباب يُتوصل من خلالها إلى النصر بعد أن يأذن الباري تعالى بذلك.

٤-على كل وحدة من وحدات الجيش أن تقاتل الوحدة التي تواجهها في المعركة، وأن لا تعطي العدو فرصة لشن هجومه عليها، إذ لو سمحت له بالفرصة لتمكن العدو من تحقيق انتصار خاطف على المسلمين، قال الإمام علي (عليه السلام): "أجزأ امرؤ قرنه، وآسى أخاه بنفسه، ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه" وفي هذه يشير الإمام (عليه السلام) إلى ضرورة أن يقاتل الرجل قرنه فلا ينهزم أمامه اعتماداً على أخيه في دفعه فيجتمع قرنه وقرن أخيه على أخيه[١]، ففي الكلام تنبيه على أنَّ الفار من القتال قد ساعد على قتال إخوته، كما أنَّ في الكلام إشارة إلى إنَّ من واجبات المقاتل أن يساعد أخاه إذا رأى منه ضعفاً أو عجزاً؛ لأنَّه إذا تخلى عنه لا يكون قد أراح نفسه من مقارعة عدوه، وإنَّما يكون قد جمع عدوين على نفسه، فلو قتل أخاه كان قرين أخاه وقرينه عليه[٢].

(١) يُنظر: شرح نهج البلاغة : البحراني: ١٢٢/٣.

(٢) يُنظر: السلم وقضايا الحرب عند الامام علي: شمس الدين: ٨٩.

المبحث الثالث

آداب الحرب

إنَّ الهدف الأسمى للدين هو صناعة الإنسان، والارتقاء به نحو الكمالات، وانتشاله من الدنس والدناءة والانحطاط، وميدان الحرب هو اختبار لجوهر الإنسان، في تعامله مع الاخرين، لاسيما إن كان الطرف الآخر هو العدو، الذي لا يراعي إلّاً ولا ذمة فيما لو تمكن من المؤمنين، فهنا العفو والتسامح والتعامل بمعالي الأخلاق، لها وقعاً عظيماً على النفس، التي تهفو للانتقام، وتغلو للثأر، من هنا جعل الدين آدابا مهمة للسمو بتلك النفوس من جهة، ومن جهة أخرى تمييزاً للإنسانية عن الوحشية الحيوانية التي تتعامل بها بعض النفوس الشريرة، وفي هذا المبحث أعرض أهمّ المطالب وهي كالآتي:

المطلب الأول

أدب التعامل مع العدو خلال الحرب

أولا ـ آداب الحرب في القرآن

القرآن الكريم حافل بالآيات القرآنية الكثيرة التي ترسم حدود التعامل مع العدو على وفق الأخلاق والآداب الإسلامية، ومن تلك الآيات:

١-حرمة الاعتداء:

قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[1]، "الاعتداء هو الخروج عن الحدِّ، يقال عدا واعتدى إذا جاوز حده، والنهى عن الاعتداء مطلق يراد به كل ما يصدق عليه أنَّه اعتداء كالقتال قبل أن يدعى إلى الحق، والابتداء بالقتال، وقتل النساء والصبيان، وعدم الانتهاء إلى العدو، وغير ذلك مما بينه السُنَّة النبوية"[2]، إذ يتضح من مفاد الآية إنَّ القتال شُرّع لردع الاعتداء لا

(١) سورة البقرة : الآية ١٩٠.

(٢) الميزان : الطباطبائي ، ج٢، ص ٦١.

للاعتداء، ولهذا نهت عن تجاوز الحدود في الردِّ، كما أنَّها حصرت الجهاد في سبيل الله تعالى وإعلاء كلمته، لا للسيطرة أو الاحتكار ولا للغنائم والاسلاب ونحوها[١].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ﴾[٢]، "ومع أنَّ هذا الحكم قد نزل في مجال زيارة بيت الله الحرام، لكنه –في الحقيقة– يعد حكماً عاماً، وقانوناً كلياً يدعو المسلمين إلى نبذ (الحقد) وعدم إحياء الأحداث السابقة في أذهانهم بهدف الانتقام من مسبيبها"[٣] فالإسلام دين يدعوا إلى تنظيف القلوب من وسخ الأحقاد، وقذارة الضغائن، وموبقات الآثام، فيأمر اتباعه بالتناسي لما تعرضوا له، والصفح والعفو عن عدوهم وعدم مقابلته بالمثل.

٢–المعاقبة بالمثل:

قال تعالى:﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾[٤] "، والمعنى وإن أردتم مجازاة الكفار وعذابهم فجازوهم على ما فعلوا بكم بمثل ما عذبوكم به مجازاة لكم على إيمانكم وجهادكم في الله سبحانه، وقوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، أي : صبرتم على مر ما عوقبتم به ولم تعاقبوا ولم تكافؤا ، لهو خير لكم بما إنَّكم صابرون لما فيه من ايثار رضى الله وثوابه فيما أصابكم من المحنة والمصيبة على رضى أنفسكم بالتشفي بالانتقام ، فيكون العمل خالصا لوجهه الكريم ، ولما في الصفح والعفو من أعمال الفتوة ولها آثارها الجميلة"[٥]، فالآية وإن كانت تبيح حقّ الردِّ بالمثل، إلّا أنَّها تدفع وبشدة ـ من خلال استخدام مؤكدات عديدة ـ نحو فضيلة الصبر، وعدم الردِّ والانتقام من العدو.

---

(١) يُنظر: الجهاد: احمد محمد الحوفي: ١٧٣.

(٢) سورة المائدة : الآية ٢.

(٣) الأمثل : مكارم الشيرازي: ٣/٥٨٤.

(٤) سورة النحل : الآية ١٢٦.

(٥) الميزان: الطباطبائي: ١٢/٣٧٤.

٣-الجنوح للسلم:

قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[١]، ومن الآداب المهمة في الحرب هو أنَّه فيما لو مال الكافرون إلى السلم والمصالحة يأمر القرآن بالجنوح إلى ذلك[٢]، وبهذا يتضح إنَّ غاية الدين من الحرب إحلال السلم، لا الخراب والدمار، ولهذا يدفع الباري تعالى رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) نحو السلم مع الكفار بمجرد ميلهم فعلا إلى السلام، ثم يأمر بالتوكل على الله وعدم الخوف من عاقبة الصلح، وعدم الخوف من عاقبة الصلح لا يعني ترك الحيطة والحذر من العدو، وإلى هذا يشير الإمام علي(عليه السلام) في وصيته لمالك الاشتر (رحمه الله)، بقوله: "ولا تدفعنَّ صلحا دعاك إليه عدوك ولله فيه رضى، فإن في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمنا لبلادك. ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن"[٣].

٤-التعامل مع الناس بحسب الظاهر:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾[٤]، ففي الآية تحذير للمسلمين من إساءة الظن بإيمان أو إسلام من أظهر الإسلام ووجوب التعامل معهم على أنَّهم مسلمين ومن ثم تحذر من الانجرار وراء نعم الدنيا الزائلة ما يكون سببا لقتل فرد مسلم والاستيلاء على أمواله[٥]. إذ لا يجوز قتل من أظهر الإسلام ونطق الشهادتين حتى لو شُكّ في إسلامه حقيقة، فقد روي عن: "أبي بكر قال حدثنا شبابة بن سوار قال حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال، قال: بعث

---

(١) سورة الانفال: الآية ٦١.

(٢) يُنظر: الميزان: الطباطبائي: ١١٧/٩.

(٣) نهج البلاغة : الشريف الرضي: ١٠٦/٣.

(٤) سورة النساء : الآية ٩٤.

(٥) يُنظر: الأمثل : مكارم الشيرازي: ٣/ ٣٩٦.

النبي (ﷺ) سرية فأغارت على القوم: فشذ رجل من القوم فاتبعه رجل من السرية معه سيف شاهر، فقال الشاذ من القوم. إني مسلم، فلم ينظر فيما قال، فضربه فقتله، فنمي الحديث إلى النبي (ﷺ) فقال النبي (عليه السلام) قولاً شديداً، فبلغ القاتل، فبينما النبي (ﷺ) يخطب إذ قال القاتل: والله يا نبي الله ما قال الذي قال إلّا تعوذا من القتل، فأعرض النبي(عليه السلام) عنه وعمن يليه من الناس، وفعل ذلك مرتين كل ذلك يعرض عنه النبي(ﷺ) بوجهه، فلم يصبر أن قال الثالثة مثل ذلك، وأقبل النبي (عليه السلام) بوجهه تعرف المساءة في وجهه فقال: (إنَّ الله أبى علي فيمن قتل مؤمناً). ثلاث مرات يقول ذلك"[1].

٥-احترام العهود والمواثيق:

قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾[2]، "ومعنى الآية: وإن خفت من قوم بينك وبينهم عهد أن يخونوك وينقضوا عهدهم ولاحت آثار دالة على ذلك فانبذ وألق إليهم عهدهم وأعلمهم إلغاء العهد لتكونوا أنتم وهم على استواء من نقض عهد أو تكون مستوياً على عدل فإنَّ من العدل المعاملة بالمثل والسواء لأنك إن قاتلتهم قبل إعلام إلغاء العهد كان ذلك منك خيانة والله لا يحب الخائنين"[3]. فالآية تنهى عن مباغتة المعاهدين، وتأمر بنبذ العهد إليهم فيما لو ظهرت عليهم أمارات الخيانة، وإعلامهم بفسخ العهد، ليكونوا على بيّنة من الحرب.

٦-الاحتياط في السير:

قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[4]، "ويستفاد ضمناً من جملة لا يشعرون أنَّ عدل سليمان كان ظاهراً وواضحاً حتى عند النمل؛ لأنَّ مفهوم الجملة أنَّ سليمان وجنوده لو شعروا والتفتوا إلى النملة الضعيفة لما وطأوها بالأقدام، وإذا وطأوها فإنَّما ذلك لعدم توجههم والتفاتهم"[5]، وفي الكلام أيضا إشارة إلى أنَّ من أخلاق الجيش الإيماني مراعاة

(١) المصنف: ابن أبي شيبة الكوفي: ٥٧٨/٦.

(٢) الانفال: الآية ٥٨.

(٣) الميزان: الطباطبائي: ١١٣/٩.

(٤) سورة النمل : الآية ١٨.

(٥) الأمثل : مكارم الشيرازي:٤٠/١٢.

الآدب في السير، فلا يعتدي ولو بمقدار سحق نملة بغير وجه حقّ، فضلاً عن تدمير وتخريب الممتلكات العامة والخاصة، أو قطع الطرق وتضييقها، ولهذا ورد عن رسول الله(ﷺ) قوله: "من ضيق منزلاً أو قطع طريقاً فلا جهاد له"[١].

٧-الوصية بالصلاة:

قال تعالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [٢]، الصلاة معراج المؤمن، وحبل وصاله مع الله تعالى، وفيها أسرار عجيبة، وفوائد غريبة، ينبئك عن ذلك الآيات الكثيرة والوصايا الوفيرة الواردة عن آل محمد (صلوات الله عليهم اجمعين) حتى كانت على رأس وصاياهم للجيوش المحاربة، فعن محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بعض أصحابه، عن أبي حمزة، عن عقيل الخزاعي أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) كان إذا حضر الحرب يوصي المسلمين بكلمات فيقول: "تعاهدوا الصلاة وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقربوا بها، فإنها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، وقد علم ذلك الكفار حيث سئلوا ما سلككم في سقر قالوا: لم نك من المصلين، وقد عرفها حقها من طرقها وأكرم بها المؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زين متاع، ولا قرة عين من مال ولا ولد ..."[٣].

ولهذا لم يترك الإمام علي (عليه السلام) الصلاة في أشدِّ الحالات وأصعبها، حتى في الحال الذي تبلغ الحرب فيه ذروتها، كما في ليلة الهرير[٤]، وكذا لم يترك الإمام الحسين(عليه السلام) الصلاة في يوم عاشوراء رغم شدة الحرب وقساوتها[٥].

---

(١) مسند احمد : احمد بن حنبل: ٤٤١/٣.

(٢) سورة البقرة : الآية ٤٥.

(٣) وسائل الشيعة : الحر العاملي: ١٥/ ٩٣.

(٤) فقد روي أنَّه (عليه السلام): "كان يوما في حرب صفين مشتغلا بالحرب والقتال وكان مع ذلك بين الصفين يراقب الشمس، فقال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين ما هذا الفعل ؟ فقال: انظر إلى الزوال حتى نصلي ، فقال له ابن عباس: هل هذا وقت صلاة؟ إن عندنا لشغلا بالقتال [عن الصلاة]. فقال له علي (عليه السلام): فعلى ما نقاتلهم؟ إنما نقاتلهم على الصلاة"، كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين : الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي:١٢٢.

(٥) قال السيد ابن طاووس : "وحضرت صلاة الظهر فأمر الحسين عليه السلام زهير بن القين وسعيد بن عبد الله الحنفي أن يتقدما أمامه بنصف من تخلف معه ثم صلى بهم صلاة الخوف فوصل إلى الحسين عليه السلام سهم فتقدم سعيد بن عبد الله الحنفي ووقف يقيه بنفسه ما زال ولا تخطى حتى سقط إلى الأرض وهو يقول اللهم العنهم لعن عاد وثمود اللهم أبلغ نبيك عنى السلام وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح فإني أردت ثوابك في نصر ذرية نبيك ثم قصي نحبه رضوان الله عليه فوجد به ثلاثة عشر سهما سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح". اللهوف في قتلى الطفوف: علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، مطبعة مهر، أنوار الهدى، ط١، قم ـ إيران،١٤١٧هـ: ٦١.

٨- **الدعاء وطلب النصرة من الله:**

قال تعالى : ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[١] قال الشيخ مكارم: " تقول هذه الآية أنه عندما وصل طالوت وجنوده إلى حيث ظهر لهم جالوت وجيشه القوي ووقفوا في صفوف أمامه رفعوا أيديهم بالدعاء ، وطلبوا من الله العلي القدير ثلاثة أمور ، الأول : الصبر والاستقامة إلى آخر حد " [٢] .

لا شك أنّ من مزايا الجندي المؤمن إيمانه بالله تعالى وتوكله عليه ، وحسن ظنه به ، ووثوقه بنصره، أي: أنَّه لا يعتمد على نفسه ولا يتكل على قوته مهما بلغت، وسلاحه مهما كان قوياً، ولهذا روي عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) دعاءه لما عزم على القتال في صفين، قال: "اللهم رب السقف المرفوع، والجو المكفوف، الذي جعلته مغيضاً لليل والنهار، ومجرى للشمس والقمر، ومختلفا للنجوم السيارة، وجعلت سكانه سبطاً من ملائكتك لا يسأمون من عبادتك، ورب هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام ومدرجاً للهوام والأنعام، وما لا يحصى مما يرى ومما لا يرى. ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتاداً، وللخلق اعتماداً، إن أظهرتنا على عدونا فجنباً البغي وسددنا للحقِّ، وإن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة واعصمنا من الفتنة"[٣]، ومن أدعيته (عليه السلام) اذا لقي العدو محاربا، قوله: "اللهم إليك أفضت القلوب، ومدت الأعناق، وشخصت الأبصار، ونقلت الأقدام، وأنضيت الأبدان، اللهم قد صرح مكتوم الشنآن، وجاشت مراجل الأضغان، اللهم إنَّا نشكو إليك غيبة نبينا، وكثرة عدونا، وتشتت أهوائنا، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين"[٤].

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥٠.

(٢) الأمثل : ٢/ ٢٢٧.

(٣) نهج البلاغة : الشريف الرضي: ٢/ ٨٤.

(٤) المصدر نفسه: ٣/١٥.

٩- **النهي عن الشتم والسباب:**

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[١] يقول الشيخ الطوسي: " والسب الذكر بالقبيح ومثله الشتم والذم وهو الطعن فيه بمعنى قبيح ، كما يطعن فيه بالسنان ، وأصله السبب، فهو تسبب إلى ذكره بالعيب ، والمعنى في الآية لا تخرجوا في مجادلتهم ودعائهم إلى الايمان ومحاجتهم إلى أن تسبوا ما يعبدونه من دون الله ، فان ذلك ليس من الحجاج في شيء، وهو أيضا يدعوهم إلى أن يعارضوكم ويسبوا الله بجهلهم وحميتهم "[٢].

تنقية اللسان، وتهذيب الألفاظ، من أهمِّ الآداب الإسلامية، حتى في التعامل مع العدو في ساحة المعركة، فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حين سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين، فقال: "إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم. اللهم أحقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحقّ من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به"[٣].

ومن كلام الإمام (عليه السلام) يتضح بأن ذلك الأدب لابد أن يرافق الانسان حتى في حالة الحرب أيضا.

١٠- **الدعوة إلى الله تعالى:**

قال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ ﴾[٤] ، أي الدعوة الى دينه[٥] إذ إنَّ غاية الإسلام هداية الناس إلى الحقِّ، وكف ظلمهم، وردع ممارساتهم الخاطئة، ولهذا أوجب الإسلام دعوة الأعداء إلى الدين قبل قتالهم لعلهم يهتدون، وقد وردت روايات كثيرة في هذا المجال، منها ما ورد عن: "عن سهل بن زياد، عن محمد بن

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٠٨.

(٢) التبيان : ٤/ ٢٣٢.

(٣) نهج البلاغة : الرضي ، ٢/ ١٨٦.

(٤) سورة النحل : الآية ١٢٥.

(٥) يُنظر : مجمع البيان : الطبرسي : ٦/ ٢١٠.

الحسن بن شمون، عن عبد الله ابن عبد الرحمن، عن مسمع بن عبد الملك، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): لمّا وجّهني رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى اليمن فقال: يا عليّ لا تقاتل أحدا حتّى تدعوه إلى الإسلام وأيم الله لئن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك ممّا طلعت عليه الشمس وغربت ولك ولاؤه"[1].

وفي دعائم الإسلام: عن الإمام علي (عليه السلام) أنَّه قال: "لا يغز قوم حتى يدعوا"[2]، و"عن عبد الرحمن بن عائذ قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا بعث بعثاً قال: تألفوا الناس، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم فما على الأرض من أهل بيت مدر ولا وبر الَّا تأتوني بهم مسلمين أحبّ إليّ من أن تأتوني بنسائهم وأولادهم وتقتلوا رجالهم"[3]، وفي وصية الإمام علي (عليه السلام) لجيشه، قال: "... ولا يحملنّكم شنآنهم على قتالهم، قبل دعائهم والأعذار إليهم"[4].

١١- التحذير من تخريب الموارد الاقتصادية :

قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[5] الأشجار والمزارع ونحوها، تمثل ما يصطلح عليه اليوم بـ(البنى التحتية للدولة) وحيث أنَّ الدين غايته من الحرب كسر وتحطيم الأغلال التي تلتف حول أعناق العباد، وتجعلهم يعيشون تحت وطأة الفقر والجوع والحرمان والظلال، ولهذا كان النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يحرص كثيراً في وصيته لقادة الجيش بضرورة تجنّب تخريب تلك الموارد الاقتصادية التي يعتاش عليها الناس، كالأشجار والمزارع والبهائم ونحوها، إلّا ما اضطروا إليه وكان عائقاً من تقدّم الجيش الإسلامي، فقد روى الشيخ الكليني (رحمه الله) عن "علي بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان إذا بعث أميراً له على سرية أمره بتقوى الله عزَّ وجلّ في خاصة نفسه ثم في أصحابه عامة، ثم يقول: اغز بسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله ،

---

(١) الكافي: الكليني: ٣٦/٥.

(٢) مستدرك الوسائل: ميرزا حسين النوري: ٣٠/١١.

(٣) كنز العمال : المتقي الهندي: ٤٦٩/٤.

(٤) نهج البلاغة : الشريف الرضي: ١٤/٣.

(٥) سورة البقرة : الآية ١٩٠.

ولا تغدروا ولا تغلوا وتمثلوا ولا تقتلوا وليداً ، ولا متبتلاً في شاهق ، ولا تحرقوا النخل ولا تغرقوه بالماء ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تحرقوا زرعاً ؛ لأنكم لا تدرون لعلكم تحتاجون إليه ولا تعقروا من البهائم مما يؤكل لحمه إلّا ما لا بُدَّ لكم من أكله...) [١].

ثانيا ـ آداب الحرب في السُنَّة الشريفة

وردت في السُنَّة النبوية المطهرة واحاديث أئمة الهدى (عليهم السلام) آداب كثيرة للحرب والتي منها :

١-النهي عن قطع الماء:

كلما يتوقف عليه النصر في الحرب جاز استخدامه، كقطع الماء على الكفار ليموتوا عطشا، وقد ادعى الإجماع على ذلك الشيخ الجواهري، إذ قال: " ويجوز... وقطع الأشجار والقذف بالنار وإرسال الماء لينصرفوا به ومنعه عليهم ليموتوا عطشا (وكلما يرجى به الفتح) بلا خلاف أجده فيه"[٢]، نعم في حال لم يتوقف النصر على قطع الماء فلا يجوز قطعه حينئذ، ويدلُّ على ذلك قول أمير المؤمنين في صفين وبعد سيطرة معاوية على الماء ومنعه جيش الإمام علي (عليه السلام) منه، ولكن لما انقلب الحال وسيطر الإمام(عليه السلام) على الماء بعث إلى معاوية، قائلا: " إنَّا لا نكافيك بصنعك، هم إلى الماء فنحن وأنتم فيه سواء ، فأخذ كل واحد منهما بالشريعة مما يليه، وقال علي (عليه السلام) لأصحابه: أيها الناس، إنَّ الخطب أعظم من منع الماء"[٣].

٢- النهي عن قتل الشيخ الفاني والصبيان والنساء:

أجمعت كلمة فقهاء المسلمين من الشيعة والسُنَّة على عدم جواز قتل هذه الأصناف الثلاثة؛ لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نهى عن قتلهم، فمن طرق العامة ما أورده البخاري في باب قتل النساء والصبيان، قوله: "حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال قلت لأبي أسامة حدثكم عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال وجدت امرأة مقتولة في بعض مغزى رسول

---

(١) الكافي: الكليني: ٥/ ٢٩.

(٢) جواهر الكلام: ٦٥/٢١.

(٣) وقعة صفين: ابن مزاحم المنقري، تح: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ، مطبعة المدني، ط٢، القاهرة – مصر، ١٣٨٢هـ: ١٩٣.

الله (ﷺ) فنهى رسول الله (ﷺ) عن قتل النساء والصبيان"[١]، ودليل النهي عن قتل الشيخ ما جاء في سنن أبي داوود عن: "حدثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا يحيى بن آدم وعبيد الله بن موسى، عن حسن بن صالح، عن خالد بن الفزر، حدثني أنس بن مالك، أن رسول الله (ﷺ) قال: "انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملَّة رسول الله، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ..."[٢].

ومن طرق الإمامية فقد ورد عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمارة قال: أظنه – عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: "كان رسول الله (ﷺ): إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه ثم يقول: سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملَّة رسول الله، لا تغلوا ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأة ..."[٣].

ويجوز قتل الشيخ والمرأة والصبي في عدة موارد ذكرها الفقهاء وهي كالآتي:

أ- فيما لو تترس بهم العدو، والتترس يعني: "التستّر بالترس وتترس بالترس: توقى"[٤]، وتترس العدو بهم يعني أنَّه يتوقى بهم بحيث لا يمكن النصر عليه إلّا بقتلهم، وخصوصاً إذا خيف من الكفِّ عنهم الغلبة لهم، جاز قتلهم في هذه الصورة لأنَّها من موارد الاضطرار حينها؛ ولأنَّ ترك الترس يؤدي إلى تعطيل الجهاد، لئلا يتخذوا ذلك ذريعة إليه[٥]، بل حتى لو تترس الكفار بالمسلم جاز قتل المسلم إذا توقف أمر الانتصار على ذلك، ولم يكن هناك طريق آخر للنصر[٦].

ب- "لو قاتلت المرأة لم يجز قتلها إلّا مع الاضطرار عملاً بعموم النهي، أمَّا مع الضرورة فيجوز قتلها إجماعا للضرورة ولما رواه ابن عباس أنَّ النبي (ﷺ) مرَّ بامرأة مقتولة

---

(١) صحيح البخاري: ٢١/٤.

(٢) سنن أبي داوود: سليمان بن الاشعث السجستاني، تح: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، ط١، بيروت – لبنان ١٩٩٠م: ١ /٥٨٨.

(٣) الكافي: الكليني: ٢٧/٥.

(٤) لسان العرب: ابن منظور: ٦/ ٣٢.

(٥) يُنظر: جواهر الكلام: الشيخ النجفي: ٦٨/٢١.

(٦) يُنظر: تحرير الاحكام: العلامة الحلي: ١٤٢/٢.

يوم الخندق فقال: من قتل هذه؟ فقال رجل: أنا يا رسول الله، قال: لم ؟ قال نازعتني فأتم سيفي فسكت"[١].

ت- "ولو وقفت امرأة في صف الكفار أو على حصنهم فشتمت المسلمين أو تكشفت لهم جاز رميها قصداً لما روى سعيد حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال: لما حاصر رسول الله (ﷺ) أهل الطائف أشرفت امرأة فكشفت عن قبلها فقال: (ها دونكم فارموها) فرماها رجل من المسلمين فما أخطأ ذلك منها ويجوز النظر إلى فرجها للحاجة إلى رميها؛ لأنَّ ذلك من ضرورة رميها وبذلك يجوز رميها إذا كانت تلتقط لهم السهام أو تسقيهم الماء أو تحرضهم على القتال؛ لأنَّها في حكم المقاتل"[٢].

ث- قتل الشيخ الفاني، قال العلامة الحلي (قدس سره) الكلام: " مسألة: الشيخ من أهل الحرب على أقسام أربعة. أحدها: أن يكون له رأي وقتال فيجوز قتله إجماعاً. الثاني: أن يكون فيه قتال ولا رأي له فيجوز قتله أيضاً. الثالث: أن يكون له رأي ولا قتال فيه فيجوز قتله أيضا إجماعاً؛ لأنَّ دريد بن القيمة قتل يوم خيبر وكان عمره مائة وخمسون سنة وكان له معرفة الحرب وكان المشركون يحملونه معهم في قفص حديد ليعرفهم كيفية القتال فقتله المسلمون ولم ينكر عليهم النبي (ﷺ). الرابع: أن لا يكون فيه قتال ولا رأي له كالشيخ الفاني فهذا لا يجوز قتله عندنا"[٣]. ويلحق بالشيخ الفاني الأعمى والمقعد والخنثى المشكل، ويقتلون في حال الاضطرار والضرورة[٤].

٣- النهي عن إلقاء السم:

لا يجوز القاء السم في بلاد المشركين؛ للنهي الوارد عن رسول الله (ﷺ)، فقد روى الشيخ الكليني عن "علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): نهى رسول الله (ﷺ) أن يلقى السم في بلاد المشركين"[٥]؛ لأنَّ في القاء السم هلاك من لا يجوز قتلهم كالصبيان والنساء

(١) منتهى المطلب: العلامة الحلي: ٢/ ٩١١.

(٢) المغني: ابن قدامة: ٥٠٤/١٠.

(٣) منتهى المطلب: ٩١١/٢.

(٤) يُنظر: جواهر الكلام، الشيخ النجفي: ٧٦/٢١.

(٥) الكافي : الكليني: ٢٨/٥.

والمجانين[١]، وقد حمل العلامة الحلي النهي على الكراهة، وقال بجواز قتال أعداء الدين بكل ما فيه ضرر[٢]، ولا شكَّ أنَّ القول بالجواز في حال الاضطرار لا مطلقا، كما يُفهم من كلمات الأعلام ومن تصريحاتهم في مواضع كثيرة[٣].

٤- كراهة تبييت العدو:

أي كراهة ملاقاة العدو ليلاً، والأفضل ملاقاته في النهار، وأفضل الأوقات ما كان بعد زوال الشمس، ويستثنى من ذلك حالات الاضطرار[٤]، قال العلامة الحلي (قدس سره) : يكره تبييت العدو غارين ليلاً، وإنَّما يلاقون بالنهار، ولو احتيج إليه فعل، لما روى العامة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان إذا طرق العدو ليلاً لم يغر حتى يصبح"[٥]. ومن طريق الخاصة: الخاصة: قول الصادق (عليه السلام): " ما بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عدواً ليلاً "[٦]. إذا عرفت هذا، فيستحب أن يكون القتال بعد الزوال؛ لأنَّه ربما يحضر وقت صلاة الظهر فلا يمكنهم أداؤها، بخلاف العشاءين؛ لأنَّهم يمتنعون عن القتال بدخول الليل. قال الصادق (عليه السلام): "كان علي (عليه السلام) لا يقاتل حتى تزول الشمس" [٧]"[٨].

٥- حرمة الغدر:

والغدر يعني: "ترك الوفاء ونقض العهد"[٩]، ولا يجوز الغدر بالعدو بعد إعطاءه الأمان وقد أجمع الفقهاء على ذلك[١٠]، فالغدر قبيح في نفسه، وقد ورد عن أمير المؤمنين(عليه السلام) قوله: "لولا كراهة الغدر كنت من أدهى الناس، ألا إنَّ لكل غدرة فجرة

---

(١) يُنظر: الاقتصاد، الطوسي: ٣١٣.

(٢) يُنظر: تذكرة الفقهاء: العلامة الحلي: ٧٠/٩.

(٣) يُنظر: جواهر الكلام: الشيخ النجفي: ٢١/ ٦٧.

(٤) يُنظر: النهاية في مجرد الفقه والفتاوى: شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، انتشارات قدس محمدي، قم – إيران: ٢٩٨.

(٥) مسند احمد: احمد بن حنبل: ٦٦/٤.

(٦) التهذيب: الطوسي: ١٧٤/٦.

(٧) الكافي: الكليني: ٢٨/٥.

(٨) تذكرة الفقهاء :٧١/٩.

(٩) مجمع البحرين: الشيخ فخر الدين الطريحي، تح: السيد حمد الحسيني، مطبعة طراوت، ط٢، ١٣٨٦هـ :٤٢١.

(١٠) يُنظر: جواهر الكلام: الشيخ النجفي: ٧٨/٢١.

ولكل فجرة كفرة، ألا وأنَّ الغدر والفجور والخيانة في النار"[١]، وقال في وصيته لمالك الاشتر (رحمه الله): "وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت فإنه ليس من فرائض الله شئ الناس أشد عليه اجتماعا مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود. وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر. فلا تغدرن بذمتك، ولا تخيسن بعهدك، ولا تختلن عدوك، فإنه لا يجترئ على الله إلّا جاهل شقي. وقد جعل الله عهده وذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته وحريماً يسكنون إلى منعته ويستفيضون إلى جواره. فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه"[٢]، كما مرَّ علينا وصية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قادة الجيش، بقوله: (ولا تغدروا).

٦- النهي عن قتل الرهبان:

وهم الذين حبسوا أنفسهم عن الناس وتفرغوا للعبادة[٣]، فقد روى أحمد بن حنبل، قال "حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو القاسم بن أبي الزناد قال أخبرني ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا بعث جيوشه قال اخرجوا بسم الله تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع"[٤]، واختلفت الآراء عند فقهاء الإمامية بين قائل بالجواز وقائل بالعدم في تفاصيل كثيرة ذكرها الشيخ محمد حسن النجفي[٥].

٧- النهي عن قتل الرسل:

ومن آداب الحرب النهي عن قتل الرسل الذين يأتون بالأخبار لما رواه أحمد قال: "حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا يزيد أنبأنا المسعودي حدثني عاصم عن أبي وائل قال: قال عبد الله حيث قتل ابن النواحة أنَّ هذا وابن أثال كانا أتيا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رسولين لمسيلمة

---

(١) الكافي: الكليني: ٣٣٨/٢.

(٢) نهج البلاغة : الشريف الرضي: ١٠٧/٣.

(٣) يُنظر : شرح معاني الآثار: أحمد بن محمد بن سلمة الطحاوي، تح: محمد زهري النجار ، دار الكتب، ط٣، القاهرة، ١٤١٦هـ: ٢٢٥/٣.

(٤) مسند احمد: ٣٠٠/١.

(٥) جواهر الكلام: ٧٦/٢١.

الكذاب فقال لهما رسول الله (ﷺ): أتشهدان أني رسول الله: قالا نشهد أنَّ مسيلمة رسول الله، فقال لو كنت قاتلاً رسولا لضربت أعناقكما"[١].

٨- **النهي عن قتل من أمنه المسلمون:**

من سنن رسول الله (ﷺ) إن لو أعطى فرداً مسلماً من أفراد الجيش – ولو كان عبداً ـ الأمان لأحد المشركين وجب على جميع الجيش احترام ذلك الأمان وعدم إبطاله أو مخالفته، فعن "علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: ما معنى قول النبي (ﷺ): (يسعى بذمتهم أدناهم)؟ قال: لو أنَّ جيشاً من المسلمين حاصروا قوماً من المشركين فأشرف رجل فقال: أعطوني الأمان حتى ألقى صاحبكم وأناظره فأعطاه أدناهم الأمان وجب على أفضلهم الوفاء به"[٢].

المطلب الثاني

آداب ما بعد الحرب

في هذا المطلب من البحث يأتي الكلام عن الآداب التي يجب مراعاتها بعد الانتهاء من المعركة، والتي منها:

١-**النهي عن المثلة:**

المثلة في اللغة، يقال: "مثلت بالحيوان أمثل به مثلاً، إذا قطعت أطرافه وشوهت به، ومثلت بالقتيل، إذا جدعت أنفه، أو أذنه، أو مذاكيره، أو شيئاً من أطرافه. والاسم: المثلة. فأما مثل، بالتشديد، فهو للمبالغة"[٣]. ولا يجوز التمثيل بقتلى الكفار كقطع آنافهم أو آذانهم أو سمل عيونهم ونحو ذلك من الأفعال والممارسات وقد قام الإجماع على ذلك[٤]، وقد مرَّ في وصايا الرسول الأعظم (ﷺ) لقادة الجيش، النهي عن التمثيل، مضافاً إلى ما ورد عن الإمام علي (عليه السلام) في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام)، قوله: "... ولا تمثل بالرجل فإني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب

---

(١) مسند احمد: ١/٣٩١-٣٩٢.

(٢) الكافي: الكليني: ٥/٣١.

(٣) لسان العرب : ابن منظور ، ١١/ ٦١٥

(٤) يُنظر: جواهر الكلام : الشيخ النجفي: ٢١/٧٧.

العقور"[1]، وهذه الوصية وإن كانت في مورد خاص الا أن الحديث الذي استدل بها الإمام (عليه السلام) عامّ يشمل الحرب أيضا ، بل هو للحرب أقرب ؛ لأنها محل الضرب الطعان والقتل .

٢-الرفق بالأسير واطعامه:

الأسير في اللغة: "كأَمِير هو بمعنى المَأْسُورِ، وهو المَرْبُوطُ بالإسارِ، ثم استُعمِلَ في الأخِيذِ مطلقاً ولو كان غيرَ مربوطٍ بشيْءٍ، والإسار: القَيْدُ، ويكونُ حَبْلَ الكِتَافِ، ومنه الأسِيرُ، أي المُقَيَّدُ يقال: أسَرْتُ الرَّجلَ، أسْراً وإساراً، فهو أسِيرٌ ومَأْسُور، كلُّ محبوسٍ في قِدٍّ أو سِجْنٍ: أسِيرٌ"[2].

وفي الاصطلاح : "هم الرجال المقاتلون من الكفار إذا ظفر المسلمون بهم أحياء"[3]، فبعد أن يصبح الجندي المحارب أسيراً أي: لا حول له ولا قوة، أمرَ الإسلام بإكرامه، وحسن معاملته، والرفق به، كما لو أنَّه اختار طريق الهداية، فقد وعده الله تعالى بالمغفرة، قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[4]، فقد وعدهم الباري تعالى بتعويض ما أُخذ منهم من الدية وغفران ذنوبهم وتكفير سيئاتهم[5]، وقد أوصت الشريعة بهم خيراً، ولهذا وردت آداب كثيرة في الروايات يجب مراعاتها في التعامل مع الأسرى، نكتفي بذكر طرف منها:

أ- **تركه اذا عجز عن السير:** إذا عجز الأسير عن السير ولم يكن هناك ما يحمل عليه وجب تركه، كما أنَّه إذا أسلم حقن بذلك دمه، فقد روى الكليني عن "علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن عيسى بن يونس الأوزاعي، عن الزهري، عن علي بن الحسين (صلوات الله عليهما) قال: إذا أخذت أسيراً فعجز عن المشي وليس معك محمل ، فأرسله ولا تقتله ؛ فإنَّك لا تدري ما حكم الإمام فيه، قال:

---

(١) بحار الانوار: المجلسي: ٢٤٦/٤٢.

(٢) تاج العروس: الزبيدي: ٦ /٢٣.

(٣) معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية : محمد عبد الرحمن عبد المنعم: ١٧٥/١.

(٤) سورة الانفال : الآية ٧٠.

(٥) يُنظر: التفسير الكاشف: مغنية: ٩٠٦/٣.

وقال: الأسير إذا أسلم فقد حقن دمه وصار فيئا"[١]، ويستثنى من ذلك ما لو خيف أن يلحق الأسير بالمشركين ويحصل لهم قوة به، وبهذه الحال جاز قتله بل وجب، لما روي عن ابي عبد الله (عليه السلام): " أنَّه قال في رجل من المسلمين اشترى مشركاً في أرض الحرب فلم يطق المشي، ولم يجد ما يحمله عليه، وخاف إن تركه أن يلحق بالمشركين، قال: "يقتله ولا يدعه، وكذلك ينبغي أن يفعل في ما لم يطق المسلمون حمله من الغنيمة، قبل أن تقسم وبعد أن قسمت"[٢].

ب- **إطعام الأسير**: فقد ورد عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد، عن حريز، عن زرارة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: "إطعام الأسير حق على من أسره وإن كان يراد من الغد قتله فإنه ينبغي أن يطعم ويسقي و [يظل] ويرفق به، كافراً كان أو غيره"[٣]، وقد أوصى أمير المؤمنين (عليه السلام) الإمام الحسن (عليه السلام) بقاتله عبد الرحمن بن ملجم (لعنه الله) بعد أن شرب قعباً من لبن ثم نحاه عن فيه، وقال: "احملوه إلى أسيركم، ثم قال للحسن (عليه السلام): بحقي عليك يا بني إلّا ما طيبتم مطعمه ومشربه، وارفقوا به إلى حين موتي، وتطعمه مما تأكل وتسقيه مما تشرب حتى تكون أكرم منه"[٤]، وقد كان ديدن أئمة الهدى الرفق بالأسير، وإيثاره على أنفسهم، حتى نزل فيهم[٥] قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[٦]، واختُلف في ضمير (حُبِّهِۦ) فأرجعه بعضهم إلى الطعام أي: أنَّهم كانوا بأمس الحاجة إليه ورغم ذلك آثروا الأسير على أنفسهم، ورأي آخر أرجع الضمير إلى الله تعالى، أي: على حب الله، فيكون المعنى: أنَّهم أكرموا الأسير حباً لله تعالى الذي أوصى بالأسير خيراً[٧]، لقول رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): "استوصوا بالأسرى خيراً"[٨].

---

(١) الكافي: الكليني: ٣٥/٥.

(٢) مستدرك الوسائل : النوري: ١٣٠/١١.

(٣) الكافي: الكليني: ٣٥/٥ .

(٤) بحار الانوار: المجلسي: ٢٨٩/٤٢.

(٥) يُنظر: فضائل الخمسة من الصحاح الستة: السيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي: ٢٥٤/١.

(٦) سورة الدهر: الآية ٨.

(٧) يُنظر: الميزان: الطباطبائي: ٢٠ /١٢٦.

(٨) المغازي: الواقدي١١٩/١.

والرأي الأرجح عندي هو الثاني دون الأول ؛ فالطعام مهما بلغ حبهم اليه لا يداني ذلك الحب حب الباري تعالى أبدا بالنسبة اليهم .

ج- **كسوته:** الإكساء من الأشياء الضرورية للإنسان، فلا يُترك الأسير من دون إكساء يقيه حرَّ القيظ وشدة البرد، فقد روى الحاكم قال: "أخبرنا أبو سعيد أحمد بن يعقوب الثقفي ثنا موسى بن هارون ثنا شعيب بن عمرو ثنا سفيان بن عيينة عن محمد ابن المنكدر عن جابر قال كان العباس بالمدينة فطلبت الأنصار ثوباً يلبسونه فلم يجدوا قميصاً يصلح عليه إلّا قميص عبد الله بن أبي فكسوه إياه قال جابر: وكان العباس أسير رسول الله (ﷺ) يوم بدر وإنَّما أخرج كرهاً فحمل إلى المدينة فكساه عبد الله بن أبي قميصه فلذلك كفنه رسول الله (ﷺ) في قميصه مكافاة لما فعل بالعباس"[1].

د- **مداوته:** ومن آداب التعامل مع الأسير، مداواته فيما لو كان مجروحاً؛ كون الإحسان حقاً واجباً له لاسيما إن كان مسلماً من البغاة، فقد داوى الإمام علي (عليه السلام) أربعون رجلاً من الخوارج ثم أمرهم بالالتحاق بأي بلد شاءوا[2].

٣-حسن التعامل مع السبي:

السبي في اللغة: "السِّباءُ والسَّبْيُ: الإسم. وتَسابَى القومُ إذا سَبَى بعضهم بعضاً. يقال: هؤُلاء سَبْيٌ كثير، وقد سَبَيْتهم سَبْياً وسِباءً، وقد تكرر في الحديث ذكر السَّبْيِ والسَّبِيَّة والسَّبايا، فالسَّبْيُ: النَّهْبُ وأَخْذُ الناسِ عَبيداً وإماءً، والسَّبِيَّة: المرأَة المَنْهوبة"[3]

وفي الاصطلاح: هم النساء والأطفال الذين تحصل عليهم المسلمون بعد المعركة من الأعداء[4].

---

(١) المستدرك: ٣/٣٣١.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه :٢١٩.

(٣) لسان العرب: ابن منظور: ١٤/٣٦٨.

(٤) نظرية الحرب في الإسلام وأثرها في القانون الدولي العام: د. ضو مفتاح عمق : دار الكتب الوطنية ، ط١، بنغازي، ١٤٢٦هـ: ٣٧١.

وهذا ما يميّز السبي عن الأسير ، فالظاهر ممّا مرّ ان الأسير لفظ يقع على الرجال المحاربين الذين يقعون في أيدي المسلمين ، والسبي هم الأطفال والنساء من جيش العدو .

وقد أوصى بهم الباري تعالى خيراً، بقوله جلَّ وعلا: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾[1]، إذ توصي الآية "بالإحسان إلى العبيد والأرقاء، وبهذا تكون الآية – في الحقيقة – قد بدأت بحقِّ الله، وختمت بحقوق العبيد، لعدم انفصال هذه الحقوق بعضها عن بعض. على أنَّ هذه الآية ليست هي الآية الوحيدة التي توصي بالعبيد"[2].

وللسبي آداب يجب مراعاتها في التعامل معهم انطلاقاً من رحمة الإسلام، والتي منها[3]:

أ- **عدم تضيع السبي** : إذا كان في قدرة الجيش الإسلامي أن يخرج معه السبايا إلى دار الإسلام كان ذلك من باب إخراجهم من ديار الحرب والخطر عليهم وهم ضعفة، اما اذا لم يقدروا على إخراجهم فيتركوهم ويتركون معهم الطعام والشراب والمال ما يكفي لسد احتياجهم.

ب- **الّا يفرق في السبي بين الوالدة وولدها:** ومن رحمة الإسلام أمره بعدم التفريق بين الوالدة ووليدها، فقد روى أحمد بن حنبل عن عبد الله حدثني أبي ثنا حسن بن موسى ثنا عبد الله بن لهيعة ثنا حيى بن عبد الله المعافري عن أبي عبد الرحمن الحبلى قال: "كنا في البحر وعلينا عبد الله بن قيس الفزاري ومعنا أبو أيوب الأنصاري فمر بصاحب المقاسم وقد أقام السبي فإذا امرأة تبكي فقال ما شأن هذه، قالوا: فرقوا بينها وبين ولدها، قال: فأخذ بيد ولدها حتى وضعه في يدها، فانطلق صاحب المقاسم إلى عبد الله بن قيس فأخبره فأرسل إلى أبي أيوب فقال: ما حملك على ما صنعت، قال:

---

(١) سورة النساء: الآية ٣٦.

(٢) الأمثل: مكارم الشيرازي: ٢٣٤/٣.

(٣) يُنظر: الأمثل: مكارم الشيرازي: ٢٣٤/٣.

سمعت رسول الله (ﷺ) يقول من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين الأحبة يوم القيامة"[١]، وفي الكافي عن محمد، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن ابن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنَّه قال: في الرجل يشتري الغلام أو الجارية وله أخ أو أخت أو أب أو أم بمصر من الأمصار قال: "لا يخرجه إلى مصر آخر إن كان صغيراً ولا يشتره فإن كانت له أم فطابت نفسها ونفسه فاشتره إن شئت"[٢].

ت-**الّا يمرر السبايا على أقاربهم من القتلى:** إذ إنّ الفطرة الإنسانية، والرحمة المودعة في قلب الإنسان، تأبى بأن تمر امرأة على جثة ولدها وهو مرمل بالدماء، أو زوجها، أو أحد أرحامها؛ لما يحدثه ذلك من الألم النفسي في داخلها، ولهذا قرّع النبي(ﷺ) بلالاً بعد أن مرَّ بصفية بنت حيي بن أخطب (رضي الله عنها) على جثث قومها وقد أراد بذلك أن يريها مصارعهم ، فقال له النبي (ﷺ): "لقد ذهبت منك الرحمة"[٣]، وهكذا نلاحظ أنَّ الحالة وإن كانت حرباً إلّا أنَّ نظرة الرحمة بالناس هي السائدة منذ بدء العمليات الحربية وإلى أن يصير الناس تحت حكم الإسلام الذي هو رحمة للعالمين.

ث-**اكرام الكريمات منهن:** فقد أكرم رسول الله (ﷺ) سفانة بنت حاتم الطائي بمنّه عليها وإعطائها نفقة وكسوة وردها ومن معها من الأسرى من أبناء قومها إلى مأمنهم[٤]، كما أكرم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بنات يزدجرد ومنع بيعهن في الأسواق، وقد وهب حقه فيهن، ووهب المهاجرين والأنصار حقوقهم إكراما له، ثم اعتقهن وزوجهن[٥]، وقال (عليه السلام): "إنَّ رسول الله (ﷺ) كان إذا أتته كريمة قوم لا ولي لها وقد خطبت يأمر أن يقال لها: أنت راضية بالبعل، فإن استحييت وسكتت جعل إذنها صماتها، وأمر بتزويجها. وإن قالت: لا، لم تكره على ما تختاره..."[٦].

---

(١) مسند أحمد: أحمد بن حنبل: ٤١٣/٥.

(٢) الكافي: الكليني: ٢١٩/٥.

(٣) شرح السير الكبير: السرخسي: ٢٨١/١.

(٤) يُنظر: تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر: ٢٠٤/٦٩.

(٥) يُنظر: بحار الانوار: المجلسي: ١٣٤/٣١.

(٦) المصدر نفسه: ١٣٤/٣١ .

٤-العفو بعد السيطرة:

العفو من افضل الخصال وأرفعها شأناً وأعلاها قيمة، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[١]،"إنَّ كظم الغيظ أمر حسن جداً، إلّا أنَّه غير كاف لوحده، إذ من الممكن أن لا يقلع ذلك جذور العداء من قلب المرء، فلابدَّ للتخلص من هذه الجذور والرواسب أن يقرن (كظم الغيظ) بخطوة أخرى وهي (العفو والصفح) ولهذا أردفت صفة (الكظم للغيظ) التي هي بدورها من أنبل الصفات بمسألة العفو"[٢]. والروايات الناطقة بفضل العفو ومنزلته كثيرةً جداً، نكتفي بذكر طرف منها، فقد ورد عن الإمام علي (عليه السلام) قوله: "أحسن أفعال المقتدر العفو"[٣]، وقال: "عند كمال القدرة تظهر فضيلة العفو"[٤]، فكان نهج محمد واله العفو بعد المقدرة، فقد عفا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن أكابر مجرمي مكة بعد الفتح ممن كان يستحق القتل منهم، ووقف بينهم قائلاً: "يا معشر قريش ويا أهل مكة ما ترون إنى فاعل بكم، قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، ثم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء"[٥]، كما عفا الإمام علي (عليه السلام) عن أهل البصرة بعد إيوائهم للفتنة، ونصرتهم للشيطان، فبعد أن نصره الله عليهم، وقف بينهم قائلا: " ... يا أهل البصرة: نكثتم بيعتي، وظاهرتم علي ذوي عداوتي، فما ظنكم يا أهل البصرة الآن؟ . فقام إليه رجل منهم فقال: نظن خيراً يا أمير المؤمنين ، ونرى أنك ظفرت وقدرت ، فإن عاقبت فقد أجرمنا، وإن عفوت فالعفو أحب إلى رب العالمين. فقال(عليه السلام) قد عفوت عنكم فإياكم والفتنة"[٦].

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٣٤.

(٢) الأمثل : مكارم الشيرازي: ٦٩٩/٢.

(٣) ميزان الحكمة : الريشهري : ٢٠١٥/٣.

(٤) ميزان الحكمة : الريشهري : ٢٠١٦/٣.

(٥) تاريخ الطبري : الطبري: ٣٣٧/٢.

(٦) الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة : محمد بن محمد بن النعمان البغدادي (المفيد) ،دار الأنصار ، مطبعة سيد الشهداء (عليه السلام)، ط١، بيروت – لبنان ، ١٤٣٠هـ: ٣٠٧.

٥-عدم قتل المدبر والاجهاز على الجريح:

كان مما أوصى به الإمام علي (عليه السلام) جيشه، أن قال لهم: "... فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ – فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِراً ولَا تُصِيبُوا مُعْوِراً – ولَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ"[١]، قال البحراني: "مدبرا: أي مولّياً هارباً ولا يصيبوا معوراً، وهو الَّذي أمكنتهم الفرصة في قتله بعد انكسار العدوّ كالمعور من الصيد، وقيل: أراد بالمعور المريب وهو الَّذي وقع فيه الشكّ أنَّه محارب أم لا: أي لا تقتلوا إلَّا من علمتم أنّه محارب لكم، كما أوصاهم : أن لا يجهزوا على جريح"[٢]، أمَّا إذا كان المدبر والجريح يعود إلى فئة فيستعيد قواه ويعود إلى الحرب، فحينها يُقتل المدبر ويُجهز على الجريح، بل يُقتل حتى الأسير، لما رواه الكليني(رحمه الله) عن: "علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن سليمان المنقري، عن حفص بن غياث قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الطائفتين من المؤمنين إحداهما باغية والأخرى عادلة فهزمت العادلة الباغية؟ فقال: ليس لأهل العدل أن يتبعوا مدبراً ولا يقتلوا أسيراً ولا يجهزوا على جريح وهذا إذا لم يبق من أهل البغي أحد ولم يكن لهم فئة يرجعون إليها فإذا كان لهم فئة يرجعون إليها فإن أسيرهم يقتل ومدبرهم يتبع و جريحهم يجهز[٣].

٦-عدم تجويع الأعداء :

ومن الشواهد على ذلك أن ثمامة بن أثال بعد إسلامه منع الميرة أن تصل إلى قريش، وقد أضرَّها ذلك، فكتبت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تناشده الرحم، فقالوا: " إنَّك تأمر بصلة الرحم، فكتب إلى ثمامة أن يخلي فيما بينهم وبين الحمل إليهم"[٤]، وهذا ما يدلُّ على سمو الإسلام ورفعة أخلاقه، وأنَّه لا يجازي أعداءه بالمثل، وإن ذلك الخُلق كان شائعاً ومعروفاً عن رسول الله (عليه السلام) بين أعداءه، حتى أنَّهم كانوا يستنجدون به عند الشدائد، كما في هذه الحادثة .

هذا والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين.

---

(١) نهج البلاغة : الشريف الرضي : ١٥/٣.

(٢) شرح نهج البلاغة : ٤/ ٣٨٤. بتصرف يسير .

(٣) شرح نهج البلاغة : ٤/ ٣٢.

(٤) نيل الاوطار: الشوكاني: ١٤٣/٨.

الخَاتمة

الخَاتمة

النتائج والتوصيات

أولا : النتائج

١- من خلال استعراض الآيات والروايات التي فسرت القوة ومن خلال استعراض أقوال العلماء حول مفردة القوة واطلاقها وسعتها، يتضح جلياً أنَّ الدين لا يختص بعصر دون آخر، بل انَّه يواكب جميع العصور، ويضع حلولاً لجميع المشاكل والمعوقات التي تقف دون تقدّم الإنسانية نحو السلام.

٢- كما انَّه يهتم كثيراً بمسألة الحرب ومسألة الإعداد المناسب لها، وأنَّها مسؤولية عامة تقع على عاتق المؤمنين جميعاً ولا تختص بالسلطات الحاكمة، وكذلك يهتم كثيراً بنشر السلام على ربوع المعمورة من خلال ردع القوى الظالمة ومنعها من التعسف واستعمال القوة بحق شعوبها .

٣- إنَّ دفع الدين للمؤمنين للتمكن من أسباب القوة ورسم خارطة الطريق لذلك، ليس الهدف منه السيطرة على الشعوب ونهب مقدراتها أو نشر الإسلام بقوة السيف، وإنَّما الهدف من ذلك الدفاع عن الإنسانية بشكل عام وبغض النظر عن دياناتها واعتقاداتها، وفتح الطريق أمامها ليتاح لها حرية الاختيار في معتقدها أو ممارساتها.

٤-ولتحقيق تلك الأهداف السامية لابدَّ من إصلاح النظام العسكري الداخلي، من هنا وضع الدين الأسس والمقاييس الصحيحة لاختيار قادة الحرب، من صفات ومؤهلات مهمة لابدَّ للقائد منها ليتمكن من الانتصار في الحرب، كما وضع عليه واجبات واعطاه حقوق، وكذلك الحال مع الجند فقد ذكر لهم واجبات ينبغي عليهم العمل بها إن كانوا يريدون وجه الله بجهادهم، كما فرض لهم حقوقاً كثيرة، وأمر القيادة بأن تراعي تلك الحقوق ولا تتعدى عليها، كل ذلك ليكون الجيش من الداخل مبنياً بناءً متراصاً لا يمكن اختراقه أو زعزعته، وهذه أولى خطوات النصر.

٥-واذا تحرك الجيش إلى أرض المعركة لم يهمل الدين وضع الخطط المناسبة والقواعد المهمة للاشتباك العسكري، وكيف يمكن الوصول إلى تحقيق مكتسبات كبيرة بخسائر قليلة، ولهذا ذكر لهم تعاليم كثيرة واوجب على المؤمنين أتباعها، كالاختيار المناسب

لأرض المعركة، او طرق الاشتباك العدو، والأساليب المهمة لتحطيم معنوياته وهكذا.

٦- وفي حال تحقق النصر، فقد وضع الدين مجموعة كبيرة من الآداب المهمة التي تميّز الإنسان المؤمن عن غيره، فعند فورة الغضب وغليان النفس للانتقام، أمر الباري تعالى بالاستعلاء على النفس من خلال المعاملة بالحسنى مع من يقع بأيدي المسلمين، إذ إنَّ غاية الدين هداية الناس وإرشادهم إلى الصراط المستقيم، لا الانتقام منهم.

١-التوصيات

ويمكن إجمال أهمّ التوصيات وفق النقاط الآتية:

أ- ونحن نشهد هذه الحروب الوحشية التي يخوضها البشر مع بعضهم البعض، والتي يذهب ضحيتها الكثير من الأبرياء الذين لا ناقة لهم ولا جمل في تلك الحروب، نوصي أن يُدرّس هذا المنهج الإلهي في الاكاديميات العسكرية، كما ندعوا جميع العقلاء في بقاع الأرض لدراسة هذا النهج الإلهي.

ب- نوصي جميع مراكز الدراسات والأبحاث العلمية، أن تعتني بهذه الموضوعات وأن تكتب عنها كثيراً لتغطي النقص الحاصل فيها من جهة، ولتدفع من خلاله نحو السلام والاستقرار من جهة أخرى.

ت- كما نوصي أصحاب القنوات التلفزيونية والاذاعات والصحف، ومن له قوة أو تأثير على مواقع التواصل الاجتماعي، أن يظهروا هذا التراث العسكري المهم إلى كل الناس، وهذا من خطوات الإعداد المهمة الواجبة علينا كما مرَّ في هذه الدراسة ، مع التنبيه الى أن الدين يولي أهمية بالغة للسلم لا الحرب وهي اضطرار يلجئ اليه الدين كما تبين.

ث- نوصي أصحاب الشأن العسكري كالقادة والجنود وكل من له ارتباط بالمؤسسة العسكرية أن يطالعوا المنهج العسكري الإسلامي لاسيما تلك الكلمات النورانية الكثيرة التي ذكرها علي بن أبي طالب (عليه السلام) في نهج البلاغة حول الحرب .

ج- وكذلك نوصي بدراسة القرآن وقصصه ومضامينه التي تحتوي على الكثير من معاني الحرب والسلم .

ح- وأخيرا نوصي بأن يُكمل أهل البحث من الدراسات الأكاديمية ما تم عرضه من القرآن وكذا السنة والتاريخ تحليلا وتفسيرا وأستنباطا .

المصادر

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١. أبحاث ملتقى العسكرية الإسلامية : المحور السادس، الحرب النفسية في ضوء القران الكريم : النقيب فهد بن عايد العايد .

٢. أجوبة الاستفتاءات: السيد علي الحسيني الخامنئي، دار النبأ للنشر والتوزيع، ط١، الكويت ،١٤١٥هـ :٣٣١/١.

٣. الاحتجاج : أبي منصور احمد بن علي بن ابي طال الطبرسي ، تح: السيد محمد باقر الخرسان دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الاشرف ١٣٨٦هـ.

٤. الأحكام السلطانية والاحكام الدينية :علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي دار التعاون ، مصطفى البابي الحلبي، ط٢، القاهرة، ١٩٦٦م.

٥. أحكام القران: أبو بكر احمد بن علي الرازي الجصاص، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ.

٦. أخلاق الحرب في ضوء القران الكريم: د. عبد الرحمن بن عمر المدخلي، أبحاث ملتقى العسكرية الإسلامية.

٧. أخلاقيات الامام علي أمير المؤمنين(عليه السلام) : السيد هادي المدرسي دار القارئ للطباعة والنشر، ط١، بيروت ـ لبنان ، ١٤٣٤هـ.

٨. أخلاقيات الحروب في السيرة النبوية: حميد الصغير.

٩. الإدارة العسكرية والقائد والقيادة: العميد الركن محمد بن علي الحميميدي، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، الرياض، ١٤٣٩هـ.

١٠. الإرشاد : محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (المفيد) ، تح: مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ.

١١. أساسيات في القيادة والإدارة: هايل عبد المولى طشطوش، دار الكندي للطباعة والنشر، ط١، إربد ـ الأردن، ٢٠٠٨م.

١٢. الإستخبارات العسكرية ودورها في تحقيق الامن القومي للدولة في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي: د. زكي زكي حسين زيدان.
١٣. أسس النظام السياسي عند الامامية : الشيخ محمد السند ، تح: محمد حسن الرضوي ، مصطفى الإسكندري، مطبعة سرور ، الناشر ، ط١، قم ١٤٢٦هـ.
١٤. أصول العلاقات الدولية في الإسلام: عمر أحمد الفرجاني، دار أقرأ، ط٢، ١٩٨٨م.
١٥. أصول عامة في معرفة الإمامة الإلهية: الشيخ محمد رضا الساعدي ، ط١، قم – إيران، ١٤٢٧هـ.
١٦. إعداد الجندي المسلم أهدافه وأسسه: عبد الله بن فريح العقلا، إشراف وتقديم: محمد بن عبد الله بن عرفة ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط١، الرياض – المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ .
١٧. الاقتصاد الهادي الى طريق الرشاد: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي مطبعة الخيام، قم – إيران، ١٤٠٠هـ.
١٨. آلاء الرحمن في تفسير القران: محمد جواد البلاغي النجفي، مطبعة العرفان – صيدا، ١٣٥٢هـ.
١٩. الامالي: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تح: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، دار الثقافة، ط١، قم – إيران، ١٤١٤هـ.
٢٠. الأمثل في تفسير الكتاب المنزل، مكارم الشيرازي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٤٢٦هـ.
٢١. الامن والمخابرات في الفقه الإمامي: حسين الخزاعي، مطبعة كوثر، ط١، ١٤٣٤هـ.
٢٢. بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار : الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، ط٢، بيروت – لبنان، ١٤٠٣هـ.
٢٣. بحوث حول النظام العسكري في الإسلام : احمد زماني، الدار الإسلامية، ط١، بيروت ـ لبنان ١٩٩١هـ.

٢٤. بحوث في الفقه المعاصر: الشيخ حسن الجواهري مجمع الذخائر الإسلامية، ط١، مطبعة ستارة ، قم- ايران، ١٤٢٩هـ
٢٥. بحوث معاصرة في الساحة الدولية: الشيخ محمد السند، مطبعة ستارة، ط١، قم- إيران، ١٤٢٨هـ.
٢٦. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: الامام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني، المكتبة الحبيبية، ط١، باكستان، ١٤٠٩هـ .
٢٧. بلغة الفقيه: السيد محمد بحر العلوم، منشورات مكتب الصادق، ط٤، طهران- إيران،١٤٠٣هـ.
٢٨. تاج العروس من جواهر القاموس: محب الدين أبي فيض الواسطي الزبيدي، تح: علي شبَّر، دار الفكر، ١٩٩٤م.
٢٩. تاريخ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي ، دار احياء التراث العربي ، ط٤ ، بيروت ـ لبنان.
٣٠. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ، تح: الدكتور عمر عبد السلام تدميري ، دار الكتاب العربي ، ط١، بيروت- لبنان ، ١٤٠٧هـ.
٣١. تاريخ الأمم والملوك: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان.
٣٢. تاريخ المخابرات الإسلامية عبر العصور: د. كرم حلمي فرحات ، مكتبة الامام البخاري، ط١، الإسماعيلية – مصر، ١٤٢٨هـ.
٣٣. تاريخ اليعقوبي : احمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي، دار صيدا ، بيروت – لبنان، د.ت .
٣٤. تاريخ مدينة دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ.
٣٥. التبيان في تفسير القران: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تح: أحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة مكتب الاعلام الإسلامي ، ط١، ١٤٠٩هـ .

٣٦. تحرير الاحكام الشرعية على مذهب الامامية: جمال الدين أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر المعروف بالعلامة الحلي، تح: الشيخ إبراهيم البهادري، إشراف: جعفر السبحاني، مطبعة اعتماد، ط١، قم –إيران، ١٤٢٠هـ.
٣٧. تحرير الوسيلة: السيد روح الله الخميني دار الكتب العلمية، مطبعة آداب، ط٢، ١٢٩٠هـ.
٣٨. تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليهم : أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني ، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط٢، قم ، ١٤٠٤هـ.
٣٩. تخريج الاحاديث والآثار: الزيلعي، تح: عبد الله بن عبد الرحمن السعد ، دار ابن خزيمة، مطبعة الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.
٤٠. تذكرة الفقهاء : الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، مهر – قم، ١٤١٤هـ.
٤١. تفسير البحر المحيط: أبي حيان الاندلسي، تح: عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت – لبنان، ١٤٢٢هـ
٤٢. التفسير الحديث: محمد عزة دروزة، دار الغرب الإسلامي، ط٢، بيروت ـ لبنان، ١٤٢١هـ
٤٣. تفسير الرازي : مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي، ط٣، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٤٤. تفسير السمعاني : السمعاني ، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم عباس بن غنيم، دار الوطن ، مطبعة السعودية، ط١، الرياض، ١٤١٨هـ .
٤٥. التفسير الصافي: المولى محسن الملقب بـ(الفيض الكاشاني)، تح: حسين الاعلمي، ط٢، مؤسسة الهادي، قم المقدسة – طهران، ١٤١٦هـ.
٤٦. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، تح: سيد هاشم، المطبعة العلمية، قم المقدسة، ١٣٨٠هـ.

٤٧. تفسير القران المجيد : محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (المفيد)، تـح: السـيد محمـد علـي أيـازي ، مؤسسـة بوسـتان كتـاب ، مكتـب الاعـلام الإسلامي، ط١، قم، ١٤٢٤هـ.
٤٨. تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي، تح: السيد طيب الموسوي، مؤسسة دار الكتاب، ط٣، قم- إيران، ١٤٠٤هـ.
٤٩. التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، ط٣، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٦هـ.
٥٠. التفسير المبين: محمد جواد مغنية ، مؤسسة الكتاب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ.
٥١. التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، الفجالة – القاهرة، د.ت .
٥٢. التفسير الوسيط: الدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر، ط٢، بيروت – لبنان، ١٤٢٧هـ.
٥٣. تفسير جوامع الجامع: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، قم – ايران، ١٤١٨هـ.
٥٤. تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، تح: حسين دركاهي، مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط١، طهران – ايران، ١٣٦٧هـ.
٥٥. تفسير نور الثقلين : الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تح: السيد هشم الرسولي المحلاتي ، مؤسسة الطبع والنشر إسماعيليان ، ط٤، قم – إيران
٥٦. التنقيح في شرح العروة الوثقى تقرير لأبحاث السيد الخوئي: الشيخ علي الغروي، مؤسسة إحياء آثار الأمام الخوئي ، ط٢، قم- إيران، ١٤٢٦هـ.
٥٧. تنقيح مباني العروة (كتاب الطهارة): الميرزا جواد التبريزي، مطبعة وفا، ط١، قم- إيران، ١٤٢٩هـ.
٥٨. تهذيب الاحكام : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تح : السيد حسن الموسوي الخرسان دار الكتب الإسلامية ، مطبعة خورشيد ، ط٣، طهران، ١٣٦٤ش.

٥٩. التوحيد: محمد بن علي بن الحسين (الصدوق)، تح: السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، قم – إيران، د.ت.
٦٠. ثواب الاعمال وعقاب الاعمال: أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (الصدوق) ، تح: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، مطبعة أمير، ط٢، قم، ١٣٦٨ش.
٦١. جامع البيان عن تأويل آي القران: محمد بن جرير الطبري، تق: الشيخ خليل الميس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، ١٤١٥هـ.
٦٢. جامع الشتات: الميرزا القمي، تح: مرتضى رضوي، مؤسسة كهيان، ط١ ، ١٣٧١ش.
٦٣. الجامع لأحكام القران : أبو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي، تح: أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٥هـ .
٦٤. الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة : محمد بن محمد بن النعمان البغدادي (المفيد) ،دار الأنصار ، مطبعة سيد الشهداء (عليه السلام)، ط١، بيروت – لبنان ، ١٤٣٠هـ.
٦٥. الجهاد : احمد محمد الحوفي ، لمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٩٧٠م.
٦٦. الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته: عبد الله بن احمد القادري، دار المنارة، ط٢، المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ.
٦٧. الجهاد والحرب في نهج البلاغة: خليل رزق، دار الولاء ، ط١، ١٤٢٢هـ.
٦٨. الجهاد والقتال في السياسة الشرعية: الدكتور محمد خير هيكل، دار البيارق دار ابن حزم، د.ت.
٦٩. جواهر التاريخ السيرة النبوية عند أهل البيت(عليهم السلام): علي الكوراني العاملي، مطبعة وفا، قم – إيران،١٤٣٠هـ

٧٠. جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: الشيخ محمد حسن الجواهري النجفي ، تح: الشيخ عباس القوجاني، دار الكتب الإسلامية، مطبعة حيدري ، ط٣، طهران – إيران ١٣٦٢ش.
٧١. الحرب الإسلامية منظور إسلامي: د. احمد نوفل، دار الفرقان، عمان – الأردن، ١٤٠٥هـ.
٧٢. الحرب النفسية منذ بداية الدعوة الإسلامية حتى نهاية العصر الاموي: د. حسن عدّاي، دار النوادر، ط١، بيروت– لبنان ،١٤٣١هـ.
٧٣. الحرب النفسية والطابور الخامس : رمزي المنياوي، دار الكتاب العربي، ط١، القاهرة ،٢٠١٠م .
٧٤. حقيقة الدين: جوادي آملي، تعريب: عادل الغريب، ط١، دار الولاء بيروت ـ لبنان، ١٤٣٦هـ.
٧٥. الحكم الإسلامي في مدرسة الامام علي (عليه السلام) : السيد محمد تقي المدرسي، مركز العصر للثقافة والنشر، ط٢، ١٤٣٦هـ.
٧٦. الخدع العسكرية للمسلمين في صدر الإسلام : جمال أحمد سليمان ابو ريدة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة ، د.ت.
٧٧. الخصال : أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الصدوق)، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٣هـ.
٧٨. الخلاف: أبو جعفر الطوسي، تح: السيد علي الخرساني، السيد جواد الشهرستاني، الشيخ مهدي نجف، ط٢، قم– إيران، ١٣٢٠هـ.
٧٩. دراسات في نهج البلاغة : الشيخ محمد مهدي شمس الدين، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢ ، بيروت – لبنان، ١٣٩٢هـ.
٨٠. دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية: الشيخ المنتظري، مكتب الاعلام الإسلامي، ط١، قم – إيران، ١٤٠٨هـ.
٨١. الدروس الشرعية في فقه الامامية: شمس الدين محمد بن مكي العاملي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١.

٨٢. الدعاية والحرب النفسية: د. نضال فلاح الضلاعين وآخرون ،دار الاعصار، ط١، عمان- الأردن ، ١٤٣٦هـ.
٨٣. دليل تحرير الوسيلة (ولاية الفقيه): علي أكبر السيفي المازندراني مؤسسة العروج ، ط١، ١٤١٧هـ.
٨٤. دور أهل البيت (عليهم السلام) في بناء الجماعة الصالحة: السيد محمد باقر الحكيم، مطبعة ليلى، ط٢، ١٤٢٥هـ.
٨٥. الربا فقهياً واقتصادياً: حسن محمد تقي الجواهري ، مطبعة الخيام، قم – إيران، ١٤٠٥هـ.
٨٦. الرحلة المدرسية والمدرسة السيارة في نهج الهدى: الشيخ محمد جواد البلاغي، دار الزهراء، ط٢، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ.
٨٧. رسائل الشريف المرتضى: الشريف المرتضى، تق: السيد أحمد الحسيني، دار القران الكريم، مطبعة الخيام، قم – إيران، ١٤٠٥هـ.
٨٨. الرسول القائد : محمود شيت خطّاب، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة، ط٢، بغداد،١٩٦٠م ..
٨٩. روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه : محمد تقي المجلسي (الأول)، تع: السيد حسين الموسوي الكرماني والشيخ علي يناه الاشتهاردي ، بنياد فرهنك، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٩هـ.
٩٠. زبدة التفاسير: فتح الله بن شكر الله الشريف الكاشاني، تح: مؤسسة المعارف ، مؤسسة المعارف الإسلامية، مطبعة عترت، ط١، قم – إيران، ١٤٢٣هـ.
٩١. السلم وقضايا الحرب عند الامام علي: الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، المركز الإسلامي للدراسات والأبحاث ط١، ١٤٠١هـ.
٩٢. سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت – لبنان.
٩٣. سنن أبي داوود: سليمان بن الاشعث السجستاني، تح: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، ط١، بيروت – لبنان ١٩٩٠م.

٩٤. سنن الترمذي: الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تح: عبد الرحمن محمد عثمان دار الفكر للطباعة والنشر، ط٢، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٣هـ
٩٥. السنن الكبرى: احمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار الفكر ، بيروت – لبنان.
٩٦. السيبرانية هاجس العصر: د. منى الأشقر الجبوري، المركز العربي للبحوث القانونية والقضائية.
٩٧. شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام: المحقق الحلي، تعليق: السيد صادق الشيرازي ، مطبعة أمير، ط٢، قم – إيران، ١٤٠٩هـ.
٩٨. شرح اصول الكافي: مولى محمد صالح المازندراني، تح :الميرزا ابو الحسن الشعراني، تص: السيد علي عاشور، دار احياء التراث، ط١، بيروت – لبنان، ١٤٢١ هـ.
٩٩. شرح السير الكبير: محمد بن الحسن الشيباني، تح: د. صلاح الدين المنجد، مطبعة مصر، ١٩٦٠م.
١٠٠. شرح صحيح مسلم : النووي، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، ١٤٠٧هـ.
١٠١. شرح معاني الآثار: أحمد بن محمد بن سلمة الطحاوي، تح: محمد زهري النجار ، دار الكتب، ط٣، القاهرة، ١٤١٦هـ.
١٠٢. شرح نهج البلاغة: كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، مركز النشر مكتب الاعلام الإسلامي، ط١، تبليغات إسلامي، الحوزة العلمية، قم– ايران.
١٠٣. شرح نهج البلاغة: أبن أبي الحديد المعتزلي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، بيروت، ١٣٧٨هـ.
١٠٤. شعب الايمان: أحمد بن الحسين البيهقي، تح: محمد السعيد، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت– لبنان، ١٤١٠هـ.
١٠٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، ط٤، ص١٤٠٧هـ ، الناشر : دار العلم للملايين – بيروت – لبنان.
١٠٦. صحيح البخاري : الامام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١م.

١٠٧. صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري تح: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ .
١٠٨. الصحيح من سيرة الامام علي (عليه السلام) : السيد جعفر مرتضى العاملي ، دفتر تبليغات إسلامي ، ط١، ولاء المنتظر (عجل الله فرجه)، قم، ١٤٣٠هـ.
١٠٩. صفات القائد العسكري : قلاجون ، الكلية العسكرية الثالثة ، تاريخ النشر : ١٦/ ٤/ ٢٠١٤م.
١١٠. الطبقات الكبرى: محمد بن سعد، دار الصادر، بيروت – لبنان، د.ت.
١١١. عبد الله بن سبأ واساطير أخرى: السيد مرتضى العسكري، ط٦، ١٩٩٢م.
١١٢. العجاب في بيان الأسباب: ابن حجر، تح: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي ، ط١، السعودية، ١٤١٨هـ.
١١٣. العسكرية الإسلامية منذ فجر الإسلام : محمد عبد الواحد حجازي، مكتبة الايمان، ط١، ١٤٣٠هـ.
١١٤. العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية: اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ دار المعارف، القاهرة – مصر، د.ت.
١١٥. العقيدة العسكرية الإسلامية دراسة ومنهج ومقارنة: الدكتور أحمد حسن محمد حسين، مكتبة وهبة، ط١، القاهرة – مصر، ١٤١٩هـ.
١١٦. علل الشرائع : أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (الصدوق) ، تقديم : السيد محمد صدق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الاشرف، ١٣٨٥هـ.
١١٧. عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب إمام الابرار: يحيى بن الحسن المعروف بابن البطريق، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم – إيران ، ١٤٠٧هـ.
١١٨. عون المعبود في شرح سنن أبي داوود: العلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، شرح : ابن قيم الجوزية دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت– لبنان، ١٤١٥هـ.

١١٩. العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ط٢، إيران – قم، ١٤٠٩هـ.
١٢٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري : شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة ، ط٢، بيروت – لبنان.
١٢١. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، عالم الكتب، بيروت – لبنان، د.ت.
١٢٢. الفروع من الكافي: محمد بن يعقوب الكليني، تح: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، مطبعة حيدري، ط٣، طهران – إيران، ١٣٦٧ش.
١٢٣. فضائل الخمسة من الصحاح الستة : السيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط٣، بيروت – لبنان، ١٣٩٣هـ.
١٢٤. فضائل الصحابة: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تح: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة ، ط١، بيروت، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
١٢٥. الفقه الإدارة: السيد محمد الحسيني الشيرازي، دار العلوم، ط١، ١٤١٠هـ.
١٢٦. فقه الامام جعفر الصادق : محمد جواد مغنية، مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر ، مطبعة الصدر ، ط٢، قم، ١٤٢١هـ .
١٢٧. فقه الدولة: الشيخ فاضل الصفار، دار الأنصار ، مطبعة باقري ، ط١، قم – إيران، ١٤٢٦هـ.
١٢٨. فقه السنة: السيد سابق، دار الكتاب العربي ، ط٣، بيروت– لبنان، ١٩٧٧م.
١٢٩. فقه العولمة: السيد محمد الحسيني الشيرازي، مؤسسة الفكر الإسلامي، ط١، بيروت – لبنان، ١٤٢٣هـ.
١٣٠. فن الحرب الإسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والامويين: بسام العسلي، دار الفكر، بيروت – لبنان، د.ت.
١٣١. في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية، انتشارات كلمة الحق، مطبعة ستار، ط١، قم، ١٤٢٧هـ.

١٣٢. القاموس الفقهي لغة واصطلاحا: الدكتور سعدي أبو حبيب ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ ، الناشر : دار الفكر – دمشق – سوريا .
١٣٣. القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م .
١٣٤. القران والقتال: محمود شلتوت، دار الكتاب العربي، القاهرة – مصر، د.ت.
١٣٥. قيادة الرسول (ﷺ) السياسية والعسكرية: احمد راتب عرموش، دار النفائس، ط١، عمان – الأردن، ١٤٠٩هـ.
١٣٦. القيادة العسكرية: محمد الخضيري، وكالة الرأي العربي الإخبارية، ٥ فبراير،٢٠١٧م.
١٣٧. القيادة الفاعلة والإدارة الناجحة: هاشم احمد المطيري ، دار القارئ للطباعة والنشر، ط١، بيروت – لبنان، ١٤٣٦هـ.
١٣٨. القيادة والجندية في الإسلام : الدكتور محمد سيد الوكيل، دار الوفاء، ط٤، مصر،١٤٣٠هـ.
١٣٩. الكافي : محمد بن يعقوب الكليني ، تح، علي أكبر الغفاري ، دار الكتب الإسلامية ، مطبعة حيدري ، ط٣، طهران – إيران ، ١٣٦٧ش.
١٤٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل : أي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٥هـ.
١٤١. كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغرَّاء: الشيخ جعفر كاشف الغطاء، تح: عباس التبريزيان، محمد رضا الذاكري، عبد الحليم الحلي، مكتب الاعلام الإسلامي ، ط١، قم ـ إيران، ١٤٢٢هـ.
١٤٢. كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين : يوسف بن المطهر الحلي ، تح : حسين الدركاهي ، ط١، ١٤١١هـ.
١٤٣. كلمة التقوى: الشيخ محمد أمين زين الدين، جواد الوداعي، ط٢، ١٩٩٣م.

١٤٤. كنز العمال في سنن الاقوال والافعال : علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تح: الشيخ بكري حياتي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان .
١٤٥. لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور، ادب الحوزة، قم ـ ايران، ١٤٠٥هـ.
١٤٦. ما وراء الفقه : السيد محمد الصدر المحبين للطباعة والنشر، مطبعة قلم، ط٣، ١٤٢٧هـ.
١٤٧. المبسوط في فقه الامامية : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تصحيح: السيد محمد تقي الكشفي، المكتبة الرضوية لإحياء آثار الجعفرية، المطبعة الحيدرية، طهران، ١٣٨٧هـ.
١٤٨. المجازات النبوية: الشريف الرضي، تح: د. طه محمد الزيني، مكتبة بصيرتي، قم، د.ت.
١٤٩. المجتمع الديني أو الدولة المدنية: الشيخ محمد السند، مجموعة محاضرات منشورة على اليوتيوب.
١٥٠. مجمع البحرين: الشيخ فخر الدين الطريحي، تح: السيد حمد الحسيني، مطبعة طراوت، ط٢، ١٣٨٦هـ .
١٥١. مجمع البيان في تفسير القران: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تح: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ط١، بيروت ـ لبنان ، ١٩٩٥م.
١٥٢. مختصر سياسة الحروب: الهرثمي، تح: عبد الرؤوف عون، د. محمد مصطفى زيادة ، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، د.ت.
١٥٣. مختصر مفيد: السيد جعفر مرتضى العاملي، المركز الإسلامي للدراسات، ط١، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٥هـ: .
١٥٤. مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، ط١، بيروت ١٤١٩هـ – ١٩٩٨.

١٥٥. مدخل الى الاستراتيجية العسكرية : تر: اكرم ديري، دار الطليعة ، ط١ ، بيروت – لبنان، د.ت.
١٥٦. المدرسة النبوية العسكرية: د. محمد عبد القادر أبو فراس، دار الفراقان، ط١، عمان– الأردن، ١٤١٣هـ.
١٥٧. المذهب العسكري الإسلامي: بسام العسلي، دار النفائس للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣م.
١٥٨. مرآة العقول في شرح اخبار آل الرسول : محمد باقر المجلسي ، تص: السيد هاشم الرسولي، دار الكتب الإسلامية ، مطبعة مروي، ط٢، قم، ١٤٠٤هـ.
١٥٩. المرجع في الحرب النفسية: العقيد مصطفى الدباغ، دار الفارس ، ط١، عمان– الأردن ، ١٩٩٨م.
١٦٠. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الميرزا حسين النوري الطبرسي، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، ط١ ، بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ .
١٦١. مسند أبي يعلى الموصلي: احمد بن علي بن المثنى التميمي، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث ، ط١، دمشق، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.
١٦٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، ط١، القاهرة، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
١٦٣. مصنف ابن ابي شيبة في الاحاديث والاثار : عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم الكوفي، تح: سعيد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، بيروت – لبنان، ١٤٠٩هـ.
١٦٤. المصنف: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي، المكتب الإسلامي، ط٢، بيروت – لبنان، ١٤٠٣هـ.
١٦٥. معاني الاخبار: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الصدوق)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم – إيران.

١٦٦. معجم الفاظ الفقه الجعفري : الدكتور أحمد فتح الله، مطابع المدوخل ، ط١، الدمام، ١٤١٥هـ .
١٦٧. معجم الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، تح: مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٢هـ.
١٦٨. معجم المصطلحات العسكرية: العميد سامي عوض، دار أسامة، ط١، عمان – الأردن، ٢٠٠٨م.
١٦٩. معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية : د. محمد عبد الرحمن عبد المنعم، دار الفضيلة، الرياض، ١٤٣٢هـ.
١٧٠. المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ط٢، استانبول، ١٩٨٩م.
١٧١. معجم لغة الفقهاء: محمد قلعجي ، دار النفائس، ط٢، بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ.
١٧٢. معجم مقاييس اللغة: احمد بن فارس، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت ـ لبنان، ٢٠١٢م.
١٧٣. المعيار والموازنة : أبو جعفر محمد بن عبد الله المعتزلي الاسكافي، تح: محمد باقر المحمودي، ط١، ١٤٠٢هـ .
١٧٤. المغازي: محمد بن عمر (الواقدي) ، تح: د. مارسدن جونس، نشر دانش إسلامي، ١٤٠٥هـ .
١٧٥. المغني: موفق الدين احمد بن محمود بن قدامة دار الكتاب العربي ، المطبعة الجديدة بالأوفست ، بيروت ـ لبنان، د.ت.
١٧٦. مفاتيح الشرائع : المولى محمد محسن الفيض الكاشاني ، تح: السيد مهدي الرجائي ، مطبعة الخيام ، قم ـ إيران، ١٤٠١هـ.
١٧٧. مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة : محمد تقي الخرساني، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ٢٠١٥م .
١٧٨. المفردات في غريب القران: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني، دفتر نشر الكتاب، ط٢، قم، ١٤٠٤هـ.

١٧٩. مقتل الحسين (عليه السلام) : لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سيلم الازدي، تع: حسين الغفاري، المطبعة العلمية – قم، د.ت.
١٨٠. مكاتيب الرسول (صلى الله عليه واله) : الشيخ علي الاحمدي الميانجي، دار الحديث، ط١، طهران ـ إيران، ١٤١٩هـ.
١٨١. من لا يحضره الفقيه: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (الصدوق)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ط٢، قم – ايران، د.ت.
١٨٢. منتهى المطلب في تحقيق المذهب: الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي، تح: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة ، ط١، ١٤١٢هـ.
١٨٣. المهذب : القاضي ابن البراج ، إعداد مؤسسة سيد الشهداء العلمية، إشراف: جعفر السبحاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٦هـ.
١٨٤. مهذب الاحكام في بيان الحلال والحرام: السيد عبد الأعلى السبزوراي، مطبعة جاويد، ط٤، ١٤١٦هـ.
١٨٥. المهذب: القاضي عبد العزيز بن البراج الطرابلسي، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط١، قم، د.ت.
١٨٦. موسوعة احاديث اهل البيت (عليهم السلام): دار إحياء التراث، ط١، بيروت– لبنان ، ١٤٢٣هـ .
١٨٧. موسوعة العقائد الإسلامية: محمد الريشهري، تح: مركز البحوث، ط١، دار الحديث، قم – إيران، ١٤٢٥هـ.
١٨٨. موسوعة الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت (عليهم السلام): مؤسسة دائرة المعارف الفقه الإسلامي، ط١، قم – إيران ١٤٢٣هـ .
١٨٩. ميزان الحكمة : محمد الريشهري ، دار الحديث ، ط١، بيروت، د.ت .
١٩٠. الميزان في تفسير القران: السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة:١٦.

١٩١. نظام الحكم في الإسلام: الشيخ المنتظري، تح: لجنة الأبحاث الإسلامية في مكتب الشيخ المنتظري، ط١، مطبعة هاشميون، قم، ١٣٨٠ش.
١٩٢. نظام الحكم والإدارة في الإسلام: الشيخ محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢، بيروت– لبنان ، ١٤١١هـ ..
١٩٣. نظرية الحرب في الإسلام وأثرها في القانون الدولي العام: د. ضو مفتاح عمق : دار الكتب الوطنية ، ط١، بنغازي، ١٤٢٦هـ.
١٩٤. النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين ابن الاثير، تح: محمود محمد الطناجي ، مؤسسة اسماعيليان، ط٤، قم – إيران ، ١٣٦٤ش.
١٩٥. النهاية في مجرد الفقه والفتاوى: شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، انتشارات قدس محمدي، قم – إيران، د.ت.
١٩٦. نهج البلاغة: الشريف الرضي، تح: الشيخ محمد عبده، مطبعة النهضة، ط١، قم ـ إيران، ١٤١٢هـ.
١٩٧. نيل الاوطار من أحاديث سيد الأخيار: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الجيل ، بيروت ـ لبنان، ١٩٧٣م.
١٩٨. الهداية في الأصول والفروع : أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (الصدوق) ، تحقيق : مؤسسة الامام الهادي عليه السلام، مؤسسة الامام الهادي عليه السلام، مطبعة اعتماد، ط١، قم، ١٤١٨هـ.
١٩٩. الوافي : محمد محسن المشتهر بالفيض الكاشاني، تح: ضياء الدين الحسيني الاصفهاني ، مكتبة الامام أمير المؤمنين عليه السلامة العامة، طباعة أفست نشاط أصفهان، ط١، أصفهان، ١٤٠٦هـ.
٢٠٠. وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة : محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مطبعة مهر، ط٢، قم ،١٤١٤هـ.
٢٠١. وقعة صفين: ابن مزاحم المنقري، تح: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، مطبعة المدني، ط٢، القاهرة – مصر، ١٣٨٢هـ.

٢٠٢. الولاية الإلهية الإسلامية (الحكومة الإسلامية): الشيخ محمد المؤمن القمي ، مؤسسة النشر الإسلامي، ط٢، قم ـ إيران، ١٤٢٨هـ
٢٠٣. ولاية الفقيه في صحيحة عمر بن حنظلة وغيرها : السيد جعفر مرتضى العاملي، دار السيرة ، ط٢، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ.
٢٠٤. اليانبيع الفقهية : علي أصغر مروارید، دار التراث، ط١، بيروت – لبنان .

الرسائل الجامعية :

٢٠٥. تكتيك العمليات العسكرية في ضوء السنة النبوية: نسيم زياد محمد سعيد ابو عجينة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية – غزة ، كلية أصول الدين ، قسم الحديث الشريف وعلومه، ١٤٣٧هـ .
٢٠٦. الحرب النفسية في عصر النبوة: عبد الرحمن ناصر الهزاع، رسالة ماجستير ، كلية الدعوة والاعلام ، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ
٢٠٧. الخدع العسكرية للمسلمين في صدر الإسلام : جمال أحمد سليمان ابو ريدة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة ، د.ت.
٢٠٨. القيادة والجندية في السنة النبوية : طاهر حمد محمد النحال ، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين ، الجامعة الإسلامية، غزة ١٤٢٨هـ.

المجلّات :

٢٠٩. القيادة العسكرية في الإسلام: العقيد الركن ميثم هادي، مجلة الموسوعة الإسلامية، تاريخ النشر ٢٠١٣/١٠/٢٦م .
٢١٠. القيادة في الفكر العسكري الإسلامي: د. سعيد مطلك الزوبعي، مجلة الفتح، العدد الثاني والعشرون، ٢٠٠٥.

Abstract

Since the first day the Creator, the Most High, decided to create man, it is as if he had disrupted the system of obedience in the supreme kingdom. the Almighty, objecting to the creation of man they said with one voice (they Atjal where the mischief therein and shed blood, while we praise praise and sanctify you said I know what you do not know), the angels nature of this human creature has predicted mud that he tends to marring and bloodshed, and The Creator, the Most High, did not record his objection to what the angels prophesied, rather the history and present of humanity is the best witness that is true that the angels did not err in their view of man. Here you know that man is not absolute according to what the angels described, and perhaps the most is according to what you described, but rather the most inevitable.

They are from a covenant, and if we find most of them are immoral, it becomes clear from this that there are forces of evil represented by that arrogant and arrogant person who tends to corruption, and there are forces for good represented by the guardians of the right and the righteous ones, and this conflict is not between the righteous and the righteous.

The conflict sometimes appears in the form of a scientific intellectual, and an epistemological debate, and sometimes to the military-military aspect, and since the scientific debate does not benefit much; Because falsehood has no basis to rely on and has no evidence to rely on, the conflict moves to the military war field, and from here Sharia paid great attention to the military aspect for it is the foundation of the truth (so that the people may perform justice, and We sent down iron in which there is great strength), so the verses and narrations proceeded to lay down an integrated military curriculum, starting with the development of important plans and programs to enable the priest to control the rules of war and from here to the end of the study and the source of power.

It is divided into three chapters, the first chapter of which deals with military leadership and the vocabulary related to it in the Qur’an, war and its divisions, aims and ways of preparing for it in the Qur’an. Some military methods as well as some important teachings and etiquette.

Ministry of Higher Education
and Scientific Research
Karbala University
College of Islamic Sciences
Department of Quranic Studies

Military system in the Quran and Sunnah (*explanatory study*)

Research submitted by the student:
Aladdin Mohamed Ibrahim Abboud

To the Council of the College of Islamic Sciences - University of Karbala, which is part of the requirements for obtaining a master's degree in Sharia and Islamic Sciences

Supervised By
A.D. Nahida Jalil Abdel Hassan

1443 A.H **2021 A.D**